

بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة آل البيت
كلية الدراسات الفقهية والقانونية
قسم أصول الدين

التسامح بين القرآن الكريم والعهد الجديد
"دراسة مقارنة"

Tolerance between the Holy Qura,n and the New Testament
"Comparative study"

إعداد الطالب

عبد الله محمد أحمد رابعة

٠٤٢٠١٠٥٠١٣

إشراف

الدكتور: بهجت عبدالرزاق الحباشنة

نوقشت بتاريخ: ٢ / ٤ / ٢٠٠٦ م .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين

التسامح بين القرآن الكريم والعهد الجديد

"دراسة مقارنة"

Tolerance between the Holy Qura,n and the New Testament
"Comparative study"

إعداد الطالب : عمير ربيع محمد روابدة

٠٤٢٠١٠٥٠١٣

الإشراف :

د هجت الجباشنة

أعضاء لجنة المناقشة :

التوقيع

جامعة آل البيت

١- الدكتور: هجت الجباشنة — مشرفاً

جامعة آل البيت

٢- الدكتور : محمد عبد الحميد الخطيب - عضواً

جامعة آل البيت

٣- الدكتور : عامر الحيافي — عضواً

الجامعة الأردنية

٤- الدكتور: محمد أحمد الخطيب — عضواً

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة/فرع الأديان في كلية الدراسات الفقهية والقانونية في جامعة آل البيت نوقشت واوصي بإجازتها في ٢ / ٤ / ٢٠٠٧ م.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الإهداء

أقدم هذا الجهد إلى المجاهدين المرابطين على ثغور الإسلام
إلى إخواني الذين يعيشون غربة الإسلام،
إلى أبي الفاضل الذي غرس حب العلم في قلبي منذ نعومة أظفاري،
إلى أُمي الحنون التي ما فارقتها إلا بدعاء لي بالهداية والتوفيق.
إلى زوجتي التي ساعدتني في توفير الوقت المناسب رغم مشاغلها.
إلى أولادي: مالك ومعاوية وسارة .
إلى زملائي طلاب العلم الذين يسهرون على تبصير الناس بدينهم.
إلى أستاذي الفاضل الذي غرس في قلبي حب القرآن وشجعتني على حفظه، فحفظته على يدي فضيلة الدكتور: محمد عصام
القضاة.
إلى إخواني وأخواتي وأحبائي.
إلى كل من له فضل علىّ من العلماء والمشايخ....
أهدي هذا العمل المتواضع سائلاً الله القبول.

الشكر والتقدير

بعد هداية الله وتوفيقه على إكمال هذا الجهد على نحو أرجو من الله القبول والرضى؛ لأن الكمال لله وحده، والعصمة للأئبياء عليهم السلام، فلا أحد تعبيراً صادقاً إلا أن أسدى الشكر والعرفان وجميل الثواب إلى أستاذي الفاضل الدكتور بمجت الحباشنة الذي أنار لي الدرب منذ البداية، وكان العين الساهرة على هذا الجهد، حتى خرجت الرسالة بهذا الثوب الذي أزعج أنه جميل، والذي تفضل مشكوراً بقبول الإشراف على هذه الرسالة، فكان عوناً لي وهادياً ومرشداً وموجهاً، وأفاض على من كرمه، من حيث المتابعة، ومداومة المذاكرة، فما جزع، وما بخل ولا تناقل، فجزاه الله خيراً.

وأقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقبول المناقشة، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى رئاسة الجامعة ممثلة برئيسها، ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل ووافر الامتنان إلى كلية الدراسات الفقهية والقانونية ممثلة بعميدها الأستاذ الدكتور: قحطان الدوري- حفظه الله ورعاه - وأتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني، وأخص بالذكر كل من الدكتور : عامر عدنان الحافي، والدكتور شريف الخطيب، والدكتور محمد الخطيب، حيث قدمت هذه الكوكبة كل النصح والإرشاد والتوجيه منذ كان الموضوع فكرة سائلا المولى الكريم أن يجعل هذا في ميزان حسناتهم جميعاً .
والحمد لله رب العالمين .

المحتويات

الصفحة	المحتوى
٣	*الإهداء.....
٤	*الشكر والتقدير.....
٥	*المحتويات.....
٧	*المقدمة:.....
١٠	* تحليل المصادر الرئيسية.....
١٢	*ملخص باللغة العربية.....
١٣	الفصل التمهيدي : التعريف بمصطلحات البحث وفيه ثلاثة مباحث :
١٤	البحث الأول : مفهوم التسامح لغة واصطلاحاً وفيه مطلبان :
١٤	المطلب الأول : مفهوم التسامح لغةً .
١٦	المطلب الثاني : مفهوم التسامح اصطلاحاً
١٩	البحث الثاني: مفهوم القرآن الكريم لغة واصطلاحاً وفيه مطلبان :
١٩	المطلب الأول: مفهوم القرآن الكريم لغة .
٢١	المطلب الثاني : مفهوم القرآن الكريم اصطلاحاً
٢٣	البحث الثالث : مفهوم العهد الجديد لغة واصطلاحاً وفيه ثلاثة مطالب:
٢٤	المطلب الأول : مفهوم العهد الجديد في اللغة .
٢٤	المطلب الثاني : مفهوم العهد الجديد في الاصطلاح .
٢٥	المطلب الثالث: التعريف بأسفار العهد الجديد.....
٢٨	الفصل الأول : الألفاظ المقاربة والمشاكلة والمغايرة لكلمة التسامح في القرآن الكريم والعهد الجديد:
٢٨	البحث الأول : الألفاظ المقاربة والمغايرة والمشاكلة للتسامح في القرآن الكريم وفيه ثلاثة مطالب
٢٩	المطلب الأول : الألفاظ المقاربة للتسامح في القرآن الكريم.....
٣٦	المطلب الثاني : الألفاظ المغايرة للتسامح في القرآن الكريم.....
٤٣	المطلب الثالث : الألفاظ المشاكلة للتسامح في القرآن الكريم.....
٥١	البحث الثاني : الألفاظ المقاربة والمغايرة للتسامح في العهد الجديد وفيه مطلبان :
٥١	المطلب الأول : الألفاظ المقاربة للتسامح في العهد الجديد.....
٥٧	المطلب الثاني : الألفاظ المغايرة للتسامح في العهد الجديد.....
٦٢	الفصل الثاني : بواعث التسامح ومنطلقاته في القرآن الكريم والعهد الجديد وفيه مبحثان
٦٣	البحث الأول : الباعث الديني والخلقي للتسامح في القرآن الكريم والعهد الجديد وفيه مطلبان:
٦٣	المطلب الأول : الباعث الديني للتسامح في القرآن الكريم والعهد الجديد.....
٦٩	المطلب الثاني : الباعث الخلقي للتسامح في القرآن الكريم والعهد الجديد.....
٧٦	البحث الثاني : الباعث الاجتماعي والسياسي للتسامح في القرآن الكريم والعهد الجديد وفيه مطلبان:

٧٦	المطلب الأول : الباعث الاجتماعي للتسامح في القرآن الكريم والعهد الجديد
٨٢	المطلب الثاني : الباعث السياسي للتسامح في القرآن الكريم والعهد الجديد.....
٨٨	الفصل الثالث : التسامح الفكري والعملي في القرآن الكريم والعهد الجديد وفيه مبحثان :
٨٩	المبحث الأول : التسامح الفكري في القرآن الكريم والعهد الجديد وفيه أربعة مطالب :
٩٠	المطلب الأول : التسامح في الحرية الدينية
١٠٥	المطلب الثاني : التسامح في الحرية الفكرية
١١٤	المطلب الثالث : التسامح في الحوار
١٢٢	المطلب الرابع :التسامح في الجدل
١٣٢	المبحث الثاني :التسامح العملي في القرآن الكريم والعهد الجديد وفيه أربعة مطالب:.....
١٣٣	المطلب الأول : التسامح في الحرية المدنية.
١٤١	المطلب الثاني : التسامح الاجتماعي.
١٥١	المطلب الثالث : التسامح السياسي
١٥٨	المطلب الرابع : التسامح الثقافي
١٦٤	*الخاتمة والنتائج
١٦٥	*التوصيات
١٦٦	-فهرس المصادر والمراجع
١٧٤	*الملخص باللغة الإنجليزية.

المقدمة

الحمد لله الذي عز جلاله فلا تدركه الأفهام، وبما كماله فلا تحيط به الأوهام، هو الله الذي لا اله إلا هو الملك القدوس السلام، حبيب الإيمان للمؤمنين، وشرح صدورهم للإسلام، وحجب الكافرين عن بابه فجرت بشقاوتهم الأقدام، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد المبعوث رحمة للأنام، من أظهر حجج الله تعالى، وبين الحلال والحرام، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، ما وكف قطر، اضطرب نهر وتفتح زهر ومال غصن وغرد حمام، فقد أنزل الله القرآن بأروع الكلام وأعذب البيان، وخير ما نزل من السماء بأمان ثم أما بعد :

فالإسلام دين التسامح حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعثت بالحنفية السمحة ، وللتسامح قيمة كبرى في القرآن الكريم ، فهو نابع من السماحة بكل ما تعنيه من حرية ومساواة في غير تفوق جنسي أو تمييز عنصري ، حيث حث ديننا الحنيف على الاعتقاد بجميع الرسل قال تعالى : " آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُنِيَ وَرُسُلِهِ لَأَنْفَرُ قُبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ " سورة البقرة : ٢٨٥ ، فالتسامح لا يعني التنازل أو التساهل أو الحياد اتجاه الغير بل هو الاعتراف بالأحر، والاحترام المتبادل بالحقوق العالمية للشخص وبالحرريات الأساسية للآخرين وهو وحده الكفيل بتحقيق العيش المشترك بين الشعوب ، لذلك فان موضوع التسامح من المواضيع التي أصبحت الحاجة لها في هذا الزمن أكثر مما مضى ، وقد عقدت مؤتمرات وندوات لبيان حال التسامح في الأديان؛ ومع ذلك فان هذا الموضوع لم يشبع بحثاً ، فجاء هذا البحث ليصوب المحاولات الجائرة من أعداء الإسلام التي وصفت هذا الدين بأنه لاتسامح فيه ؛ بل زادت على ذلك بوصفه الدين المرعب والقاتل إلى غير ذلك من الأوصاف التي لانت لهذا الدين بصلة ؛ وبناءً عليه جاء هذا الموضوع ليبين حقيقة الدعوة التي أرسل الله بها الأنبياء وهي الدعوة إلى التوحيد ونبذاً لشرك ، والدعوة إلى الأخوة والمحبة، وتفرغ عن هذه حقيقة واقعية بأن القرآن الكريم يدعو إلي التسامح من خلال الآيات الواردة ، وكذلك العهد الجديد الذي يحتوي على الإنجيل الذي ينسب إلى عيسى عليه السلام ، والذي فيه دعوة صريحة إلى التسامح في المجالات المختلفة السياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها وجاء هذا الموضوع ليزيل الشبه التي علقت بأذهان الكثيرين من الغرب حول هذا الدين ، وقد بين الباحث أن القرآن يدعو إلى المحبة والإخوة والتسامح والتصافح والعفو ... وهذه هي حقيقة هذا الدين ، وهذا البحث محاولة ليجلي حقيقة التسامح في القرآن الكريم والعهد الجديد، ويبين لنا مدى حاجة العالم إلى هذا الموضوع في هذا الوقت بالذات الذي أصبح العالم فيه ينادي بالتسامح من خلال وسائل الإعلام والمؤتمرات والندوات في هذا الزمن الذي اتهم فيه هذا الدين بالإرهاب والعنف

أهمية البحث وسبب اختياره

فقد بات من المؤكد ما للتسامح من دور كبير ومكان بارز بين الشعوب الإسلامية والمسيحية ، حيث أصبح العالم ينادي وفي كل وقت بالتسامح بين الأديان وبين والأفراد والشعوب ... وتأتي أهمية هذا البحث وسبب اختياره أن التسامح أصل من أصول الأخلاق التي جاء بها القرآن الكريم والعهد الجديد ، وهذه الدراسة تقدم نموذجاً واقعياً لتعاليم القرآن الكريم والعهد الجديد ، حيث تبين المعنى الحقيقي للتسامح وأيضاً تبين الأخطاء التي وقعت في فهم التعاليم الإلهية ، وتزيل الشكوك والأوهام عن الكتب السماوية والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وترد على الذين يدعون أن الإسلام دين رعب وإرهاب لا تسامح فيه ويدعو إلى التعصب والعنف ؛ لذلك فالإسلام براء من هذا كله، وكذلك العهد الجديد، وجاء اختيار هذا الموضوع لبيان حقيقة هذا الدين وأنه سلام وتسامح ووثام ومحبة في الوقت الذي يصفه الأعداء بأوصاف لا تليق به .

مشكلة البحث

يعاني التسامح اليوم شأنه شأن الكثير من المصطلحات من إشكاليات سواء أكان في الفهم والمضمون أم في التطبيق عدى أنه في جوانب كثيرة يستمد جوهره من أدبيات لا تتوافق في جوانب كثيرة مع خصوصية المسلمين والمسيحيين ؛ من هنا لابد من عودة إلى منابعنا الفكرية وتراثنا لكشف المضامين التي زخرت بها وبالذات القرآن الكريم والأحاديث وكتب الأديان والأخلاق وغيرها .

وركز الباحث في هذا البحث على الأخلاق والأحاديث ؛ لأنها جاءت مكتملة و متممة لما تناوله القرآن الكريم والعهد الجديد في تحديد ملامح التسامح .

ويحاول الباحث في هذا البحث الإجابة على عدد من التساؤلات التي لها صلة مباشرة بمشكلة البحث وهي:

- ١- هل التسامح خلق وأصل دعا إليه القرآن الكريم والعهد الجديد ؟
- ٢- ماهي جوانب التسامح في القرآن الكريم والعهد الجديد ؟
- ٣- ما مدى ارتباط التسامح بين القرآن الكريم والعهد الجديد ؟
- ٤- كيف يمكن إبراز الحقيقة التي جاء بها القرآن الكريم وهي التسامح في المجالات المختلفة ؟ .
- ٥- لماذا هذه الافتراءات المتكررة على الإسلام ومنها أنه يدعو إلي التعصب والعنف وعدم التسامح؟ .
- ٦- هل يمكن تنزيه الكتب السماوية عن الطاعن الموجه إليها؟ .
- ٧- هل دعوة الأنبياء واحدة لأن الله يقول: " إن الدين عند الله الإسلام"^(١)؟.

منهجية البحث

يعد هذا البحث من البحوث الوصفية ؛ ولذلك استخدم الباحث عدداً من الأساليب والطرق للوصول إلى أهداف هذا

البحث

- ١- المنهج الاستقرائي : حيث قام الباحث بجمع الآيات القرآنية الواردة في موضوع الدراسة وقام بتصنيفها حسب موضوعات الرسالة وتقديم ما يتناسب مع الموضوع .
- ٢- المنهج الاستنباطي : حيث تم استنباط الضوابط والحدود والأخلاقيات والأحكام من النصوص الدينية.
- ٣- المنهج المقارن : وهو صلب الموضوع حيث استخدم الباحث هذا المنهج لمقارنة ما توصل إليه من دلالات النصوص وفهم السلف لها لمعرفة أوجه الشبه للتسامح بين القرآن الكريم والعهد الجديد في ضوء القرآن الكريم وما جاء في العهد الجديد .
- ٤- كانت منهجية الباحث في هذه الرسالة على النحو التالي :
 - أ- قام الباحث باستخراج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من مصادرها .
 - ب- يذكر الباحث اسم المؤلف ، والكتاب ، والجزء والصفحة ، ودار النشر ، ومكان النشر ، ورقم الآية والحديث .
 - ج- يقوم الباحث بشرح ما يلزم من النصوص بالرجوع إلى المصادر .
 - د- يبين الباحث مبهمات الألفاظ والكشف عن معانيها الغريبة من خلال كتب المعاجم واللغة .
 - هـ- يوثق الباحث الاقتباس بالطرق العلمية المعروفة .
 - ز- المقارنة بين منهج القرآن الكريم والعهد الجديد في الوصول إلى أصول التسامح وحقيقته في الأديان

(١) سورة آل عمران ، آية ١٩

فهذا جهدي أضعه بين يدي لجنة المناقشة التي تفضلت بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة ، فما كان فيه حق وصواب فبفضل الله وتوفيقه ، وما كان فيها مخالفاً للحق والصواب فمن نفسي؛ لأن هذا جهد بشري وليس المعصوم إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم، كما قال الراغب الأصفهاني: ما كتب أحد في يومه إلا قال في غده لو كان هذا محل هذا لكان أجمل، ولو كان هذا محل هذا لكان أحسن لوجود النقص في البشر إلا كلام الله تعالى، فلا يعتريه النقص!، والله أسأل القبول والتوفيق والسداد في القول والعمل، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ،
والحمد لله رب العالمين .

الدراسات السابقة

بعد عملية قراءةٍ وبحثٍ ودراسةٍ واستقرأً لكتب مقارنة الأديان والأخلاق حول موضوع الدراسة كان من أهم الكتب

ما يلي :

- ١- كتاب **التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية** للمؤلف: محمد الغزالي رحمه الله ، حيث تحدث فيه عن تسامح المسلمين مع أهل الذمة، وذكر بعض صور التسامح في الحروب الصليبية وفي الأندلس ولم يتحدث فيه المؤلف حول التسامح في العهد الجديد .
- ٢- كتاب **ملامح التسامح والعنف والإرهاب في الأديان السماوية** للمؤلف : حنفي محلاوي ، حيث تحدث فيه عن تسامح الإسلام . ولم يذكر بواعث هذا التسامح .
- ٣- كتاب **سماحة الإسلام** للمؤلف: عبد العظيم المطعني ، حيث تحدث فيه عن التسامح في العهود الإسلامية في العهد المدني وعن سماحة الإسلام في صلح الحديبية وخيبر، ولم يتحدث فيه عن التسامح كخلق إسلامي في الكتب السماوية وعن مجالات التسامح في العهد الجديد .
- ٤- كتاب **أخلاق الإنجيل** ، للمؤلف : البير باية ، حيث تحدث فيه المؤلف عن السلوك المسيحي ، ولم يذكر فيه أخلاق العهد الجديد.
- ٥- كتاب **الوجيز في التعليم المسيحي الكاثوليكي** للمؤلف : داريو ، حيث تحدث فيه المؤلف عن أخلاق المسيحية الواردة في الإنجيل ، وذكر التسامح بين المسيحيين أنفسهم ولم يذكر التسامح مع المسلمين .
- ٦- كتاب **الأخلاق المسيحية** للمؤلف : فايز فارس ، حيث تحدث فيه عن الأخلاق ومنها التسامح ، وربطه بالتسامح الديني مع المسلمين ولم يتحدث فيه عن التسامح من خلال العهد الجديد
هذا وقد قام الباحث بالبحث في مكتبة الجامعة الأردنية، وجامعة اليرموك، وجامعة آل البيت، ومكتبة البعثة البابوية في جبلا الحسين/ عمان، فلم يقف الباحث على كتاب مستقل متعلق بالتسامح، ووقع بين يدي من فهارس الرسائل الجامعية لعدد من الجامعات العربية، كمرکز الملك فيصل للبحوث ، وجامعة دمشق ومكتبة الأسد في سورية ، فلم أقف على دراسة تعرضت لهذا الموضوع بشكل مباشر في كتاب مستقل .

مشكلة الدراسة

إن من أهم المشاكل والصعوبات التي تعرض لها الباحث خلال هذه الدراسة: قلة المصادر التي طرقت هذا الموضوع المتعلق بالتسامح بين القرآن الكريم العهد الجديد كمقارنة، وان كان لهذه الدراسة مراجع ترتبط بها ولكن بشكل غير مباشر، كالكتب التي تحدثت عن موضوعات الحب والعتف ، وحقوق الإنسان ، باعتبار أن التسامح جزء من حقوق الإنسان وغيرها ، فحاولت الاستفادة من مثل هذه الكتب ، وأرجو أن أكون قد وفقت في هذا. ومن الصعوبات أيضاً: عدم توفر المراجع عند النصارى سواء أكان في مكتباتهم مثل البعثة البابوية ، والمكتبة المعمداني في عمان أم في مكتبات الجامعات ؛ وهذه القلة سببت صعوبة ملموسة في الحصول على المعلومة ؛ مما اضطرني أحياناً لأخذ المعلومة من رجال الدين وهذه صعوبة أخرى .

ومن الصعوبات : الصعوبة في الحصول على المعلومة من رجال الدين المسيحي بسبب ما يلي : رفضهم التعاون معي بشأن هذا الموضوع، أو رفضهم الاستقبال كما حصل معي في دير اللاتين في عمان والمفرق، وهناك صعوبة أكبر أهمية وهي إن حصل من بعضهم الاستقبال ؛ فان المعلومة المعطاة لا يوجد لها توثيق أو مصدر وليست معلومة علمية !

تحليل المصادر والمراجع الرئيسية

قام الباحث بالرجوع إلى معظم كتب الأديان والأخلاق للبحث عن الموضوع مدار البحث ، ومن أهم الكتب التي رجع إليها الباحث ما يلي :

١- كتاب **إظهار الحق للمؤلف**: رحمة الله الهندي ، يقع هذا الكتاب في جزأين من الحجم المتوسط ، تكلم فيه المؤلف حول كتب العهد القديم والجديد ، وتكلم حول إثبات التحريف ثم إثبات النسخ ثم إبطال التثليث ، وتكلم عن القرآن الكريم إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو كتاب مهم في دراسة الأديان .

٢- كتاب **التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية**، للمؤلف: محمد الغزالي ، يقع هذا الكتاب في جزء واحد ، تكلم فيه المؤلف حول التسامح بين الإسلام والنصرانية ، وذكر نماذج من تسامح المسلمين مع البلاد المفتوحة ، ويعد هذا الكتاب من الكتب المهمة في موضوع الرسالة ، وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات في لبنان ومصر والرياض ، من خلال دور النشر ، ومنها دار إحياء التراث، ودار الفكر ، وهو كتاب حافل بالمعاني الهامة في الموضوع ، وقد أفدت منه تسامح المسلمين مع غيرهم ، حيث يمد الإسلام يده لمصافحة أتباع الأديان لتحقيق التعاون على إقامة العدل ونشر الأمن وصيانة الدماء آن تسفك وحماية الحرمات .

٣- كتاب **الحوار الإسلامي المسيحي**، للمؤلف: عز الدين إبراهيم ، تكلم فيه المؤلف حول أوجه الحوار والعيش المشترك بين الإسلام والمسيحية ، وأرشد المؤلف إلى ضرورة التعاون بين الإسلام والمسيحية للوصول إلى نقطة لقاء ولو في الأمور الأخلاقية ومنها التسامح ، طبع هذا الكتاب في دار الخليج بالشارقة عام ١٩٩٧م ، وقد أفدت منه الحوار مع اليهود والنصارى من خلال العهد الذي كتبه الرسول عليه الصلاة والسلام بينهم وبينه ، وأن أهل الكتاب ينفقون على المسلمين ما داموا محاربين .

٤- كتاب **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة** ، لمؤلفه : علي عبد الواحد وافي ، طبع هذا الكتاب نخضة مصر للطباعة في القاهرة ، تكلم فيه المؤلف حول الأمور الأخلاقية ومنها التسامح كخلق في القرآن الكريم ، وأشار المؤلف إلى نقاط اتفاق بين الديانات في الأمور الأخلاقية، وهذا ما تعترف به كافة الطوائف الدينية، وقد أفدت منه التعريف بالعهد الجديد من حيث الأنجيل وأسفارها وتقسيمها، ومحتوياتها .

٥- كتاب **دراسات في التسامح** ، لمؤلفه : ناجي البكوشي ، تكلم فيه المؤلف حول صور التسامح ، وأنواع التسامح المختلفة ، وذكر حقوق الإنسان ،

و أهم القوانين الواردة في التسامح ، وهو كتاب حافل بالمعاني القيمة ، طبع هذا الكتاب في المعهد العربي لحقوق الإنسان في تونس ، عام ١٩٩٥ م ، وقد أخذت منه التقارب والتعايش السلمي بين الأمم والثقافات، بسبب أن التسامح يتمحور حول التنظيم الاجتماعي والسياسي.

٦- كتاب **جامع البيان "تفسير الطبري"**، مؤلفه الطبري المتوفى عام ٣١٠هـ ، وهو من أهم المصادر التفسيرية التي رجعت إليها لتفسير الآيات ، وهو من أجل التفاسير وأعظمها ، وأجمعت الأمة أنه لم يصنف مثله ، يقع هذا الكتاب في ثلاثين جزءاً من القطع الكبير ، طبع عدة طبعات، منها طبعة في أحد عشر مجلداً، من دار الباي ، حلب عام ١٣٨٩هـ، وقد أفدت منه تفسير بعض الآيات مثل: آيات القتال الواردة في سورة التوبة وتوجيهها حسب ما يقتضيه النص.

٧- كتاب **زاد المعاد في هدي خير العباد** لمؤلفه: ابن القيم الجوزية المتوفى عام ٧٥٢هـ ، يعد هذا الكتاب من أقدم ما صنف في فقه السيرة، حيث ذكر أقوال العلماء في مسائل فقهية كثيرة ، تدل على سعة علمه وقوى حفظه ، طبع هذا الكتاب طبعات كثيرة ، منها مطبعة الدار السلفية ، ودار إحياء التراث، ويقع هذا الكتاب في خمسة مجلدات بالإضافة إلى الفهارس، وقد أخذت منه هدي النبي عليه الصلاة والسلام في الهدنة أو الحرب مع الأعداء وتقسيم أهل العهد إلى أهل ذمة...

٨- كتاب **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، مؤلفه : علي بن حزم الأندلسي الظاهري ، المتوفى عام ٤٥٦هـ، ذكر فيه المؤلف أصول الفرق المخالفة لدين الإسلام، والفرق التي ظهرت في الإسلام ، وفند مقالاتها ورد عليها ، وتكلم في التوحيد والصفات ، طبع هذا الكتاب عدة مرات منها طبعة الخانجي في مصر عام ١٣٢١ هـ ، يقع هذا الكتاب في خمسة مجلدات ، وبه هامش للإمام: الشهرستاني، وقد أخذت منه أهم الديانات الموجودة ، حيث تكلمت عن النصرانية وأحوالها.

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة

التسامح بين القرآن الكريم والعهد الجديد

"دراسة مقارنة"

إعداد الطالب : عبد الله محمد أحمد رابعه

الرقم الجامعي ٠٤٢٠١٠٥٠١٣

إشراف: الدكتور : بھجت الحباشنة

هذه الرسالة تبحث في موضوع التسامح، حيث تتألف هذه الرسالة من مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة، أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن أهمية البحث وسبب اختيار الموضوع ثم عن إشكالية البحث، والدراسات السابقة، والصعوبات التي واجهتها، وعن منهجيتي في البحث، ثم الهيكل التنظيمي للبحث، والذي تمت الموافقة عليه من مجلس البحث العلمي في الجامعة، أما الفصل التمهيدي فيتحدث عن التعريف بمصطلحات البحث، وفيه ثلاثة مباحث، فابتدأت المبحث الأول في الحديث عن مفهوم التسامح وقسمته إلى مطلبين، تحدثت في المطلب الأول عن مفهوم التسامح لغةً، وفي المطلب الثاني عن مفهوم التسامح اصطلاحاً، أما المبحث الثاني فتحدثت فيه عن مفهوم القرآن الكريم، وفيه مطلبان، تحدثت في المطلب الأول عن مفهوم القرآن لغةً، وفي المطلب الثاني عن مفهوم القرآن اصطلاحاً، أما المبحث الثالث فتحدثت فيه عن مفهوم العهد الجديد وفيه ثلاثة مطالب، تحدثت في المطلب الأول عن مفهوم العهد الجديد لغةً، وفي المطلب الثاني عن مفهوم العهد الجديد اصطلاحاً، والمطلب الثالث ويتحدث عن التعريف بأسفار العهد الجديد. وفي الفصل الأول: تحدثت عن الألفاظ المقاربة والمغايرة والمشابهة للتسامح في القرآن الكريم والعهد الجديد وفيه مبحثان، المبحث الأول يتحدث عن الألفاظ المقاربة والمغايرة والمشابهة للتسامح في القرآن الكريم وفيه ثلاثة مطالب، المطلب الأول الألفاظ المقاربة، والمطلب الثاني الألفاظ المغايرة والمطلب الثالث الألفاظ المشابهة، أما المبحث الثاني فيتحدث عن الألفاظ المقاربة والمغايرة في العهد الجديد وفيه مطلبان، المطلب الأول الألفاظ المقاربة للتسامح في العهد الجديد، أما الفصل الثاني فيتحدث عن بواعث التسامح في القرآن الكريم والعهد الجديد وفيه مبحثان، المبحث الأول الباعث الديني والخلقي في القرآن الكريم والعهد الجديد وفيه مطلبان، المطلب الأول الباعث الديني في القرآن الكريم والعهد الجديد، والمطلب الثاني: الباعث الخلقي في القرآن الكريم والعهد الجديد، والمبحث الثاني يتحدث عن الباعث السياسي والاجتماعي في القرآن الكريم والعهد الجديد، أما الفصل الثالث فيتحدث عن التسامح الفكري والعملية في القرآن الكريم والعهد الجديد وفيه مبحثان، المبحث الأول التسامح الفكري في القرآن الكريم والعهد الجديد وفيه أربعة مطالب، المطلب الأول: يتحدث عن التسامح في الحرية الدينية، والمطلب الثاني يتحدث عن التسامح في الحرية الفكرية، والمطلب الثالث يتحدث عن التسامح في الحوار والمطلب الرابع يتحدث عن التسامح في الجدل، أما المبحث الثاني، فيتحدث عن التسامح العملي في القرآن الكريم والعهد الجديد وفيه أربعة مطالب، المطلب الأول يتحدث عن التسامح في الحرية المدنية والمطلب الثاني يتحدث عن التسامح الاجتماعي، والمطلب الثالث يتحدث عن التسامح السياسي والمطلب الرابع تحدث عن التسامح الثقافي، ثم الخاتمة وما توصل إليه الباحث من نتائج وتوصيات، ومن أهمها: أن التسامح كمصطلح موجود في القرآن الكريم والعهد الجديد لذا لا بد من إظهار هذا المصطلح إلى الواقع العملي .

والله أسأل الهداية والتوفيق والسداد على كل نعمة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

وأصحابه أجمعين .

الفصل الأول

الفصل التمهيدي:

التعريف بمفردات الدراسة

ويحتوي هذا الفصل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم التسامح

المبحث الثاني : مفهوم القرآن الكريم

المبحث الثالث : مفهوم العهد الجديد

المبحث الأول :

مفهوم التسامح لغةً واصطلاحاً .

المطلب الأول : مفهوم التسامح في اللغة .

السماحة والسُمُوحة : وهي التي لا عقدة فيها ، وتسميح الرمح : تثقيفه ، أي عمله رمحاً قوياً حاداً .

قال الفرزدق : ومنا الذي اختير الرجال سماحةً وجوداً إذا هب الرياح الزعازع .

والمساميح جمع مسماح : وهو الكثير السماحة^(١) .

وفي الحديث : (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة)^(١) .

والمعروف في هذا الفعل (سمح) أنه ككرم ، ومعناه : صار من أهل السماحة .

ورجل سمح ، وامرأة سمحة من رجال ، ونساء سمحاً ، قال جرير :

غلب المساميح الوليدُ سماحةً و كفى قريش العضلات وسادها ،

وسمح لي فلان : أعطاني وسمح لي بذلك" .

والمساحة : المساهلة وفي الحديث : (السماح رباح)^(٢) أي المساهلة في الأشياء تريح صاحبها ، وسئل ابن عباس عن رجل

شرب لبناً محضاً أيتوضأ ؟ قال : (اسبح يسمح لك)^(٣) ، ومعناه سهّل يسهّل عليك و لك ، وقولهم : الحنيفية السمحة ،

ليس فيها ضيق ولا شدة ، ، وسمح بالضم : جاد بما لديه ، وسمحت الدابة بعد صعوبة إذا ذلّ ، وسمحت الناقة : إذا

انقادت فأسرعت^(٤)

والتسميح السير السهل^(٥) والتسميح السرعة والمساهمة في الطعان والضراب والعدد إذا كانت على مساهلة^(٦) ، و المساحة :

المساهلة^(٧) (٨) .

(١) محمد بن منظور، ت٧١١هـ، لسان العرب، ط١، ج٢، دار صادر، بيروت، ص٤٨٩ .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : الدين يسر ، جزء ١ ، ص ٢٢ ، برقم ٣٨ .

(٢) محمد القضاي ، مسند الشهاب ، ط٢ ، ج١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص ٤٨ ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله عليه السلام : (السماح رباح ، والعسر شؤم) برقم ٢٣ ، قال الألباني : ضعيف ، أنظر ضعيف الجامع برقم ٣٣٥٤ .

(٣) محمد بن الأثير ، ت ٦٠٦هـ ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج٢ ، تحقيق طاهر الزواوي ، ومحمود الطناحي ، المكتبة الإسلامية ، ص٩٩ ، دون سنة نشر ، دون طبعة .

(٤) محمد بن منظور ، ت ٧١١هـ ، لسان العرب ، ط١ ، ج٢ ، دار صادر ، بيروت ، ص٤٨٩ ، ج٤/ص٢٦٤ ، ج١٥ ص ٣٦٠ ، حرف الحاء ، مادة سمح ، دون سنة نشر .

(٥) محمد بن يعقوب الفروع أبيادي ، ت ٨١٨هـ ، القاموس المحيط ، ج١ ، دار الجليل ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ص٢٨٧ ، دون طبعة .

(٦) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، ج٣ ، تحقيق مهدي المخزومي ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ص١٥٥ ، دون نشر ، دون طبعة .

(٧) أحمد بن محمد الفيومي ، ت ٧٧٠هـ ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ص٢٨٨ ، دون سنة نشر .

(٨) محمد بن أبي بكر الرازي ، ت ٦٦٦هـ ، مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ص٣٢٦ ، دون سنة نشر .

والتسامح : الحط والإغماض^(١)

وتسامح وتسمّح : الاتساع في نحو الإعطاء^{(٢)(٣)} .

قال ابن فارس : السين والميم والحاء أصل يدل على سلاسة وسهولة ، يقال : سمح له بالشيء ، ورجل سمح ، أي جواد^(٤) ، والسماحة تعني قمة الهرم^(٥) .

جاء في مقال (التسامح ومنايع اللاتسامح) : " في ضوء المعنى اللغوي ، يغدو التسامح نوعاً من الكرم والتفضل والجود ، وليس حقاً يستحقه الآخر ، فهو لا يعني منع الحق في الحرية الدينية ، وإنما هو مجرد سخاء من موقع استعلائي ، لا مساواة فيه بين المتكبر والمتكبر عليه ، يد عليا تهب ، ويد سفلى تقبض ، إذ التسامح متفوق دائماً ، أما التسامح معه ففي مستوى أدنى ، وهذا التقارب يضمن احترام وكرامة الأدي ، وفي المعجم الفرنسي نجد عدة معاني لنفس الكلمة ، كالتفهم والتساهل ، والإحجام عن المنع ؛ لذلك فإن البحث عن مفهوم التسامح في المعجم الغربي ، لا ينبغي أن يتوقف عند مادة (س ، م ، ح) بل يحتاج أن يشمل مادة (ع ، ف ، و) ، أو مادة : (درأ) وما حف بالتسامح والعفو والصبر من عبارات مصاحبة ورديفه ؛ لذا فإن البحث ينتهي إلى أن عبارات التسامح ما تزال دالة على سلوك ذاتي واختياري، فهي بذلك لا تشمل المساواة التامة بين حقوق الطرف الغالب ، والأطراف الأخرى^(٦) .

جاء في كتاب (سؤال التسامح) : إن معاني التسامح اللغوية تدور حول العفو ، والصفح ، والتعاون ، والتشاور ، والتآزر ، والتراحم ، والمغفرة^(٧) . وفي ضوء ما مر سابقاً أقول : إن مصطلحات التسامح تعود في جذورها إلى معاني مختلفة ، فمنها التساهل ، والحط ، والإعطاء ، والتنازل ، والجود ، والكرم ، والمساحة ، والاتساع ، وكلها تدل على التسامح .

(١) ناصر الدين بن عبد السيد ، المغرب في ترتيب المغرب ، ط ١ ، ج ٢ ، تحقيق : محمود فاخوري وعبد الحميد مختار ، مكتبة أسامة بن زيد ، حلب ، ١٩٧٩م ، ج ٢ ص ١١٤ .

(٢) محمد المناوي ، التعاريف (التوقيف على مهمات التعاريف) ، ط ١ ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، بيروت ، ص ١٧٤ ، دون سنة نشر .

(٣) محمد الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ط ١ ، ج ٣ ، مكتبة الحياة ، لبنان ، ١٣٠٦هـ ، ص ١٥٠ .

(٤) أحمد بن فارس ، ت ٣٩٥هـ ، معجم مقاييس اللغة ، ط ١ ، ج ٣ ، تحقيق عبد السلام محمد ، دار الجليل ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ص ٩٩ .

(٥) إبراهيم العريس ، التسامح بين شرق وغرب ، ط ١ ، دار الساقى ، بيروت ، لبنان ، ص ١٢ .

(٦) حميدة النيفر ، التسامح ومنايع ألا تسامح ، قضايا إسلامية معاصرة ، المجلد الثاني ، العدد ٢٨ - ٢٩ ، ٢٠٠٤م ، ص ١٢-١٣ .

(٧) نظام عساف ، سؤال التسامح ، مركز عمان لدراسات حقوق الإنسان ، مطبعة الشعب ، اربد ، الأردن ، ٢٠٠٢م ، ص ١٩ ، دون طبعة .

المطلب الثاني : مفهوم التسامح في الاصطلاح :

عديدة هي المفردات والمصطلحات المتداولة اليوم، والتي تحتاج إلى تحديد دقيق لمعانيها ومدى ليلها وذلك لأن استخدام هذا المصطلح دون ضبط المعنى الحقيقي لها يساهم في تشويه هذا المصطلح على مستوى المضمون ، كما أنه يجعله عرضة للتوظيف المتعسف ؛ لذلك فإن تحديد معنى المصطلحات والمفردات المتداولة اليوم يساهم في خلق الوعي الاجتماعي السليم ، ولذلك فإن إصرار مختلف المواقع على استخدام هذا المصطلح، دليل على غياب مضمونه عن واقع العالمين العربي والإسلامي. ولقد انطلق العلماء في تعريف التسامح منطلقات شتى تبعاً لمذاهبهم الفكرية على النحو التالي :

١- قال صاحب كتاب (تهافت التهافت) : " هو احترام الحق في الاختلاف ، وأن يجهد النفس في طلب الحجج والخصومة، كما يجهد نفسه في طلب الحجج لمذهبه^(١) وهو أيضاً "موقف فكري وعملي قوامه تقبل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر من الغير ، سواء كانت موافقة أو مخالفة لمواقفنا ، أي هو احترام الموقف المخالف ، سواء كان ذلك الغير مشاركاً لنا في الملة أو غير مشارك"^(١) .

٢- يقول الجرجاني : "التسامح : هو استعمال اللفظ في غير الحقيقة بلا قصد علاقته معنوية ويعني : التساهل في العبارة أي أداء اللفظ بحيث لا يدل على المراد دلالة صريحة"^(٢) .

من خلال التعاريف السابقة يتضح أن فكرة التسامح ذات بعد خلقي وسياسي وفكري ، وكلها تدعوا إلى السخاء والجلود ، وهو موقف ضد كل تعصب أو انغلاق في العلوم والأديان والسياسة والأخلاق^(٣) .

٣- وقد نقل الجابري في كتابه (قضايا في الفكر المعاصر) عدة معاني للتسامح منها:

أ- التسامح هو التساهل مع الغير ، أو الترخيص له بكذا أو كذا : الشيء الذي يجعل التسامح في وضعية أعلى من التسامح له ويعني الارتفاع بهذه العلاقة إلى مستوى الإيثار^(٤)

ب- التسامح يعني التخفيف إلى أقصى حد ممكن من الهيمنة المقصودة أو غير المقصودة التي يمارسها مذهب الأغلبية داخل الدين الواحد ، ودين الأكثرية داخل المجتمع الواحد^(١)

ج- التسامح : عدم الغلو في الدين الواحد ، وسلوك سبيل اليسر ، سبيل التي هي أحسن من جهة واحترام حق الأقليات الدينية في ممارسة عقائدها وشعائرها دينها دون تضييق أو ضغط وهذا رأي الجابري وغيره^(٢)

٤- وجاء في كتاب (سؤال التسامح) : التسامح يعني : القدرة على تحمل الرأي الآخر والصبر على أشياء لا يجبهها الإنسان أو يرغب بها^(٣) .

٥- رأي منظمة حقوق الإنسان في مصر : التسامح : حق العيش على نحو مختلف سواء بممارسة حق التعبير عن الرأي ، أو حق الاعتقاد ، أو حق التنظيم ، أو حق المشاركة السياسية في تولي المناصب العليا^(٤) .

(١) محمد بن أحمد بن رشد ، تهافت التهافت ، ط ٣ ، تحقيق سلمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٣٦٩ .

(٢) علي بن محمد الجرجاني ، التعريفات ، ط ١ ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ص ٧٩

(٣) د- محمد عطا، الحرية الدينية حق من حقوق الإنسان ، المجلة العربية لحقوق الإنسان ، العدد ١٥٤ ، ص ٤٤ ، ١٩٦٤ ، بتصرف يسير .

(٤) محمد عابد الجابري ، قضايا في الفكر المعاصر ، ط ١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧ ، ص ٣١

(١) المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) نظام عساف ، سؤال التسامح ، مرجع سابق ، ص ١٩

(٤) المرجع السابق ، ص ١٨ .

وهذا الرأي يؤكد حق كل فرد أن لا يكون ثمة قيد على حريته إذا احترمت حريات وحقوق الآخرين ولم يتجاوز عليها . قال محفوظ : " لذلك فقد ارتبطت مقولة التسامح في التجربة الغربية بالمسألة الدينية ، حيث اعتبرت من قبل الفيلسوف _ جون لوك _ بوصفها الحل العقلاني الوحيد لمشكلة الخلافات التي نشأت داخل الكنسية ، التي هي الدين الرئيسي في الثقافة الغربية ، ومع تطور الحياة السياسية بدأ ينظر إلى التسامح باعتباره العمود الفقري ، بوصفه فلسفة عامّة للجماعة البشرية ، كما بوصفها شعور يحس تجاه الجماعات الأخرى ، وفي الغرب اليوم ينظر للتسامح على أنه سياسي وعرقي وقومي واجتماعي ، وحنسي ؛ لذلك فإن التسامح وفق التجربة الغربية ، والفكر الغربي المعاصر ، هي الإجابة المطلوبة الغربية آن ذاك ... فالاختلافات قادت في فترة من الفترات إلى التعصب، والانكفاء ، والعزلة ، ودفع المجتمع الغربي ثمن ذلك ^(١) .

و الرأي الذي أميل إليه هو الرأي الثالث ، فقرة : "ج" ، الذي عليه العلماء لأمر :

١- أنه يتناسب مع هذا العصر الذي تدعو في جميع الديانات إلى أن يكون عصر تسامح ووثام .

٢- لأنه المحرك الفاعل في إرساء نمط المجتمع الدولي في عالمنا اليوم .

٣- لأنه يظهر حاجة المجتمعات أكثر من وقت مضى إلى عدم العنف والإرهاب والغلو بل إلى سلوك السبيل الواضحة للتقارب والتعايش السلمي بين الأمم والثقافات ؛ لأن التسامح من أهم القيم التي يتمحور حولها التنظيم الاجتماعي والسياسي الحديث ^(٢) .

٤- ولأنه يدعو إلى التصالح ووضع حد للنزاع القائم بين المجتمعات المختلفة .

(١) محمد محفوظ ، التسامح وآفاق السلم الأهلي ، قضايا إسلامية معاصرة ، المجلد الثاني ، العدد ٢٨ ، ٢٠٠٤م ، ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٢) ناهي البكوش ، دراسات في التسامح ، المعهد العربي لحقوق الإنسان ، تونس ، ١٩٩٥م ، ص ١٢ .

الخلاصة :

من خلال ما سبق يتبين لنا أن التسامح كلفظ لغوي ومصطلح علمي ، ورد في كثير من النصوص الإسلامية وغيرها مع مفردات مقاربة له مثل الرفق والرحمة والعفو ... وهذا المصطلح يقود إلى السماحة التي هي أعلى مرتبة، وأرقى لفظ ، حيث جاء في الحديث: (بعثت بالحنفية السمحة)^(١) لأن الإسلام سمح في تعامله ، سمح في مبادئه ، سمح في أخلاقه ، وهكذا اقتبست الديانات الأخرى من الإسلام ، حيث جاء في الحديث الشريف : (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى)^(٢).

قال ابن حجر تعليقاً على الحديث : " وفيه الحض على السماحة ، و استعمال معالي الأخلاق ، وترك المساحة ، والحض على ترك التضييق على الناس ، في المطالبة وأخذ العفو منهم"^(٣) ، "وقد انتقد العلماء مصطلح التسامح كلفظ ؛ لأنه يتضمن توهين الآخر ؛ لأنني عندما أتسامح مع الآخر فإنني أفتعل موقف السماح منه؛ لذلك ربما كان تعبير التسامح قاصراً عن أداء الغرض الذي من أجله وضع له هذا المصطلح حيث يستعمل هذا المصطلح في الأجواء التي يقصد فيها إشاعة روح السماح بين المتحاورين أو بين المتعايشين ، أو بين الأنا والآخر"^(٤). ومع هذا الانتقاد فإنني أرى أن السماحة والتسامح تعودان إلى أصل واحد ، وإلى غاية واحدة ، وإلى هدف واحد ، وهو أن تعيش الأمم مع بعضها في جو يسوده التعاون والتآزر ، ويقبل كل منا بالآخر على أساس حرية التعامل من أجل ما نصبوا إليه ، وقد برهن صاحب كتاب تربية الأولاد في الإسلام على هذا المعنى بقوله : "ومن المعلوم بداهة أن نفسية المؤمن حينما تكون متخلقة بأخلاق الحلم والعفو والتسامح فإنه يكون مثلاً يجتذ في الملاطفة وسمو الخلق ، ولين الجانب ، وحسن المعشر ، بل يكون كالمملك يمشي على الأرض نبلاً وطهراً وصفاءً ، وبناء عليه فالسماحة والتسامح يقودان إلى هذا المعنى"^(٥).

(١) رواه الإمام أحمد ، برقم ٢٢٣٤٥ ، ج ٥ ، ص ٢٦٦ ، قال الألباني : حديث حسن لغيره في السلسلة الصحيحة ، . قال شعيب الأرنؤوط : سنده حسن ، وحديث قوي ، وجاء بلفظ : ولكي بعثت بالحنفية السمحة ، و بلفظ : إن أرسلت بحنفية سمحة ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، برقم : ٧٧١٥ .
(٢) أخرجه البخاري ، كتاب البيع ، باب : السهولة والسماحة في البيع والشراء ، برقم : ٢٠٨٧ ورقم : ١٩٧٠ ، ج ١ ، ص ١٠٨ ، و ج ٢ ، ص ٧٣٠ ، برقم ١٩٧٠
(٣) أحمد ابن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢ ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ج ٤ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦ م ، ص ٣٥٩ ، دون طبعة
(٤) محمد حسن الأمين وآخرون ، قضايا إسلامية معاصرة ، التسامح، المجلد الثاني ، العدد ٢٨ - ٢٩ ، ٢٠٠٤ م ، ص ٨٣ .
(٥) عبد الله ناصح العلوان ، تربية الأولاد في الإسلام ، ط ٣ ، ج ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ص ٣٧٠ .

المطلب الأول : مفهوم القرآن الكريم في اللغة :

ذهب العلماء في تأصيل لفظ القرآن الكريم مذاهب شتى على النحو الآتي :

١- ذهب الشافعي إلى أن لفظ (القرآن) المعرف بال ليس مشتقاً و لا مهموزاً بل هو علم على الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، كما وضع لفظ التوراة علماً على الوحي المنزل على موسى عليه السلام ، والإنجيل علماً على الوحي المنزل على عيسى عليه السلام^(١) .

٢- وذهب الزجاج^(٢) : إلى أن لفظ القرآن مهموز على وزن فعلان ، مشتق من القرء .معنى الجمع ، لجمعه السور أو ثمرات الكتب السابقة ، وتصريفه من قرء ، وقراءة ، وقرآناً ويسمى الزجاج كلام الله الذي أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم : كتاباً وقرآناً ، وفرقاً ومعنى القرآن: الجمع ومنها قوله تعالى: ((إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ))(٣) ، أي قراءته ، قال ابن عباس رضي الله عنه : فإذا بيناه لك فاعمل بما بيناه ، و قرأت الشيء قرآناً : أي جمعته و ضممت بعضه إلى بعض وقال أبو بكر بن مجاهد المقرئ : كان أبو بكر عمر بن العلاء : لا يهزم القرآن^(٤) .

٣- وذهب اللحياني^(٥) إلى أن القرآن مهموز أيضاً ولكنه على مصدر كالفجران ، والقراءة .معنى التلاوة وسمي به المقروء من تسميته المفعول بالمصدر ، وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدر في قوله تعالى ((إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ))(٦) ، أي قراءته^(٧) .

قال الزرقاني : فلفظ القرآن مهموز ، وإذا حذف الهمزة فإنما ذلك للتخفيف^(٨) .

٤- ذهب الفراء^(٩) إلى أن لفظ القرآن غير مهموز، ولكنه مشتق من القرائن، (جمع قرينة) لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضاً^(١٠) .

(١) إسماعيل أحمد الطحان ، دراسات حول القرآن الكريم ، ط ٢ ، مكتبة الفلاح ، الكويت، ١٩٨٨م ، ص ١٢ .

(٢) علي القفطي، ت ٦٤٦هـ ، أنباء الرواة على أنباء النحاة، ط ١، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٥م .، قال الزجاج هو : إبراهيم بن السري المكي ويكنى أبا إسحاق صاحب كتاب معاني القرآن توفي سنة ٣١١هـ .

(٣) سورة القيامة آية رقم ١٧

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ١ ص ١٢٨ .

(٥) أبو الحسن علي بن حازم اللغوي المشهور توفي سنة ٢١٥هـ، في كتاب مناهل العرفان للزرقاني .

(٦) سورة القيامة آية رقم ١٧

(٧) ابن منظور ، لسان العرب ، ط ١ ، ج ١، مرجع سابق، ص ١٢٨ .

(٨) محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن .، ط ١ ، ج ٢ ، تحقيق مكتبة البحوث والدراسات ، ١٩٩٦م ، ص ١ .

(٩) الفراء : هو أحد نحاة الكوفة وأئمتها المشهورين في اللغة واسمه يحيى بن زياد الديلمي، ويكنى أبا زكريا ، له كتاب في معاني القرآن توفي سنة ٢٠٧هـ ، انظر وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، ج ٢ / ص ٢٢٨ .

(١٠) عبد الرحمن بن كمال السيوطي ، ت ٩١١هـ، الإتقان في علوم القرآن ، ج ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ص ١٤٤ ، دون طبعة .

-وذهب الأشعري^(١) أيضاً إلى أن لفظ القرآن غير مهموز ، ولكنه مشتق من قرن الشيء بالشيء إذا ضمه إليه ؛ لأن السور والآيات تقرن فيه ويضم بعضها إلى بعض ، وعلى مذهب الأشعري تكون نون القرآن أصلية^(٢) .

الترجيح بين الآراء :

من خلال الأقوال السابقة نرى أن الشافعي والفراء يقولان بأن القرآن غير مهموز وأن الزجاج واللحياني يقولان بأن القرآن مهموز .

يقول زررور : وبغض النظر عن أصل اشتقاق هذا اللفظ وعلى دقة ما ذهب إليه اللحياني فإن القرآن بهذا اللفظ المعروف صار علماً شخصياً على الكتاب المعجز الموحى به من الله، والمنزل على محمد عليه الصلاة والسلام الخاتم ، وسمى به هذا الكتاب كما سميت التوراة والإنجيل، قال تعالى : ((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ))^(٣) (٤)

يقول الزرقاني : وعلى الرأي المختار فلفظ القرآن مهموز^(٥) .

وأميل إلى الرأي القائل بأن القرآن مهموز من قرأ يقرأ قرآناً ؛ لأن القراءة هنا بمعنى التلاوة ، وسمى به المقروء وهو القرآن ، ولأن القراءة بالهمزة هي ما كان عليه العلماء من حيث النطق والمعنى ، وهو مشتق من القراء بمعنى الجمع .

قال نور الدين عتر : أصح الآراء أن لفظ القرآن مصدر مهموز على وزن غفران بمعنى القراءة ومنه قوله : " إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ أَي قراءته"^(٦) يقول الطحان بعد أن عدد الآراء : " أرجح المذاهب في تأصيل هذا اللفظ : وأدناها إلى قواعد الاشتقاق وموارد اللغة وهو أن لفظ القرآن مهموز على وزن فعلان المصدر"^(٧) .

(١) الإمام أبو الحسن بن إسماعيل الأشعري ، الذي تنسب إليه الطائفة الأشعرية ، وكتبه مشهورة في الرد على المتدعة من الجهمية والخوارج والرافضة ، توفي سنة ٣٢٤ هـ ، انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ، ج١، ص٣٢٦ .

(٢) محمد بن عبد الله الزركشي ، ت٧٩٤هـ، البرهان في علوم القرآن ، ج١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩١هـ ، ص ٢٧٨ ، دط .

(٣) الإسراء آية ٩ .

(٤) عدنان محمد زررور ، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه ، ط١ ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٩٥ م ، ص٤٥ .

(٥) الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص١٢ .

(٦) نور الدين عتر ، علوم القرآن الكريم ، ط٦ ، مطبعة الصباح ، دمشق ، ١٩٩٦ م ، ص١٠ .

(٧) الطحان ، دراسات حول القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص١٢ .

المطلب الثاني : مفهوم القرآن الكريم في الاصطلاح .

معلوم أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى ، وهو غير كلام البشر ، ومعلوم أن الإنسان له كلام قد يراد به المعنى المصدرى ، أي التكلم ، وقد يراد به المعنى الحاصل بالمصدر إي المتكلم به، وكل هذين المعنيين لفظي ونفسي، ولذلك فكلام الله في القرآن هو اللفظ المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس الممتاز بخصائصه بأنه الكلام المعجز المنزل على النبي ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته^(١).

جاء في كتاب مباحث في علوم القرآن : " والقرآن الكريم يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص ، بحيث يكون تعريفه حداً حقيقياً ، والحد الحقيقي له هو : استحضاره معهوداً في الذهن أو مشاهداً بالحس ، وكأنه يشير إليه مكتوباً في المصحف أو مقروءاً باللسان فنقول : هو ما بين الدفتين ، أو نقول هو : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين إلى قوله تعالى من الجنة والناس " (٢) .

(وقد خص القرآن الكريم بالمنزل على محمد عليه السلام فصار له كالعلم الشخصي ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن، وعلى كل آية من آياته، فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول إنه يقرأ القرآن)^(٣)
جاء في كتاب دراسات حول القرآن : " و القرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم للهداية والإعجاز ، المنقول إلينا بالتواتر ، المدون في المصاحف ، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس ، المتعبد بتلاوته " (٤) .

يقول صاحبك (مدخل إلى التفسير) : " قال أكثرهم في تعريف القرآن الكريم: هو الكلام المعجز ، المنزل على النبي عليه السلام ، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته، وأوجز بعضهم فقال: القرآن هو كلام الله المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ، المتعبد بتلاوته " (٥) .

وبناء على ما سبق ، فإن كل من عرف القرآن انطلق من وجهة معينة ، وله دليله على ما أفاد.

يقول نور الدين عتر : " فقد تعددت تعاريف العلماء للقرآن ، بسبب تعدد الزوايا التي ينظر العلماء منها إلى القرآن؛ وإن كان التعبير بأنه الكلام المعجز كافياً "؛ ولكنه يقول : " فالقرآن هو كلام الله المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المتعبد بتلاوته المعجز ولو بسورة منه " (٦)

شرح التعريف : (" الكلام " جنس شامل لكل كلام، وإضافته إلى الله تعالى تمييزه من كلام من سواه ، سواء أكان من الإنس أم من غيرهم ، وكلام الله : إبعاد كل كلام لغير الله مهما كان عظيماً عن أن يسمى قرآناً .

" المنزل " مخرج للكلام الإلهي الذي استأثر به في نفسه ، أو ألقاه إلى ملائكته ، ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر ، إذ ليس كل كلام الله تعالى منزلاً بل الذي أنزل منه قليل من كثير قال تعالى : (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) (٧) .

(١) الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، مرجع سابق، ج ١٥ ، ص ١ ، أنظر : صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، طبعة ١٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٥ ، ص ٣٥ .

(٢) مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن الكريم ، ط ٧ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٢١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٤) الطحان ، دراسات حول القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

(٥) زرزور ، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

(٦) عتر ، علوم القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

(٧) الكهف آية ١٠٩ .

وقال تعالى : (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنَ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) ^(١)

ومعنى "على محمد": احتراز مما أنزل على الأنبياء السابقين من قبله من التوراة والإنجيل والزيور والصحف .
"المكتوب في المصاحف" : مزية للقرآن أنه دون وحفظ بالكتابة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وبإشرافه ، ثم قام الصحابة بجمع القرآن ، وأجمع الصحابة على تجريد المصحف من كل ما ليس قرآناً .
ومعنى " المتعبد بتلاوته" أي المأمور بقراءته في الصلاة وغيرها ، على وجه العبادة ، لإخراج ما لم يؤمر بتلاوته ، من ذلك كالقراءات المنقولة إلينا بطرق الأحاد ، ومجرد تلاوة القرآن عبادة يثاب عليها المؤمن ولا تصح الصلاة بتلاوة شيء غير القرآن .

"المعجز" حيث وقع به التحدي ولو بأقصر سورة لأنه كلام الله تعالى .
وهذا التعريف السابق : وهو أن القرآن هو كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف ، المتعبد بتلاوته ، المعجز ولو بسورة منه ، والمنقول بالتواتر ، وهو الذي عليه علماء الأصول والفقهاء وعلماء العربية ^(٢) وهو الذي أميل إليه لجمعه عناصر التعريف ، ولأن كلام الله تعالى له الشهرة العظيمة الكبيرة ، فعندما نقول : القرآن الكريم ينصرف الذهن إليه ، مما جعل الزرقاني وغيره يقول : " لم يكن لكتاب من الكتب شهرة القرآن ، ولذا كان غنياً عن التعريف ، ومن هنا لا نجد الأولين من أئمة المسلمين يضمنون بتعريفه ، وكانوا إذا تكلموا عنه تكلموا عن بيانه للأحكام وأما الذين خاضوا في التعريف فهم المتأخرون " ^(٣) .

^(١) لقمان آية ٢٧ .

^(٢) صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، ط ١٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٥ ، ص ٢٥ .

^(٣) محمد الزفزاف ، التعريف بالقرآن والحديث ، ط ٤ ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٩٨٤ م ، ص ١٥ .

المبحث الثالث : مفهوم العهد الجديد لغة واصطلاحاً :

المطلب الأول : العهد الجديد لغة .

العهد : عَهْدٌ عَهْدًا عَهودًا ويعني : الميثاق .

يقصد بكلمة العهد ما يرادف معنى الميثاق : أي أنها تمثل ميثاقاً أخذه الله على الناس^(١) ، ويمثل ميثاقاً جديداً من عهد عيسى عليه السلام ؛ لأن بعض العهد القديم كالكتب الخمسة في التوراة من عهد موسى عليه السلام .
والجديد : ضد الخلق ، والعرب تقول : الأمر بيننا أخضر أي جديد لم تَخْلَقْ المودة بيننا، وجمع جديد جُدُد، وأصله وقياسه جُدُد^(٢) .

والشيء يجدد بالكسر جدّة فهو جديد، وهو خلاف القديم ، وجديد على وزن فعيل ، بمعنى مفعول، وجدد فلان الأمر وأجدّه واستجدّه إذا أحدثه فتنجدد^(٣) وإذا أطلق هذا المصطلح (العهد الجديد) بهذه الصورة انصرف الذهن إلى الكتاب المقدس عند المسيحية وهو العهد الجديد ، الذي يشتمل على الأناجيل الأربعة بالإضافة إلى رسائلها .

(١) علي عبد الواحد وافي ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة ، دار نخضة مصر للطباعة ، مصر ، ص٨٤.

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ط١ ، ج٤ ، مرجع سابق، ص٢٤٣ ، حرف الدال فصل جدّد .

(٣) الفيومي ، المصباح المنير ، مرجع سابق ، ص٩٢ .

المطلب الثاني : مفهوم العهد الجديد اصطلاحاً :

يقصد بالعهد الجديد عند النصارى مجموعة المصنفات المقدسة التي خُتمَ فيها ميثاق الميراث السماوي للمسيحيين ، وهو مجموعة الأسفار التي كتبها رجال الله القديسون بإلهام الروح القدس في أوقات مختلفة^(١) "حيث كان الكتاب المقدس قبل أن يكون مجموعة أسفار تراثاً شعبياً لا سند له إلا الذاكرة ، وهي العامل الوحيد الذي اعتمد عليه في نقل الأفكار وكان هذا التراث يعني "^(٢) .

والكتاب المقدس بهذا المعنى يعني : ذلك الكتاب الذي يحتوي على العهدين ، العهد القديم، وتضم الكتب الخمسة التي أنزلها الله على سيدنا موسى عليه السلام، وتضم أيضاً الأسفار من الكتابات والأنبياء التي كتبت بعد موسى عليه السلام. والعهد الجديد ويضم : الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه الصلاة والسلام، وتضم أيضاً الأسفار التي كتبت بعد عيسى عليه السلام ، وهذه الكتب (التوراة والإنجيل) حفظها الله تعالى إلى نهاية زمن النبي عيسى و موسى عليهما السلام ، ولما انتهى عهد موسى عليه السلام بموته ، وعيسى عليه السلام برفعه انتهى الحفظ لهذه الكتب (التوراة والإنجيل) ، ثم بدأ التحريف والتغيير والتبديل^(٣) .

(١) رؤوف شلي ، يا أهل الكتاب تعالوا ، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ، المنصورة ، مصر ، ١٩٨٥ ، ص١٣٧ .

(٢) موريس بوكاي ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص٢٠ .

(٣) انتهى عهد حفظ الإنجيل برفع عيسى ، وانتهى عهد التوراة بموت موسى عليه السلام ، ولم يبق محفوظاً إلا القرآن الكريم ، لأن الله تكفل بحفظه إلى قيام الساعة .

المطلب الثالث : التعريف بأسفار العهد الجديد .

الكتاب المقدس يضم في جنباته العهدين ، العهد القديم ، وتضم التوراة التي نزلت على موسى، والأسفار مثل الكتابات والأنبياء، والعهد الجديد ويضم الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل، والرسائل الكاثوليكية ، ومشاهدات يوحنا ، ومجموع العهدين (الكتاب المقدس) يساوي ٤٦ سفرًا منها ٣٩ سفر للعهد القديم و٢٧ سفر للعهد الجديد .

"حيث استقر رأي المسيحيين في أوائل القرن الخامس الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفرًا من أسفارهم ، وقرروا أنها وحدها الأسفار المقدسة ، أي موحى بها إلى أصحابها من الرب .بمعانيها لا بألفاظها ، وأطلق عليها اسم العهد الجديد ، للمقابلة بينها وبين ما اعتمد من أسفار اليهود المقدسة التي أطلقوا عليها اسم العهد القديم"^(١)، وتتألف أسفار العهد الجديد من ثلاث مجموعات وسفرين على النحو التالي:

المجموعة الأولى : وهي مجموعة الأناجيل وعددها أربعة .

المجموعة الثانية : وهي مجموعة رسائل بولس وعددها أربع عشر رسالة .

المجموعة الثالثة : مجموعة الرسائل الكاثوليكية وعددها : سبع رسائل .

أمّا السفران : السفر الأول : سفر أعمال الرسل للوقا .

السفر الثاني : سفر رؤيا يوحنا^(٢) .

المجموعة الأولى : الأناجيل^(٣) الأربعة وهي :

١. ((إنجيل متى ، ومتى : هو أحد الحوارين الإثنا عشر ، وكان من جباة الضرائب للرومان، وكان يعمل صرافاً في

كفرناحوم ، وألفه متى بناء على طلب المؤمنين بعد صعود السيد المسيح، باللغة الآرامية ، وقيل بالعبرية ، ثم ترجم إلى اليونانية ، وهي التي وصلت إلينا دون معرفة بأصله ، وقد اختلف فيمن ترجمه ، كما اختلف في زمن تأليفه ، ويتكلم إنجيل متى عن نسب المسيح وميلاده ، وعن بعض أحكام الشريعة ، وبعض الوصايا والتعاليم .

٢. إنجيل مرقص : و اسمه يوحنا وأصله من اليهود ، وهو أحد السبعين رسولاً ، وقد صاحب الرسول بولس وخاله القديس برنابا^(٤) ، في رحلتها التبشيرية ، ثم صاحب بطرس كبير الحوارين ، ويتكلم هذا الإنجيل عن المعجزات ، والأحداث المتعلقة بآلام المسيح ثم عن نهاية الزمن ، وهذا الإنجيل هو أقصر الأناجيل الأربعة وأقدمها .

٣. إنجيل لوقا : ولوقا : طبيب أنطاكي ، وقيل مصور إيطالي ، اعتنق المسيحية ، ورافقه الرسول بولس في كثير من رحلاته ، ووجه في شكل رسائل إلى صديق له يدعى (ثاوفيلس)، يقول جيروم : و لوقا مجهول وأبعد أن يكون مقدساً . ويتكلم هذا الإنجيل عن المخلص للعالم ، وعن المسيح الإنسان الكامل والطبيب .

٤. إنجيل يوحنا : ويوحنا كان يعمل صياداً ، مع أبيه وأخيه يعقوب ، وكان يوحنا أحب الحوارين إلى المسيح ثم أطلق عليه (الحواري الحبيب)، وينسب إليه الإنجيل الرابع المعتمد عند المسيحيين ، وهو كتاب مقدس عندهم . و يتكلم هذا الإنجيل عن أزلية المسيح، ويذكر شهادات اليهود، ويسرد الأحداث إلى التلاميذ^(٥) .

(١) وافي ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، مرجع سابق ، ص٨٥

(٢) جمعية الكتاب المقدس ، كتاب الحياة ، مرجع سابق ، ص٥-٦ .

(٣) معنى الإنجيل : البشارة بالمسيح مخلص العالم وهذا عند المسيحية .

(٤) برنابا : اسمه يوسف ، وهو وبولس رسولان في المسيحية ، انظر كتاب الأسفار المقدسة لعلي وافي ص٧٥ .

(٥) وافي ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، مرجع سابق، ص ٧٨ - ٨٥، بتصرف.

المجموعة الثانية : رسائل بولس^(١) وعددها أربعة عشر رسالة .

((معنى الرسائل في الاصطلاح الكنسي: الأسفار التعليمية التي تحكي مواعظ وأحوال السيد المسيح في مقابل ما تحكيه الأناجيل من الأخبار الماضية .

ويمكن اعتبار هذا الكتاب سجلاً تاريخياً لنشأة الكنيسة وامتدادها نتيجة لتنفيذ الرسل وصية بشاراة الإنجيل في أورشليم ، ومنطقة اليهودية كلها ، وفي السامرة وإلى أقاصي الأرض ، وكان بولس صاحب الرسائل من أكثر المضطهدين حماسة يتحول إلى رسول إلى الأمم يحمل الإنجيل في أرجاء الإمبراطورية الرومانية))^(٢)

المجموعة الثالثة : مجموعة الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل .

((وتحتوي هذه الرسائل على الصبر على المحن ، وتجنب الأخطار ، والإقتداء بالمسيح ، وممارسة الإيمان والتقوى ، وأن المسيح ابن الله وهو الحياة الأبدية))^(٣) .

((أما السفران فهما : السفر الأول : سفر أعمال الرسل للوقا (رسالة يهوذا) يدعو فيها إلى التمسك بتعاليم المسيح والثبات على الإيمان .

السفر الثاني : سفر رؤيا يوحنا : وهو كتاب إعلان الله ليوحنا في اضطهاده يدعو فيها إلى الثبات في المسيح رغم المحن))^(٤) .

جاء في كتاب (معالم الهدم والتدمير) " إن علماء النصارى يقرون في كتبهم ومؤتمراتهم وخاصة في مؤتمر روما في الفاتيكان عام ١٩٨٠ م ، بأن الأناجيل الأربعة المتداولة قد تم اختيارها من حوالي مائة إنجيل كانت منتشرة بين النصارى في القرن الرابع الميلادي"^(٥)

(١) بولس : رجل يهودي من طرسوس ، نشب بالتراث اليوناني على يد أساتذة الفلسفة .

(٢) كتاب الحياة ، الكتاب المقدس ، ط٦ ، ١٩٩٥ م ، العهد الجديد ، ص١٧١ ، وهذه هي الطبعة الكاثوليكية التي اعتمدها .

(٣) المرجع السابق ، ص٣٦٢ . مع التحفظ على بعض الألفاظ مثل لفظ ابن الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

(٤) المرجع السابق ، ص٣٧٣ .

(٥) إبراهيم سليمان الجيهان ، معالم الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير ، ط٤ ، عالم الكتاب ، الرياض ، ١٩٨١ ، ص٤٣ .

نتائج الفصل التمهيدي :

في ضوء ما سبق توصلت إلى النتائج التالية :

١ إن التسامح يغدو نوعاً من الكرم والتفضل والجود ، وليس حقاً يستحقه الآخر .

٢- إن العهد الجديد يرجع في معانيه إلى جذور العهد القديم ، بمعنى أنه يأخذ ويعتمد على العهد القديم في كثير من موضوعاته .

٣- العهد الجديد يعني ذلك الكتاب المقدس عند النصارى ، ويضم الإنجيل الذي ينسب إلى عيسى عليه الصلاة والسلام ، و العهد القديم ويضم التوراة التي تنسب إلى موسى عليه السلام .

الفصل الأول

الفصل الأول: الألفاظ المقاربة والمغايرة والمشابهة

ويحتوي هذا الفصل على مبحثين :

المبحث الأول : الألفاظ المقاربة والمغايرة والمشابهة للتسامح في القرآن الكريم

المبحث الثاني: الألفاظ المقاربة والمغايرة للتسامح في العهد الجديد

المطلب الأول : الألفاظ المقاربة للتسامح في القرآن الكريم.

إن الله سبحانه وتعالى أكرم هذه الأمة بهذا القرآن العظيم ، الذي خاطب الله تعالى به العالمين ، حيث جعلنا الله من خلاله الأمة الوسط، في الخطاب والتعامل، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)^(١) ، في فكرنا وعقيدتنا وحياتنا كلها ، ومن هنا جاءت الآيات الكريمة التي تدعو إلى الوسطية والمحبة والرحمة والتسامح والعطف والعفو؛ ولذا فإن الخطاب القرآني احتوى هذه الألفاظ ، وجعلها نبراساً لتعاملنا مع غيرنا من أصحاب الديانات المختلفة ، ومنهجياً لتلك الأخوة الإنسانية .

وفي هذا الإطار ، لا بد من النظر إلى تلك الآيات القرآنية التي احتوت هذا الخطاب القرآني في السمو والتسامح ، وما حام حول هذه المعاني من ألفاظ دالة على هذا المعنى .

إن التسامح كلفظ ومصطلح ورد في الكتاب العظيم بمعانٍ مختلفة ، تارة بمعنى العفو ، وتارة بمعنى المغفرة ، وأخرى بمعنى المحبة ، ولذلك سيكون حديثنا يدور في هذا المطلب حول الألفاظ المقاربة للتسامح في كتاب الله تعالى ، وبعد التمعن في نصوص الكتاب الكريم ، وجدت أن من الألفاظ المقاربة للتسامح ما يلي : ١- لفظ الصفح ومشتقاته^(٢) " تصفحوا ، وليصفحوا ، اصفح ، اصفحاً " وهذه الألفاظ جاءت في سياقات مختلفة لتدل على التسامح، وهذه الآيات على النحو التالي:

(١) سورة البقرة / ١٤٣

(٢) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٤٠٩ .

- جاء لفظ "تصفحوا" في قوله تعالى : " وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (١) .
 ولفظ " وليصفحوا " قال تعالى : " وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ " (٢) .
 ولفظ " اصفح " قال تعالى : " فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " (٣) .
 و قال تعالى : " وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ " (٤) .
 و قال تعالى : " فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ " (٥) .
 ولفظ " اصفحوا " قال تعالى : " فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ " (٦) .
 ولفظ " الصفح " قال تعالى : " وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ " (٧) .
 ولفظ " صفحاً " قال تعالى : " أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ " (٨) .

وجملة هذه الآيات دالة على معنى من معاني التسامح ، فالله تعالى أمر بالصفح ، وأمر رسوله بأن يصفح ويسامح المشركين ويقول سلاماً ، وهذا الصفح من الرسول عليه الصلاة و السلام هو الصفح الحسن الكامل وهو الجميل ، حيث أمر الله المؤمنين بأن يصفحوا عن غيرهم حتى يكون المجتمع متآخ متحاب لا يحمل بعضهم في صدره شيء تجاه أخيه المسلم ، جاء في التفسير : لما صبر رسول الله عليه السلام على أذى قومه رغبه الله بالصفح عن سيئاتهم ، فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم إعراضاً جميلاً بحلم وإغضاء ، والمقصود من ذلك أن يظهر الخلق الحسن والصفح ولا يبالي بهم ، ولا يلتفت إلى لومهم ، حيث أمره الله تعالى وفي ضمنه منعه من أن يدعو عليهم بالعذاب (٩) .

(١) سورة التغابن آية رقم ١٤ .

(٢) سورة النور آية رقم ٢٢ .

(٣) سورة المائدة آية رقم ١٣ .

(٤) سورة الحجر آية رقم ٨٥ .

(٥) سورة الزخرف آية رقم ٨٩ .

(٦) سورة البقرة آية رقم ١٠٩ .

(٧) سورة الحجر آية رقم ٨٥ .

(٨) سورة الزخرف آية رقم ٥ .

(٩) محمد الرازي ، ت ٦٠٤ هـ ، تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب) ، ج ١٠ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص ٢١٥ .

اللفظ الثاني : من الألفاظ المقاربة للتسامح لفظ (المغفرة) ومشتقاته^(١) وهي : (غفر ، تغفر ، يغفروا ، يغفرون) . ورد لفظ " غفر " في قوله تعالى : " وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ " ^(٢) .
ورد لفظ " تغفر " في قوله تعالى : " وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " ^(٣) . وأيضاً " وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لَتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ " ^(٤) ، ورد لفظ " تغفروا " في قوله تعالى : " وَإِنْ تَغْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَتَّعَبُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " ^(٥) ، ورد لفظ " يغفروا " في قوله تعالى " فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ " ^(٦) . وقوله : " أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ " ^(٧) . وقوله " لَنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " ^(٨) . ورد لفظ " يغفروا " في قوله تعالى : " قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ " ^(٩) . ورد لفظ " يغفرون " في قوله تعالى : " وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ " ^(١٠)

وهناك ألفاظ كثيرة في هذا المعنى اقتصر على ما يناسب المقام ، حيث جاء في التفسير :

أمر الله من خلال الآيات الأمر بالمغفرة ، المؤمن أن يتجاوز ويغفر ويسامح ، ويتحمل الأذى من الأعداء ، حيث أمر الله بالصبر على أذى أهل الكتاب ليكون ذلك كالتأليف لهم ؛ لذلك إذا غفر المؤمنون عن أعدائهم في الدنيا فإن الله يجازيهم في الآخرة ^(١١) .

في ضوء ما سبق يعلق صاحب كتاب (مفاتيح الغيب) بقوله : " إن الله تعالى لما قال : والذين إذا أصابهم البغي ... أردفه بما يدل على أن ذلك الانتصار يجب أن يكون مقيداً بالمثل ، لأن النقصان ضعف ، والزيادة ظلم والتساهل هو العدل ، وبه قامت السماوات والأرض ، ولهذا قال : " وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا " ^(١٢) .

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٥٠٠

(٢) سورة الشورى آية رقم ٤٣ .

(٣) سورة المائدة آية رقم ١١٨ .

(٤) سورة نوح آية رقم ٧ .

(٥) سورة التباين آية رقم ١٤ .

(٦) سورة البقرة آية رقم ٢٨٤ .

(٧) سورة النور آية رقم ٢٢ .

(٨) سورة الأعراف آية رقم ١٤٩ .

(٩) سورة الحائية آية رقم ١٤ .

(١٠) سورة الشورى آية رقم ٣٧ .

(١١) إسماعيل بن كثير ، ت ٧٧٤هـ ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ص ١٤٩ بتصرف يسير

(١٢) الرازي ، مفاتيح الغيب ، ورجع سابق ، ج ١٢ ، ص ١٧٩ . * سورة الشورى آية ٤٠ .

اللفظ الثالث : ومن الألفاظ المقاربة لفظ (الإحسان) ومشتقاته^(١) وهي : (حُسْنَا ، أَحْسَنُوا ، أَحْسَن ، وَأَحْسِن ، الإحسان) ورد لفظ : "حَسَنًا" في قوله تعالى : " وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا " ^(٢) .
ورد لفظ : " أَحْسَنُوا " في قوله تعالى : " وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " ^(٣) .
ورد لفظ : " أَحْسَن " في قوله تعالى : " وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ " ^(٤) ورد لفظ " أَحْسَن " في قوله تعالى : " وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " ^(٥) وقوله : " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " ^(٦) .
ورد لفظ " الإحسان " في قوله تعالى : " هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ " ^(٧) .
هذه المعاني منها من صرح بالتسامح مثل " وأحسبوا " ، ومنها من أشار إليه كما في قوله تعالى : " هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ " ، ومعنى الإحسان هنا : الإتيان بالأقوال والأفعال على وجه الإتيان ، والإحكام ، وإيصال الخير إلى الغير ، ومن إحسان الله عطفه على عباده ، وبره بجميع خلقه ، فإنه لم يبخل عليهم بالرزق ، وهو أيضاً بار بالمحسن بمضاعفة الثواب ، وهو بار بالمحسن بالصفح والتجاوز ^(٨) ، والإحسان أعلى مراتب الدين ، إلا أن فيه التفاوت والمقامات ، قال عليه السلام : (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ^(٩) ، وهناك لطيفة جميلة ذكرها صاحب كتاب (موسوعة أخلاق القرآن) بقوله : " إن الإحسان لا يتعارض مع تأديب الفاسقين ، وكبح جماح المتجربين ، ومقاومة المعتدين الذين يتبرون ويتجردون من دواعي الاستجابة لمعاملة الدفع بالأحسن ؛ ولذلك لا يليق الإحسان والعفو والصفح إلى المسيء عند الاعتداء على الدين ، ولا يليق مع الخارجين على أمر الله بغياً وعدواناً والخائنين للأمة والوطن ، فهؤلاء المتبردون لا بد من أخذهم أخذاً وبيلاً ، وعقابهم عقاباً أليماً ، وإلا ضاعت الحرمات ، وتهدم المجتمع " ^(١٠) ، وبناء على ما سبق أقول : إن هذه الآيات دالة على مكارم الأخلاق ، ومنها الإحسان بالأدب وكظم الغيظ والسماحة والتسامح ، ولا شك أن السلام والتسامح هو من مبادئ الإسلام الحسنة .

اللفظ الرابع : ومن الألفاظ المقاربة لفظ (العفو) ومشتقاته^(١١) (عَفُو ، عَفَا ، تَعَفَّوْا ، يَعْفُوا ، وَاَعْفُ ، فَاعْفُ ، الْعَفْوُ ، الْعَافِينَ)

ورد لفظ " عفو " في قوله تعالى : " ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَّوْا " ^(١٢) .
ورد لفظ " عفا " في قوله تعالى : " فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ " ^(١٣) . ورد لفظ " تعفوا " في قوله تعالى : " وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى " ^(١٤) . وأيضاً : " وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا " ^(١٥) .

(١) محمد فواد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٢٠٤ .

(٢) سورة البقرة آية ٨٣

(٣) سورة البقرة آية رقم ١٩٥

(٤) سورة القصص آية رقم ٧٧

(٥) سورة العنكبوت آية ٤٦

(٦) سورة فصلت آية رقم ٣٤

(٧) سورة الرحمن آية رقم ٦٠

(٨) أحمد عبد الجواد ، والله الأسماء الحسنى ، ط ١ ، دار الكلب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص ١٧٤ .

(٩) عبد الله أحمد ، الإحسان في القرآن الكريم ، كلية الدراسات الفقهية والقانونية ، رسالة ماجستير ، جامعة آل البيت ، الفرق ، ٢٠٠٢ ، ص ١٤٠ .

(١٠) أحمد الشراصي ، موسوعة أخلاق القرآن ، ط ١ ، ج ٣ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ١٢١ ، بتصرف يسير

(١١) محمد فواد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٤٦٦ .

(١٢) سورة الأعراف آية ٩٥ .

(١٣) سورة الشورى آية رقم ٤٠ .

(١٤) سورة البقرة آية رقم ٢٣٧ .

(١٥) سورة التغابن آية رقم ١٤ .

ورد لفظ "يعفون" في قوله تعالى : " إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ " (١) .

وأيضاً : " وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ " (٢) .

ورد لفظ "واعف" في قوله تعالى : " وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا " (٣)

ورد لفظ "فاعف" في قوله تعالى : " فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ " (٤)

ورد لفظ "العفو" في قوله تعالى : " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ " (٥)

ورد لفظ "العافين" في قوله تعالى : " وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ " (٦) .

اشتملت هذه المعاني على دعوة المؤمنين إلى العفو ، وان أجر الذي يعفو على الله ؛ لأن العفو أقرب للتقوى ، وأيضاً لأن الله يسامح عن السيئات ويعفو عنها ، وهكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتسامح مع غيره ، ولا أدل على ذلك ما فعله أهل مكة برسول الله من الأذى الخ .

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٣٧ .

(٢) سورة الشورى آية رقم ٢٥ .

(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦ .

(٤) سورة المائدة آية رقم ١٣ .

(٥) سورة الأعراف آية رقم ١٩٩ .

(٦) سورة آل عمران آية رقم ١٣٤ .

اللفظ الخامس : لفظ (البر) ومشتقاته^(١) .

ورد لفظ (البر) في قوله تعالى: "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ"^(٢)، وأيضاً : " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ " ^(٣) .

جاء في التفسير: في قوله تعالى : لا ينهاكم الله تدل الآية على جواز البر بالمشركين ، من حيث الوفاء بالعهد ، والعدل ، والمعنى لا ينهاكم الله عن الميرة بمؤلاء ، وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء ، وهذه رحمة لهم مع شدتهم في العداوة^(٤) وهذا فيه إشارة إلى الصفح والتسامح عن المشركين . يقول صاحب تفسير القاسمي في هذا المجال : "أمر الله بالبر والإحسان ، والقسط ، وهو العدل ، فهذا غير منهي عنه ، بل مأمور به في حقهم ، وهذا في جميع أصناف الملل والأديان، أن تبروهم وتصلوهم ، وتقسطوا إليهم"^(٥) .

جاء في حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه قالت : قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذا عاهدوا ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله : إن أمي قدمت وهي راغبة ، أفصلها ؟ قال : نعم ، صل أمك^(٦) .

وفي الآية الثانية في قوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) ، جاء في التفسير: في الآية إشارة إلى العفو والصفح من حيث البر والتعاون على التقوى ، حيث أمر الله تعالى الجميع بالتعاون على البر والتقوى ، والبر والتقوى هما لفظ واحد ، كما قال قوم ، وكرر للمبالغة ، إذ كل بر تقوى ، وكل تقوى بر ، وفي هذا تسامح^(٧) ما .

اللفظ السادس : ومن الألفاظ المقاربة لفظ (الصبر) .

ورد لفظ الصبر في قوله تعالى : " وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ، وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ " ^(٨) .

جاء في التفسير : أمر الله المؤمنين بالصفح عن المشركين ، بعدما حصل مع حمزة يوم أحد ، والآية ندب إلى العدل والفضل وعدم المماثلة^(٩) ، ويعلق صاحب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان على هذه الآية بقوله : " ومع أن القرآن الكريم أباح للرسول المقابلة بالمثل إلا أنه قد حبه في العفو والصفح عن المثلة ، وحض على الإحسان ؛ لأن الإساءة التي تقابل بالحسن تؤدي في الغالب إلى إطفاء نيران العدوان والبغضاء والحقد من المعتدي ، ويكون لها الأثر الطيب في نحو آثارها ، وإحلال المودة والمحبة مكانها ؛ ولأنه أيضاً لا يستوي فعل العفو أو المعاقبة بالمثل ، ولا يستوي الخلق الطيب ، ولا الإساءة ، ولهذا صبر النبي عليه الصلاة والسلام ، ولم يعاقب بالمثل ؛ لأن الصبر هو خير ، ثم أمره الله أن لا يحزن عليهم ، ولا يصيبه الضيق"^(١٠) .

(١) محمد فواد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٤٦٦ .

(٢) سورة الممتحنة آية رقم ٨ .

(٣) سورة المائدة آية رقم ٢ .

(٤) الرازي ، مفاتيح الغيب ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، ص ٣٠٥ .

(٥) محمد القاسمي ، تفسير القاسمي (محاسن التأويل) ، ط ٢ ، ج ١٦ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ١٢٨ .

(٦) أخرجه البخاري ، كتاب الهبة ، باب الهدية للمشركين ، برقم ١٢٧٢ ، وأخرجه مسلم ، كتاب الزكاة ، برقم ٤٩ - ٥٠ .

(٧) عبد الحق بن عطية ، الأندلسي ، انحرور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ط ١ ، ج ٤ ، تحقيق عبد الله الأنصاري ، وعبد العال إبراهيم ، الدوحة ، قطر ، ١٩٨٢ ، ص ٣٢٢ .

(٨) سورة النحل آية رقم ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٩) سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، ط ٤ ، ج ٦ ، دار السلام للطباعة والنشر ، ١٩٩٣ ، ص ١٢٥ .

(١٠) عبد الرحمن السعدي ، ت ١٩٥٦ م ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ط ١ ، تحقيق عبد الرحمن اللويحي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ص ٧٤٩ ، بتصرف .

وقد أشار القرآن الكريم إلى معنى التسامح في سورة يوسف في قوله تعالى : " لَّا تَثْرِبَ عَلَیْكُمْ الْیَوْمَ یَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ " ، وقوله " قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ" وقوله: " قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (١) جاء في مقال التسامح : " هل عاقب يوسف إخوته ؟ بل عفا عنهم لأن هذه هي خلق المتقين ، أما الأب ، فمع ما أصابه من أولاده صفح عنهم وعفا عنهم ، واستغفر لهم ، وما دعا عليهم ، وما زجرهم أو هجرهم ، ولكنه عاملهم بالعفو والصفح والمسامحة ، وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم أيضاً آذاه قومه وأخرجوه من بلاده ... فقال يوم فتح مكة : اذهبوا فأنتم الطلقاء" (٢) .

جاء في تفسير الآية: " لا لوم ولا تعنيف عليكم في هذا اليوم الذي هو مظنته ، ولكن لكم عندي الصفح والعفو ؛ لأن الله يغفر أي: يغفر لكم عن ذنوبكم ، وظلمكم ، وهو أرحم الراحمين لمن أفلح عن ذنبه ، وأناب إلى طاعته بالتوبة من معصيته ، ثم إن يعقوب عليه السلام أمنهم من خوف الانتقام ، تعجلاً بالسرور ، بالنعمة الجديدة ، التي جعل الله أمرها بين يديه ، وليروا ويرى الناس فضل العفو عند القدرة ، وليكن لهم في ذلك أحسن الأسوة ، وفي هذا من ضرورة التربية أكبر العظة (٣)"

(١) سورة يوسف آية ٩٢ / ٩٨ / ٩٩

(٢) عصام الجفري ، الإسلام دين التسامح ، موقع صيد الفوائد ، من الإنترنت ، دون ت .

(٣) أحمد المراغي ، تفسير المراغي ، ج ٥ ، دار الفكر ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٥ .

المطلب الثاني : الألفاظ المغايرة للتسامح في القرآن الكريم .

إن الحديث عن الألفاظ المغايرة يعني : الألفاظ التي تؤدي معنى مضاد للتسامح ، وإذا كنا قد ذكرنا أن الألفاظ المقاربة جاءت لتوافق معنى التسامح ؛ فإن الألفاظ المغايرة تأتي لتدل على معنى لا يتناسب مع لفظ التسامح، وبعد البحث في ثنايا القرآن الكريم وجدت أن من أهم هذه الألفاظ هي : (الغلو ، التطرف ، الإرهاب ، التعصب ، التعنت) .
اللفظ الأول : الغلو والتطرف .

الغلو لغة : يقال : غال في الأمر غلوًا : أي جاوز الحد ، أو مجاوزة حد الاعتدال أو عدم التوسط^(١) .

قال ابن فارس : الغين واللام والحرف المعتل أصل يدل على ارتفاع و مجاوزة قدر^(٢)

وفي لسان العرب : غلا في الدين و الأمر يغلو غلوًا : جاوز حده ، والغلو في الدين : التشدد فيه ومجاوزة الحد ، والغالي

إنما اشتقت من الغلو الذي هو التجاوز لقدر ما يجب ، ويقال : غلوت بالسهم غلوًا إذا رميت به أبعد مما تقدر عليه^(٣) .

الغلو اصطلاحاً : تجاوز الحد الشرعي المشروع في المعتقد والسلوك ، ومن ذلك قوله تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي

دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ)^(٤).

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم لوسيط ، ط ٢ ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٥٥٥ .

(٢) ابن فارس ، ت ٣٩٥ هـ ، معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٨٧ ، مادة غلوي .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١١٢ مادة : غلا .

(٤) سورة المائدة آية ٧٧ .

فالغلاة بالدين لا ينعوتون أفكارهم بالغلو والتطرف بل يرون أنها العدل المنفق مع القرآن الكريم والسنة المطهرة^(١) اللفظ الثاني: التطرف فمعناه لغة: لم ترد كلمة التطرف في القرآن الكريم صراحة، وإنما هي لفظة محدثة تعطي معنى قريب من معنى الغلو، ووردت في المعنى اللغوي، كطرف العين في وصف الحور العين في أربعة مواضع في القرآن الكريم، ووردت في معنى الطائفة أو الفئة أو الجانب في قوله تعالى "لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبَتُهُمْ فَيَقْبَلُوا خَائِبِينَ"^(٢). فإذا كان التطرف يعني الوقوف في أحد الجوانب بعيداً عن الوسط المراد؛ فإن هذا التطرف قد يكون إفراطاً أو تفريطاً، فيكون ذلك قريباً من الغلو والتشدد وبغير حق، والتطرف بشقيه الإفراط والتفريط يشترك مع الغلو في المعنى، وجاء عند أهل اللغة أن لكلمة التطرف معنيين:

١- حد الشيء وطرفه، وهذا الذي يعيننا .
٢- بمعنى الحركة في بعض الأعضاء، وذلك أن الطاء والراء والفاء أصلان، الأول يدل على حد الشيء، وطرفه والثاني يدل على حركة في بعض الأعضاء^(٣).
وجاء في المعجم الوسيط: تجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط^(٤).

جاء في مقال التطرف: والطرف هو الناحية من الشيء يقال تطرف إذا انتحى ناحية الشيء أي: ابتعد عن لبه ووسطه. اصطلاحاً: الابتعاد عن الوسط الذي هو العدل المقرر ميزانه في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والانحياز إلى أحد طرفيه المتجه إلى تكلف الشدة أو المتجه إلى قصد التساهل والتخلص من المسؤولية^(٥).
أقول: ومن معاني التطرف: الغلو في العقيدة، أو فكر أو مذهب أو غيره مما يختص به دين أو جماعة أو حزب.
وقد يطلق الغلو ويراد به التطرف كما في قول الشاعر:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد
كلا طرفي قصد الأمور ذميم^(٦)

مما سبق يتضح أن الغلو والتطرف هما شيء واحد في المعنى، واللفظ مختلف، ولا مشاحة في الاصطلاح مادامت الحقيقة واحدة، ولذلك نجد النصوص الشرعية في معرض التحذير من التطرف وذمه بألفاظ عدة، وكلها تؤدي المعنى نفسه مثل الغلو والتشدد والتنطع^(٧).

أقول: يأتي من الغلو التطرف والتنطع والتكبر عن الوسطية التي تميز هذا الدين، وعن السماحة التي وصفت بها هذه الملة الحنيفة، وعن اليسر التي اتسمت بها التكاليف في هذه الشريعة، إنه الغلو الذي هلك به من كان قبلنا، ممن غلا في العقيدة أو غلا في العبادة، أو غلا في السلوك، قال تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ))^(٨).

(١) محمد سعيد رمضان البوطي، الغلو والتطرف والإرهاب وموقف الإسلام منها، هدي الإسلام، المجلد رقم (٥٠)، العدد الأول، ٢٠٠٦م، ص ١٦.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٢٧.

(٣) ابن فارس، ت ٣٩٥ هـ، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج ٣، ص ٤٤٧، بتصريف يسير.

(٤) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص ٥٧٥.

(٥) البوطي، الغلو والتطرف والإرهاب، مرجع سابق، ص ١٦.

(٦) محمد أحمد الذهبي، ت ٧٤٨ هـ، تاريخ الإسلام، ط ٥، ج ١، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٨٤٤.

(٧) مديرية الإفتاء في القوات المسلحة الأردنية، مضامين رسالة عمان، ط ١، المطابع العسكرية، عمان

٢٠٠٦م، ص ١٦٦.

(٨) سورة المائدة آية ٧٧.

وجاء في الحديث : (إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين))^(١) ، وأيضاً قوله عليه السلام : (هلك المتطعون)^(٢) . أي المتعمقون و المجاوزين الحدود في أقوالهم وأفعالهم .

وقوله : (لا تشددوا على أنفسكم ، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم)^(٣) .

جاء في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم : فمجازرة الحد بأن يزداد في الشيء في حمده أو ذمه ، على ما يستحق هو الغلو^(٤) وقال تعالى في ذم النصارى الذين غلو في عيسى عليه السلام فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) المائدة آية ٧٢^(٥)

التعصب : لغة مأخوذ من عصب ، ويتفرع منها معاني كثيرة ، فيقال : عصبية أي جماعة من الرجال وسميت عصبية لأنها عصبت أي : ربطت بعضها، وعصبت رأسه بالعصا والسيف تعصبياً^(٦)

وعلى هذا ، فالتعصب : اجتماع أكثر من نفر على أمر أو مسألة ، فكأنهم أصبحوا نصراء لهذا الأمر ومؤيدين له ، فالتعصب هو غال في الأمر ومتشدداً فيه فهو إما أن يغلوا أو يتطرف وكلاهما منبوذان عند الله ورسوله وعند البشر ، قال تعالى : (قَالُوا لَئِن أَكَلَهُ الذُّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ)"^(٧) وقوله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ))^(٨) وقد تكلم صاحب كتاب (أخلاقنا الاجتماعية) حول التعصب ، وبين أن منه المحمود والمذموم فقال : " من حق الفرد أن يدافع عن حياته ، ويتعصب لهذا الحق ، ومن أراد العدوان على حياتك ، فدفعته بكل ما تملك من وسيلة كنت معذوراً في نظر الشريعة والقانون ، ولا يفكر بأن يعيبك على ذلك و أن ينعتك بالتعصب إلا رجل مخبول لا عقل له ، وقل مثل ذلك في الحق والحرية والعمل والكسب ، وهكذا يكون تعصب الإنسان لحقوقه الأساسية ، ودفاعه عنها فضيلة يحمدها عليها ، وتسامحه فيها نقيصة يذم عليها ، ويلام من أجلها ، وكذلك حقوق الجماعة كحق الكرامة ، والسعادة فهي حقوق مقدسة ، لذلك فتعصب الفرد لحقوقه الضرورية وتعصبه لحقوق أمته وبلاده خلق كريم ، يعود على المجتمع بالخير وتفريطه بذلك وتسامحه فيه خلق ذميم ينشأ عنه كل فوضى في المجتمع ، والمثال عليه : موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه من مانعي الزكاة .

فالدين في حقيقته ، طريق حب للناس وسلام فيما بينهم ، قال صلى الله عليه وسلم : ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) رواه البخاري ومسلم^(٩) .

فمن تمسك بالدين وتعصب له ، فقد تعصب للحق والخير والعدل ، ومن تساهل فيه وأعرض عنه كان متساهلاً في هدم كيان المجتمع ، وإشاعة الشرور والعدوان والظلم فيه ، والمتعصب لدينه من أبل الناس نفساً ، وأقواهم رحمة ، وأكثرهم شعوراً بالمعاني الإنسانية النبيلة ، أنظر إلى النبي عليه السلام في موقفه مع عمه أبي طالب في التسامح في الدين والمبادئ ، قال

(١) أخرجه أحمد ج ١ ص ٢١٥ ، والنسائي في المناسك ، باب التقاط الحصى و ابن ماجه و الحاكم و ابن خزيمة ، و ابن حبان عن ابن عباس كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٢٦٨٠ .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب العلم ، باب هلك المتطعون ، برقم ٢٦٧٠ .

(٣) أخرجه أبو داود ، برقم ٤٩٠٤ ، ج ٢ ص ٦٩٣ / قال الألباني : ضعيف ، انظر ضعيف الجامع برقم ٦٢٣٢ ، ج ١ ص ١٤٣٩ .

(٤) أحمد ابن تيمية ، ت ٧٢٨ هـ ، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، ط ٢ ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٦٩ هـ ، ص ٢٨٩ .

(٥) محمد حامد الناصر ، بدع الاعتقاد ، ط ١ ، مكة المكرمة ، ١٤١٥ هـ ، ص ٩٤ .

(٦) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ، ج ٤ ص ٣٣٦ ، مادة عصب .

(٧) سورة يوسف آية رقم ١٤ .

(٨) سورة النور آية رقم ١١ .

(٩) أخرجه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب من الإيمان أن يحب ... برقم الحديث ١٣ / ج ١ ص ١٤ ، وأخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من

حصل الإيمان أن يحب ... برقم ٤٥ / ج ١ ص ٦٧ ، وأخرجه الترمذي ، برقم ٢٥١٥ ، ج ٤ ص ٦٦٧ ، قال الألباني : صحيح .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه))^(١) إنه صاحب رسالة يتعصب لها ويصمم على المضي في سبيلها ، ولو وقفت الدنيا في وجهه .

أما التعصب الذميمة فهو: أن تضطهد مخالفيك في العقيدة ، وتحقد عليهم وتسيء معاملتهم ، وتسلب أموالهم ، وتهمين كرامتهم ، فهذا هو سبيل الشقاء والخراب في الحياة ، وهذا ما نهي عنه كل دين وحق ، وهذا هو ما جاء الإسلام للقضاء عليه ، قال تعالى : " لَّا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ " (٢) الممتحنة آية ٨ ، هذا هو الخلق الذي يكشف عن سماحة الدين ويسره " (٣)

التعنت :

يأتي هذا اللفظ بمعنى التشديد قال تعالى : " لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ " (٤) وقوله تعالى : " لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ " (٥) وقوله : " ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ " (٦) .

وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم)^(٧) جاء في التفسير: يعز على الرسول عيه السلام الشيء الذي يعنت أمتة ويشق عليها ، ولهذا جاء في الحديث (بعثت بالحنفية السمحة)^(٨) ، وأيضاً (إن الدين يسر)^(٩) وشريعته كلها سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله عليه .^(١٠)

فلا يوجد في هدى النبي ما يجرج الناس في دينهم ، أو يرهقهم في دنياهم ، بل هو يقول عن نفسه (إن الله لم يعثني معنتاً ولا متعنتاً ، ولكن بعثني معلماً ميسراً)^(١١) وأيضاً لو أن الرسول أطاعهم فيما يختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وحرركم ومشتقتكم^(١٢) .

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة ، ج ١ ، ص ٣٢٩ ، والبيهقي في الدلائل ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ، وابن جرير في التاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٢١ ، من طريق ابن إسحاق عن يعقوب بن الأحنس ، وهو إسناد معضل ، وأخرجه البخاري في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥١ ، ورواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وأبو يعلى ورجال أبو يعلى رجال الصحيح ، قال الألباني : ليس له إسناد ثابت ، وقد أوردته في السلسلة الضعيفة برقم : ٩٠٩ ، وأورده ابن هشام في السيرة ، ج ٢ ، ص ١٠١ .

(٢) سورة الممتحنة آية رقم ٨ .

(٣) مصطفى السباعي ، أخلاقنا الاجتماعية ، ط ٤ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٧هـ ، ص ٩٦ - ١٠١ .

(٤) سورة التوبة آية رقم ١٢٩ .

(٥) سورة الحجرات آية رقم ٧ .

(٦) سورة النساء آية رقم ٢٥ .

(٧) أخرجه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب الحسد .

(٨) رواه الطبراني عن أبي أمامة وفي سنده راو ضعيف ، برقم ٧٧١٥ .

(٩) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ، برقم ٣٩ ، ج ١ ، ص ٢٣ ، والنسائي برقم : ٥٠٣٤ ، قال الألباني صحيح .

(١٠) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ٤٠٣ .

(١١) أخرجه مسلم ، كتاب الطلاق ، برقم ١٤٧٨ .

(١٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٠٣ .

وحيثما بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أبا موسى ومعاذاً إلى اليمن أوصاهما بوصية موجزة جامعة ((يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلعا))، ويقول معلم لأمته ((يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا))^(١) .
الإرهاب :

لغة : مصدر أُرهب ، يُرهب ، ويدل على الفزع والخوف^(٢) ، قال تعالى : " وَإِيَّايَ فَآرْهُبُونِي"^(٣) قال القرطبي :
والرُّهْبُ والرَّهْبَةُ : الخوف ويتضمن الأمر معنى التهديد.^(٤)
ورهب إرهاباً بالكسر وهو الإخافة والتخويف^(٥) .

اصطلاحاً: يقول البوطي : " من اليسر تحديد معنى كل من التطرف والغلو لغة واصطلاحاً ، ولكن ليس من اليسر تحديد المعنى المراد بالإرهاب اصطلاحاً ، ولا أعلم لهذه الكلمة إلى اليوم إلا معناها اللغوي ، وعلى الرغم مما هو معروف من أن معنى اصطلاحياً قد جدد لها في هذا العصر ، بل في السنوات الأخير، فإنني لم أتمكن من الكشف عنه والمراد به ، وكل ما أعرفه من ذيول هذه الكلمة أن هوليدو كانت ولا تزال تنتج أفلاماً يسمونها أفلام الرعب، وكلمة الرعب ككلمة هول ترجمة دقيقة لـ terrorism باللغة الإنجليزية "^(٦) ذعر...فضاعة ،

ومع ذلك فإن استعمال هذا المصطلح " الإرهاب " لعله يتمثل في إرهاب المعتدين على الحقوق والأوطان ، وهو إرهاب مشروع ومقدس ، أو في إرهاب السلطات في الدول لفرض قانون، أو في إرهاب السلطات القضائية ، أو إرهاب النظام التربوي من خلال أشكاله المختلفة، ولا بد أن نتعامل مع إرهاب المعتدين على الأوطان والحقوق من خلال قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) .، أما إذا استعمل هذا المصطلح ضد مصالح المسلمين فهو الإرهاب ضد المسلمين^(٧) ، جاء في تفسير قوله تعالى(ترهبون): " والمعنى إلقاء الرعب في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون ، ومن ورائهم ممن لا يعرفونهم أو لم يجهروا لهم بالعداوة والله يعلم سرائرهم وصفاتهم،

وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد بالفعل إليهم ، والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء ، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين ولتكون كلمة الله هي العليا وليكون الدين كله لله"^(٨) . جاء في تفسير أبي السعود: " والمعنى تخوفون به وتخزون أعداء الله"^(٩) ، يقول ابن عاشور "تضمنت الآية قتال الأعداء وإرهابهم وذمهم ؛ لأنهم أعداء ربه، وتخريض المسلمين على قتالهم إذا اعتدوا ولأنهم أعداء الرسول ؛ لأنهم صارحوه بالعداء وهم أعداء الإسلام ؛ لأن المسلمين أولياء دين الله والقائمون به وأنصاره "^(١٠) .

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، اللؤلؤ والمرجان ، برقم (١١٣١ و ٢١٣٠) ، دار الريان الحديثة ، القاهرة ، ١٩٨٧م.

(٢) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ٤٤٧٠ مادة رهب.

(٣) سورة البقرة آية ٤٠ .

(٤) القرطبي ، ت ٦٧١ هـ ، الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١ ص ١٨٤ .

(٥) ابن منظور ، ت ٧١١ هـ ، لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٣٦ مادة رهب.

(٦) البوطي ، الغلو والتطرف والإرهاب ، هدي الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

(٧) المرجع السابق ص ٢٤ ، *سورة الأنفال آية رقم ٦٠ .

(٨) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٥٤٤ .

(٩) محمد أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٢ .

(١٠) محمد بن عاشور ، التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٧٨٥ .

وفي القانون الدولي : الإرهاب هو رعب تنشره جماعة منظمة عامة أو خاصة ، على نطاق واسع ، أو محدود ، عن طريق استخدام وسائل العنف أو التهديد بها ، لتحقيق أهداف غير مشروعة في الإسلام^(١) .

وهو : "الشدة والخوف والتخويف الواقع على الفرد أو الجماعة ، وهو نوعان :

الأول : إحقاق أعداء الله من الكفرة المشركين بالجهاد في سبيل الله وإدخال الرعب في قلوبهم بالقوة ، لدفع شرهم وإخفاء ظلمهم ، وهذا النوع تقره الشريعة الإسلامية والقوانين الدولية ، قال تعالى : ((تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ))^(٢) .

الثاني : بمعنى تخويف الأمنيين ، وإدخال الرعب والفرع عليهم سواء كانوا مسلحين أم مستأمنين أو معاهدين من أهل الذمة أو غيرهم ، فهو على المسلمين حرابة ، وعلى غيرهم ظلم ، وفي الجميع إفساد في الأرض"^(٣)

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الإرهاب في قوله تعالى : "وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ"^(٤) .

الخلاصة : الإرهاب : استعمال العنف أو التهديد باستعمال العنف من أجل إحداث جو من الذعر بين أناس معينين ، ويستهدف العنف الإرهابي مجموعات دينية أو حكومات أو أحزاب أو شركات أو مؤسسات ، والإرهاب المشروع هو الذي ذكره القرآن الكريم ، أما المذموم فهو العنف والعدوان ، لذلك فإن الإسلام أبعد شيء عن إرهاب الناس وترويعهم ، وقتلهم ، وحين يفعل ذلك يفعله رداً على العدوان ، أو إيقافاً له^(٥) .

(١) إسماعيل الغزالي، الإرهاب الدولي، المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٩٠، ص ٢.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٦٠.

(٣) مديرية الإفتاء في القوات المسلحة الأردنية ، التطرف حقيقته وبواعثه ، ط ١، المطابع العسكرية ، عمان ٢٠٠٦ ، ص ٢٣.

(٤) الأعراف آية رقم ١١٦ ، .

(٥) جعفر شيخ إدريس ، موقع إسلام داون لاين ، تعريف الإرهاب ، سنة ٢٠٠٦ م .

مظاهر الغلو والتطرف :

- ١- التكفير : ويعني الستر والتغطية ، والكفر ضد الإيمان .
- ٢- التشديد : فالتشدد يأخذ الأمر بقوة وعنف ولا يأخذه برفق ولين ، وهذا مخالف لأوامر الدين؛ لأن التشديد يأتي من الذين يأخذون الدين بظاهره دون النظر لمقاصد الشريعة التي جاء بها الإسلام قال صلى الله عليه وسلم: (إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)^(١)
- وجاء في فتح الباري : المشادة : المغالبة ، والمعنى : لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغلب^(٢) . وفي هذا أقول : في هذا الحديث دعوة إلى نبذ الشدة وتركه والحذر من التنطع.
- ٣- العنف : وهو خلاف الرفق قال تعالى : "فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ"^(٣) .
- جاء في المنهاج: في هذه الآية ذم للعنف ، والحث على التخلق بالرفق؛ لأن الرفق سبب كل خير^(٤) فالمسلم يجب أن يكون رحيماً رقيقاً متسامحاً .
- ٤- التفريط : فالتفريط يعني الإهمال للشيء حتى يضيع، فإذا فرط الإنسان في شيء فإنه ينزل عن رتبته التي هي له ، وإذا أفرط في شيء فإنه يرتفع به عن الحد المقرر له ، لذلك يجب أن يكون المسلم متوازناً معتدلاً ولا يكون غالياً ولا مفرطاً.

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ، برقم ٣٩ ، ج ١ ، ص ٢٣ .

(٢) العسقلاني ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٨٨ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

(٤) محي الدين النووي، ت٦٧٦هـ ، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب رقم ٢٣ ، ص ٣٦١ .

المطلب الثالث : الألفاظ المشابهة للتسامح في القرآن الكريم:(الآيات القرآنية التي تبدو أنها متعارضة مع التسامح) .

نقصد بالآيات المشابهة : الآيات الواردة في القرآن الكريم ، والتي يفهم منها أنها تتعارض مع التسامح والمسامحة ، مثل آيات الولاء ، وآيات القتال للكافرين ، فأقول :

هناك آيات في القرآن الكريم تتشابه على الإنسان في فهم معانيها ، وإذا قرأها الإنسان على ظاهرها ، فهم منها معنى غير مراد ، وحكم من خلال هذا الفهم على الآيات بأن معناها كذا أو كذا ، دون النظر إلى أسباب ورودها .

جاء في مناهل العرفان: " والآيات المشابهة : هي التي لم يتضح معناها ، أو خفي معناها ، واحتمل أكثر من وجه ؛ لأن المشابه هو الذي لا يستقل بنفسه بل يحتاج إلى بيان"^(١).

جاء في فهم القرآن : " ينبغي لي أن أعرف الآيات المشككة حتى نفهم كتاب الله ، وحتى لا نغلط و نعتقد ما لا يرضي الله من المعاني فأبتدع بدعة أو أوجب فرضاً"^(٢).

مما سبق ذكره أقول : ورد في الكتاب العزيز آياتٌ يفهم منها أنها تحض على عدم اتخاذ أعداء الله أولياء ، أو الأمر بقتالهم ، أو الأمر بأخذ الجزية منهم ، أو قتلهم في كل مكان ، فهل يا ترى أن هذا الأمر على إطلاقه ؟ وأنه في كل حين ؟ أم أن هناك مناسبات وأحداث معينة تلجئ المسلمين إلى مثل هذا ؟ حيث نقاتل من قاتلنا ، ونأخذ الجزية من أعدائنا مقابل الحماية لهم في أرضنا !.

ونحن نتكلم عن التسامح فكيف لنا أن نفهم هذه الآيات في ضوء حديثنا عن السماحة والعفو والرحمة والرفق ... وغيرها ؟. وسأبين أن هذه الآيات لا تتعارض مع التسامح الذي ورد في معانيه المختلفة في القرآن الكريم ، والسؤال الذي يطرح كيف يدعو القرآن الكريم إلى التسامح والقرآن نفسه يحض ويأمر بالقتل في كل مكان لمن وجد من المشركين ؟ وللجواب على هذا لا بد من النظر إلى فحوى الخطاب القرآني .

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان ، ج ٢ ، تحقيق مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦ م ، ص ١٩٦ .

(٢) الحارث بن أسد المحاسبي ، فهم القرآن ومعانيه ، ط ٢ ، تحقيق حسين القوتلي ، دار الكندي ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ ، ص ٣٢٥ .

لقد تأمل سيد قطب -رحمه الله - هذه الآيات الآمرة بقتال الأعداء ، و الآيات الناهية عن اتخاذ الكافرين أولياء ، وهل هذه الآيات تتعارض مع آيات التسامح ؟ وبين من خلال فهمه الثاقب ، أن لكل زمن ما يناسبه ، فقال : " المقصود بالولاية التي ينهى الله الذين آمنوا عنها : التناصر والتحالف مع أهل الكتاب ، ولا تتعلق بمعنى إبتاعهم في دينهم ، فبعيد جداً أن يكون بين المسلمين من يميل إلى إبتاع اليهود والنصارى في الدين ! إنما هو ولاء التحالف والتناصر الذي كان يلتبس على المسلمين أمره ، فيحسون أنه جائز لهم .

إن سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء ، واتخاذهم أولياء شيء آخر ، ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين ووظيفته ، بوصفه حركة منهجية واقعية . هؤلاء الناس يخلطون بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب ، والبر بهم في المجتمع الذي يعيشون فيه ، وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله ولجماعة المسلمين ، ناسين ما يقرره القرآن الكريم من أن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة .

إن المسلم مطالب بالسماحة مع أهل الكتاب ، ولكنه منهي عن الولاء لهم ، بمعنى التناصر والتحالف معهم ، وإن طريقه لتمكين دينه ، وتحقيق نظامه المنفرد ، لا يمكن أن يلتقي مع طريق أهل الكتاب ، ومهما أبدى لهم من السماحة والمودة ، فإن هذا لن يبلغ أن يرضوا له على دينه .

وسذاجة إي سذاجة ، وغفلة أي غفلة ، أن نظن أن لنا وإياهم طريقاً واحداً نسلكه لتمكين الدين أمام الكفار والملحدين ! فهم مع الكفار والملحدين إذا كانت المعركة مع المسلمين ، فأهل الكتاب هم الذين شنوا الحروب الصليبية خلال مائتي عام ، وهم الذين ارتكبوا فضائح في الأندلس ، وهم الذين شردوا العرب المسلمين في فلسطين وأحلوا اليهود محلهم ، وهم الذين يشردون المسلمين في كل مكان ، في الحبشة و الصومال و أرتيريا والجزائر ، ويتعاونون مع الإلحاد والوثنية في يوغسلافيا والصين وتركستان والهند وفي كل مكان .

إن دعوة التسامح و السماحة التي هي طابع الإسلام لا تعني الولاء الذي يحذر منه القرآن . إن الذين يحاولون تمبيح هذه المفاسل الحاسمة باسم التسامح ، والتقريب بين أهل الأديان يخطئون في فهم معنى الأديان كما يخطئون في معنى التسامح ، فالدين هو الدين ، والتسامح يكون في المعاملات الشخصية لا في التصورات الاعتقادية" (١) .

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٩١٠ .

ومن الآيات التي يمكن أن تُشكل على الفارئ ما يلي:

(١) الآيات التي تتحدث عن عدم موالاته الكافرين: قوله تعالى: "لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ"^(١)، ومثلها في سورة المتحنة ((لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) آية رقم ١ وأيضاً في سورة المائدة "لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ" المائدة آية رقم ٥١ .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: " إنه لا يجتمع في قلب واحد حقيقة الإيمان بالله وموالاته أعدائه الذين يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ، فيتولون ويعرضون ، ومن ثم جاء التحذير الشديد وهذا التقرير الحاسم بخروج المسلم من إسلامه ، إذ هو والى من لا يرتضي أن يحكم كتاب الله في الحياة ، سواء كانت الموالاتة بمودة القلب ، أو بنصره ، أو باستنصاره سواء.... هكذا ليس من الله في شيء لا في صلة ، ولا نسبة ، ولا دين ، ولا عقيدة ، ولا رابطة ، ولا ولاية ، فهو بعيد عن الله منقطع الصلة تماماً في كل شيء تكون فيه الصلات ، ويرخص فقط بالتقية لمن خاف في بعض البلدان و الأوقات ، وكلها تقية اللسان ، لا ولاء القلب ولا ولاء العمل ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : (ليس التقية بالعمل ، إنما التقية باللسان) ، فليس من التقية المرخص فيها أن تقوم المودة بين المؤمن و بين الكافر، وليس من التقية المرخص بها أن يعاون المؤمن الكافر بالعمل في صورة من الصور باسم التقية ، فما يجوز هذا الخداع على الله ! "^(٢)

^(١) سورة آل عمران ، آية ٢٨ .

^(٢) قطب ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٨٦ .

(٢) الآيات التي تتحدث عن قتال الكافرين:

أ- قوله تعالى : "فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ" (١)

ب- وقوله تعالى: " قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنصِّرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ " (٢).

ج- وقوله: " قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ " (٣) .

إن الناظر في هذه الآيات يرى فيها دعوى إلى القتال وعدم التسامح، ولكن المتأمل في هذه النصوص الكريمة يجد فيها أن هذه الحالة : الأمرة بقتال الأعداء استثنائية لوجود قتال ضد المسلمين، فإذا تعرض المسلمون للقتال فلا بد من الرد بالمثل وأشد ! ، جاء في كتاب التعصب والتسامح: " هذه الآية وردت في المعتدين على الإسلام، المخربين لأهله ، وإلا فالإسلام يمد يده لمصافحة أتباع الأديان الأخرى ،لتحقيق التعاون على إقامة العدل ، ونشر الأمن ، وصيانة الدماء أن تسفك ، وحماية الحرمات أن تنتهك " (٤) .

(١) سورة التوبة آية رقم ٥ .

(٢) سورة التوبة آية رقم ١٤ .

(٣) سورة التوبة آية رقم ٢٩ .

(٤) محمد الغزالي ، التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية ، ط٣ ، فحضة مصر للطباعة والنشر ، مصر ، ٢٠٠٣ م ، ص٢٥ .

يقول صاحب كتاب (زاد المعاد) رحمه الله تعالى : " أمر الله تعالى محمداً أن ينذر عشيرته ، ثم قومه ، ثم من حوله من العرب ، فقام بضعة عشر سنة بعد نبوته ، ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية ، ويأمر بالكف والصبر والصفح ، ثم أذن له بالهجرة وأذن له بالقتال ، ثم أمره الله أن يقاتل من قاتله ، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله ، ثم أمر بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله ، ثم كان الكفار بعد الإذن بالقتال أقسام : أهل صلح وهدنة ، وأهل حرب ، وأهل ذمة ، فأمر أن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم ، وأن يوفي لهم به ما استقاموا على العهد ، فإن خاف منهم خيانة نبذ إليهم عهدهم ، ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد ، وأمر أن يقاتل من نقض العهد ، وجعل أهل العهد أقساماً : قسمٌ أمر بقتالهم ، وهم الذين نقضوا العهد فحاربهم ، وقسمٌ لهم عهد مؤقت لم ينقضوه فأمر أن يتم لهم عهدهم ، وقسمٌ لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه ، فأجلهم أربعة أشهر ، فقتل الناقض لعهد ، وأجل من لا عهد له أربعة أشهر وأتم للموфи عهده ، فأسلم هؤلاء ، وضرب على أهل الذمة الجزية فاستقر أمر الكفار على ثلاثة أقسام : محاربين له ، وأهل عهد ، وأهل ذمة" (١) .

وبناءً على ما سبق أقول : إن الإسلام لا يقاتل إلا الذين يقاتلون ، ولا أدل على ذلك من عقده صلح الحديبية مع المشركين ، وعقده معاهدةً مع اليهود في المدينة ، وهذه دلالة على تسامح الإسلام وأنه لا يقاتل إلا من قاتله .

(١) محمد بن القيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ط ١٤ ، ج ٣ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ - ص ١٤٣ بتصرف يسير .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى : في قوله تعالى : "فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ"^(١) .

" ولقد نبهنا على أن أهل التأويل والمفسرين يسمون هذه الآية بآية السيف ، ويعتبرونها ناسخة لكل آية فيها أمر بالتسامح والتساهل مع الأعداء وإمهاهم والإغضاء والصفح ، والإعراض عنهم وتوجب قتالهم إطلاقاً ، وبعضهم يستثني المعاهدين منهم إلى مدتهم ، وبعضهم لا يستثنيهم ، ولا يجوز قبول غير الإسلام منهم بعد نزولها ، ونبهنا على ما في ذلك من غلو ومناقضة للتقريرات القرآنية المتضمنة لأحكام محكمة بعدم قتال غير الأعداء ، وترك المسلمين والموادعين وبرهم والإقسطاء إليهم ، ومن العجيب أن الطبري^(٢) ذهب إلى أن هذه الآية تشمل المعاهدين ومن لا عهد لهم إطلاقاً دون تفریق ، مع أنه قرر في سياق آية الممتحنة (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ) الممتحنة آية ٨ ، أنها محكمة وأن الله لا ينهى المسلمين عن البر والإقسط ، لمن يقف موقف المسالمة والمحاسنة ، والحياد من أي ملة كانوا ، وهؤلاء قد لا يكونوا معاهدين ، كل هذه الآية كما هو واضح من فحواها وسياقها هي في صدد قتال المشركين المعاهدين الناقضين لعهدهم وحسب ، بحيث يسوغ القول أن اعتبارها آية السيف وجعلها شاملة لكل مشرك إطلاقاً ، تحمل لها ما لا يحمله هذا السياق والفحوى ... إنه منهج الهداية لا منهج الإبادة حتى وهو يتصدى لتأمين قاعدة الإسلام للإسلام "^(٣) .

من خلال ما سبق يظهر لنا : إن الإسلام دين سلام و تسامح وعقيدة ونظام ، يستهدف أن يظل العالم كله بظله ، وأن يقيم فيه منهجه ، وأن يجمع الناس تحت لواء الله ، أخوة متعاونين متسامحين متحابين ، وفي حالة الاعتداء يستبقي أسباب الود في النفوس والقلوب ، بسبب عدالته ومحبته وتسامحه مع الجميع .

(١) سورة التوبة آية رقم ٥ .

(٢) الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٣١٩ .

(٣) قطب ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٥٩٠ .

د- الآية الخامسة: قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ"^(١). كيف نوفق بين هذه الآية الأمر بجهاد الأعداء من الكفرة والمنافقين ، وبين دعوة القرآن إلى الصفح والإحسان و العفو والتسامح ؟

الجواب : إن المتأمل في هذا السياق القرآني يجد أن الأمر بقتال الكفرة والمنافقين لم يأت من فراغ ، بل جاء ليقيم سلطان الله في الأرض، وحتى تقام دعوة الله ، فإذا كانت هناك حواجز تحول دون نشر دعوة القرآن الكريم ، فلا بد من كسر هذه الحواجز ، حتى نبلغ دعوة الله . وإذا لم تنفع كلمة الوعظ والإرشاد بالحسنى واللين والتسامح ، فلا بد من اللجوء إلى أسلوب يحقق من خلال هذه الدعوة إلى الله تعالى .

يقول سيد قطب : "لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم لاین المنافقين كثيراً ، وأغضى عنهم كثيراً ، وصفح عنهم كثيراً ، فهذا هو ذا يبلغ الحلم غايته ، وتبلغ السماحة أجلها ، ويأمره ربه أن يبدأ معهم خطة جديدة ويلحقهم بالكافرين في النص ، ويكلفه جهاد هؤلاء جهاداً عنيفاً غليظاً لا رحمة فيه ولا هواده ، إن للين مواضعه وللشدة مواضعها ، فإذا انتهى أمد اللين فلتكن الشدة ، وإذا انقضى عهد المصابرة فليكن الحسم القاطع ، وللحركة مقتضياتها ، وللمنهج مراحلها ، واللين في بعض الأحيان قد يؤدي ، والمطاوله قد تضر"^(٢) ويقول أيضاً : " وتجمع الآية بين الكفار والمنافقين في الأمر بجهادهم ، والغلظة عليهم ؛ لأن كلاً من الفريقين يؤدي دوراً مماثلاً في تهديد المعسكر الإسلامي أو تحطيمه أو تقنينه ، فجهادهم هو الجهاد الواقعي من النار ، وجزائهم هو الغلظة عليهم من رسول الله والمؤمنين في الدنيا ، وفي الآخرة النار"^(٣) ، يقول الطبري: "أمر الله نبيه عليه السلام أن يجاهد الكفار بالسيف ويغلظ على المنافقين بالحدود ويشدد عليهم"^(٤) ، ويقول ابن كثير: "أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح وهؤلاء بإقامة الحدود عليهم"^(٥) ، قال الشوكاني: "أمر الله رسوله بأن يجاهد بالسيف والحجة ، وأن يشدد عليهم في الدعوة واستعمال الخشونة في أمرهم بالشرائع ، وجهادهم يكون بمقاتلتهم حتى يسلموا ، وجهاد المنافقين يكون بإقامة الحججة عليهم"^(٦)

(١) سورة التحريم آية رقم ٩

(٢) قطب ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٦٧٧ .

(٣) المرجع السابق، ج ٣، ص ١٦٧٧ .

(٤) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ج ١٢، ص ١٦٠ .

(٥) إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٤ ، ص ٥٠٥ .

(٦) محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير ، مرجع سابق، ج ٥، ص ٣٥٧ .

هـ- قال تعالى: "وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ" ^(١).

والسؤال حول هذه الآية: إذا كان القرآن يدعو إلى التسامح فلماذا يأمر بقتال الفئة التي لا ترضى بالصلح؟
الجواب: لا بد قبل الإجابة أن نقول إن القرآن الكريم أطلق على المؤمنين المتقاتلين صفة الإيمان، وهذا فيه جانب من جوانب التسامح الخطاب القرآني، فسامهم مؤمنين مع القتال، ومع ذلك فإن القرآن الكريم نهي عن القتال بين الفئة المؤمنة؛ وإذا حصل قتال، فإن الفئة المتقاتلة تخرج من المحبة والتسامح؛ لأن المؤمنين أخوة، والقتال بين المسلمين، يؤدي إلى شرخ في تلك الأخوة، ويعتبر هذا من فساد ذات البين، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((ألا إن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين)) ^(٢)، جاء في التفسير: ولهذا إذا استمر القتال، ولم تقبل الفئة الباغية بالصلح فيجب قتلها حتى تعود إلى الطريق المستقيم، وترجع إلى أمر الله ورسوله، وتسمع للحق وتطبقه ^(٣).

(١) سورة الحجرات آية رقم ٩.

(٢) أخرجه الترمذي، برقم ٢٥٠٩، ج ٤، ص ٦٦٣، قال الألباني: صحيح، قال الترمذي: هذا حديث صحيح، وأخرجه أحمد برقم: ١٤٣٠، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٣) ابن كثير، ت ٧٧٤هـ، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢١١.

المبحث الثاني : الألفاظ المقاربة والمغايرة للتسامح في العهد الجديد.

المطلب الأول : الألفاظ المقاربة للتسامح في العهد الجديد .

الألفاظ المقاربة هنا تعني : المعاني التي تتوافق وتشابه وتتلاءم مع التسامح كمصطلح موجود في العهد الجديد ، ولا ريب أن الأناجيل وأسفارها تحتوي على الألفاظ الصريحة ، كلفظ سامح ، أو ألفاظ غير صريحة ، وبعد دراسة متعمقة وهادفة لثنايا العهد الجديد ، توقفت عند بعض المصطلحات التي تتقارب مع التسامح ، وكانت على النحو الآتي :

المجموعة الأولى : وهي الألفاظ الصريحة التي وردت في العهد الجديد ، حيث ورد لفظ "سامح ،سمح ، تسامح ، مسامحاً ، تساهل "

جاء في الإنجيل : " اسبح الآن بذلك ، فهكذا يليق بنا أن نتم كل بر " (١) . وأيضاً " ذلك اللذين كله ساحتك به ، " (٢) و " ولكن إذا لم يكن عندهما ما يدفعانه وفاءً للذين ساحتهما كلهما " (٣) ، و " فأحرى بكم أن تساحوه وتشجعوه ، فمن تساحونه بشيء أسامحه أنا أيضاً ، وإن كنت أنا أيضاً قد ساحت ذلك الرجل بشيء ، فقد ساحتته من أجلكم " (٤) وفي الرسالة أيضاً " يجب أن تكون مسامحاً لنا جميعاً بالخطايا كلها البسوا دائماً عواطف الحنان ، واللطف والتواضع والوداعة ، وطول البال محتلمين بعضكم بعضاً ومسامحين بعضكم بعضاً " (٥)

وجاء في الرؤيا : " ولكن لي عليك أن تتساهل مع هذه المرأة إيزابيل التي تدعي أنها نبيه ، واني آتي سريعاً ومعى المكافأة لأجازي كل واحد بحسب عمله " (٦) .

في ضوء النصوص السابقة أجد أن التسامح ورد بألفاظ متعددة في الأناجيل وأسفار العهد الجديد الأخرى ، وهذا يدل على وجود هذه الألفاظ الصريحة في استعمالات مختلفة ، في مناسبات متعددة .

(١) إنجيل متى ، الإصحاح ٣ ، الفقرة ١٥ ، ورد في نسخة أخرى للعهد الجديد بلفظ أن نكمل كل بر ، والنسخة التي اعتمدها بلفظ أن تم كل بر ، وهذا يدل على اختلاف النسخ عن بعضها.

(٢) إنجيل متى إصحاح ١٨ ، فقرة ٣٣ .

(٣) إنجيل لوقا : إصحاح ٧ ، فقرة ٤٢ .

(٤) الرسالة الثانية إلى مؤمنين لورثوس ، إصحاح ٢ ، فقرة ٧ .

(٥) الرسالة إلى مؤمنين كولوسي : إصحاح ٢ ، فقرة ١٣ و إصحاح ٣ ، فقرة ١٣ .

(٦) سفر الرؤيا ، إصحاح: ٢ ، فقرة ٢٠ ، إصحاح ٢٢ ، فقرة ١٢ .

جاء في كتاب يؤس ورحمة: " أليس من الواجب أن نتسامح مع أختينا ونتصالح معه ؟ بالطبع نعم !على الأقل علينا أن نحاول معه ذلك ، ولا ننسى أن الأخ الذي قد نكون أسأتنا إليه ، لن يكون دائماً مستعداً لمُد يد لنا للمسامحةهكذا جاء في الإنجيل" (١) .

جاء في تفسير العهد الجديد : يجب عليك فحص القلوب ومسامحة الناس حسب أعمالهم الخاصة، وأن نتسامح مع كل أحد الصغير والكبير والمرأة (٢).

ومن التسامح و التساهل ما ورد في الإنجيل " من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الخد الآخر" (٣)
جاء في تفسير الإنجيل: " واللطم على الخد هو من أشنع الأساليب والإهانة والتحقير ، ويجب أن نحتمله بالصبر ، وإن كان الظالم لم يكتف بلطمة واحدة ، فليطم الثانية ، وهذا من محاولة اغتصاب مالنا ظلماً ، ومن أراد أن يقيم علينا دعوى كاذبة فلا نستमित في الدفاع عن أموالنا كأولاد العالم ، ولكن يجوز لنا أن نخبر القاضي بالحق ، وعلينا أن نخبر في الحق ، ثم نترك النتيجة إلى الله ، وكيفما انتهت المسألة نقبل ، وإن قيل إن التصرف على هذا النحو مستحيل ! وإن عرف الأشرار أننا على مبدأ كهذا فإنهم يسلبونا ، ويقتلعونا من الأرض ، ولكن هذا التصرف بحسب تعاليم سيدنا المسيح ليس مستحيلاً ؛ لأنه موجود لبعيننا وليحفظنا في جميع طرقنا" (٤) .

(١) جون كلود ساني ، يؤس ورحمة ، ط١ ، مطبعة الآباء ، القدس ، عمواس ، ١٩٩٤ ، ص ١٨ .

(٢) جمعية الكتاب المقدس ، تفسير العهد الجديد ، مرجع سابق ، ص ٦٣٩ ، بتصريف يسر

(٣) إنجيل متى ، إصحاح ٥ ، فقرة : ٣٩ .

(٤) بنيامين بنكرتن ، تفسير إنجيل متى ، ط٣ ، مكتبة البعثة البابوية ، عمان ، ١٩٨١ م ، ص ٨٧ .

هذا النص تم نقله حرفياً ؛ ومع ذلك احتوى على مغالطات كبيرة منها : أنه لا ترابط بين الجمل في الفقرة الواحدة ! وهذا يدل على ضعف الكتابة والنقطة ؛ وأيضاً فإن عبارة من لطمك على خدك ... تتناقض مع العرف والدين ؛ بل إن هذه الطريقة قمة في الذل والإهانة ، فهل يعقل كما يقول الكاتب هكذا أمر السيد المسيح ؟! إن السيد المسيح عليه الصلاة والسلام من هذا براء وغيره ، ولا يليق أن ينسب هذا للأتبياء عليهم السلام ، وأيضاً لا حدود ولا ضوابط لهذا التساهل ، وهذا يؤدي إلى السخرية من هذه الأوامر التي يتنزه عنها سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام .

المجموعة الثانية: من الألفاظ المقاربة للفظ التسامح لفظ: " المحبة ، التوبة ، الرحمة ، العفو ، الصفح ، البر ، الحكمة " .

أ- المحبة : ورد في العهد الجديد عبارات تدل على المحبة وحب الآخرين منها :

" أحب قريبك كنفسك"^(١) ، و"أحب قريبك وابغض عدوك"^(٢) .

جاء في تفسيرها" التسامح مع القريب وحبية ، وعدم ظلمه ، وعدم سلبه ، ويجب الحكم بالعدل له ، بغير مئة ولا اتهامات ، ولا سيما الخطير منها ، والتسامح هنا مع القريب ، وهو كل إنسان ، وجميع البشر هم أخوة لنا وأخوات ، يجب أن نحبهم وتسامح معهم ؛ لأن من أحب غيره أتم الشريعة ، والوصايا تقول : لا تزني ، ولا تقتل ، ولا تسرق ، وسواها من الوصايا مجتمعة في هذا كله "^(٣)

ب- المغفرة ، جاء في الإنجيل إشارة إلى هذا المعنى ، : " لذلك أقول لكم: كل خطيئة وتجديف يغفر لكم ، ومن قال كلمة ضد المسيح يغفر له "^(٤) ، وأيضاً : " قد غفرت لك خطاياك "^(٥) وأيضاً " الحق أقول لكم : إن جميع الخطايا تغفر لبني البشر حتى التجاديف التي يجدفونها "^(٦) و " ومتى وقفتم تصلون ، وكان لكم على أحد شيء ، فاغفروا له لكي تغفر لكم زلاتكم "^(٧) و " أيها الإنسان قد غفرت لك خطاياك لأنه لا يغفر الخطايا إلا الله وحده "^(٨) وأيضاً واغفر لنا خطايانا؛ لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا "^(٩) و: " اغفروا يغفر لكم وأعطوا تعطوا "^(١٠) و أيضاً " واغفر لنا خطايانا لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا وإن تاب فاغفر له وإن أخطأ إليك سبع مرات... فعليك أن تغفر له "^(١١) .

في ضوء ما سبق من هذا الألفاظ يظهر لنا : أن لفظ المغفرة ورد في الكتاب المقدس عند النصارى ، ولكن المغفرة أحياناً تنسب إلى شخص كعيسى عليه السلام ، ومعلوم أن عيسى عليه السلام بشر لا يستطيع أن يغفر ؛ لأن المغفرة لله وحده ، وما قيل عن السيد المسيح بأنه يغفر فهو تقوّل عليه دون علم ، إذا عرفنا أن السيد المسيح بشر وليس إلهاً .. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً !

وأيضاً فإن بعض العبارات لا تتفق مع الأصول الثابتة عندنا في القرآن الكريم، و ورغم أننا لا نسلّم بأن هذه النصوص الواردة هي من كلام رب العالمين ؛ بل هي كلام الكتبة الذين حرفوا وبدلوا ! أنظر ما نسب إلى عيسى عليه السلام من مصطلحات المغفرة مثل " قد غفرت لك خطاياك " فقد أخذها القسيسون من النصارى ، وأخذوا يغفرون للناس بحجة أن المسيح قد غفر، ومعلوم أن عيسى بشر فلا يستطيع أن يغفر خطيئة أحد، ولا خطيئة نفسه، ولكني كما أشرت سابقاً بأبني أتعامل مع نصوص واردة في كتاب العهد الجديد، مع يقيني التام أنها ليست من كلام رب العالمين؛ لأن الله لم يحفظ كتاب من الكتب السابقة إلا القرآن الكريم قال تعالى: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " (١٢) .

(١) إنجيل متى ، إصحاح ٢٢ ، فقرة : ٣٧ ، إنجيل مرقس ، إصحاح ١٢ ، فقرة ٣١ ، إنجيل يوحنا ، إصحاح ١٣ فقرة ٣٤

(٢) إنجيل متى ، إصحاح ٥ ، فقرة : ٤٣ .

(٣) بيتر قدروس ، أحيو أعداءكم ، ط١ ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧م ، ص١٤ .

(٤) إنجيل متى ، إصحاح ١٢ ، فقرة : ٣١ .

(٥) إنجيل مرقس ، إصحاح ٢ ، فقرة : ٥ ، إنجيل يوحنا ، إصحاح ١٣ ، فقرة ٣٤ .

(٦) إنجيل مرقس ، إصحاح ٣ ، فقرة ٢٨ .

(٧) إنجيل مرقس ، إصحاح ١١ ، فقرة ٢٥ .

(٨) إنجيل لوقا ، إصحاح ٥ ، فقرة : ٢٢ .

(٩) إنجيل لوقا ، إصحاح ١١ ، فقرة : ٤ .

(١٠) إنجيل لوقا ، إصحاح ٦ ، فقرة : ٣٧ .

(١١) إنجيل لوقا ، إصحاح ١١ ، فقرة : ٤ ، وإصحاح ١٧ ، فقرة ٣ .

(١٢) سورة الحجر آية ٩

جاء في كتاب (أقوال المسيح): " فإذا ما أخذنا هذا الإعلان في حد ذاته اعتقدنا أننا نرى مبدأ التسامح بالتبادل القانوني مطبقاً ، ومن ثم فإن مطلب الله بأن نغفر نحن ليست نتيجة حساب، بل هو شيء مسلّم به"^(١) ومع ما قاله الكاتب ؛ فإنه كلام غير دقيق ، وغير مسلّم به كما أشرت إلى هذا المعنى أكثر من مرة.

ج- الصفح : ومن الألفاظ المقاربة لفظ الصفح حيث ورد في أكثر من موطن منها:

"لأنني سأصفح عن آثامهم ، ولا أعود أبداً إلى تذكر خطاياهم ، ومخالفاتهم"^(٢)

وهذا من حيث المسامحة والتصفح ؛ فإنه لا غبار عليه ، ولكن يجب أن يكون المسامح والمصفح يعود إلى أصوله الحقيقية ، بمعنى أنني اصفح باسم الله تعالى الواحد الأحد ، ولا ينسب هذا التصفح إلى البشر ، حتى لا تقع في مغالطات فكرية كما هو الحال في لفظ المغفرة ، وبالتالي تكون النتيجة كما كانت في المغفرة !.

(١) جرمياس ، أقوال المسيح ، ط ١ ، تعريب الأب يوحنا عيسى ، بغداد ، ١٩٨٦ م ، ص ٥٤ .

(٢) الرسالة إلى العبرانيين ، إصحاح ٨ ، فقرة ١٢ .

جاء في كتاب (مشروع أخلاقي): " ينبغي أن نجد طريقاً يقود إلى مجتمع يعي أنه بحاجة دوماً إلى الصفح والتمجيد ، أي مجتمع يمجّد الإنسان ويكرّمه، من كل قلبه على حبه وعطاياه، وهذا من متطلبات هذا العصر؛ لأنه لا سلام عالمي دون صفح وتسامح وعفو" (١) ، وقد علق ميشال حكيم على هذا بقوله : " إن الإنسان يتعلم من الصفح الذي بقلبه هبة من الله ، ومن التوبة التي يمتلك بها هذا الصفح الإلهي، كيف يصفح للآخرين؟ وكيف يكون وسيطاً للصفح فيما بينهم؟ والمسيح يعكس صفحه عن الخطيئة ، حيث عبّر المسيح الذي بلغ ذروة الصفح والروعة ، عن مدى صفح الله عن الإنسان ، وعن حبه له حياً لا حد له ويتابع قوله: إن بشرى الصفح هذه تنبض في كل صفحة من صفحات الإنجيل ، ولن يغرب عن البال أن الإيمان والتوبة يلزمان كل صفح ، نرى ذلك في المرأة الخاطئة التي غفر لها المسيح ، والمرأة الزانية التي أعاد إليها كرامتها ! لذلك فإن الصفح الإلهي أسمى من العدالة ؛ ولأن رفض الصفح تشويه لصورة المسيح ؛ ولا ريب أن كلام المسيح قطعة من حياته التي دعا فيها إلى الصفح عن كل شيء" (٢) .

في ضوء النصوص السابقة يظهر لنا : أنه لا خلاف في التسامح والتصفح بين القرآن الكريم والعهد الجديد من حيث نفس الصفح ، ولكن الخلاف يقع في بعض النصوص التي حملت ما لم تحتمله ، حيث نسب إلى عيسى عليه السلام المغفرة لتلك المرأة ، أو تلك المرأة الزانية ، وهنا لا بد من وقفة وهي : أن الصفح والمغفرة لا بد لهما من ضوابط وأصول كما أشرت إليه سابقاً في المغفرة ؛ لأنه لا يملك تكفير الخطايا والصفح عنها بشر ، بل الذي يملك ذلك كله هو الله تعالى المنفرد بالإلهية سبحانه وتعالى ، أما البشر كعيسى عليه الصلاة والسلام وغيره فلا يملكون نفعاً ولا ضرراً إلا بأمر الله سبحانه وتعالى .

(١) هانس كينغ ، مشروع أخلاقي عالمي ، ط١ ، المكتبة البوليسية ، جونية ، لبنان ، ١٩٩٨ م ، ص ١٢٥

(٢) ميشال حكيم ، اصفح وأطلب الصفح ، ط١ ، منشورات طريق المحبة ، جوينية ، لبنان ، ٢٠٠١ م ، ص ص ٦٠-٦١ .

يعلق داريو على ما سبق من النصوص الواردة في التصامح بقوله : " عندما يرتكب أحد خطأ ولا يستطيع أن يعوض الضرر ؛ فإنه مستعدٌ عادةً لأن يطلب الصفح والمغفرة ؛ بينما عندما يطلب إليه هو أن يصفح عن خطيئة شخص آخر ؛ فإنه يجد الصعوبة أكبر في أن يتنازل عن حقوقه ، وهذا ما يخبرنا به يسوع ^(١) بقوله : لأني سأصفح عنكم ؛ وبناء عليه فإن على كل واحد منا أن يصفح عن أخيه ؛ لأنه ليس من الصعب فهم هذا المثل ، والأصعب من ذلك هو أن نعمل بموجب ما طلب إلينا المسيح أن نصفح ونغفر دون أن نطالب بتعويض الضرر ، ودون أن نحمل خطيئة ، ودون أن نستغل موقفنا القوي ، أو قوتنا تجاه شخص وهو مدين لنا بطريقة من الطرق " ^(٢) .

هـ- لفظ (العفو) : ورد لفظ العفو في ثنايا العهد الجديد أكثر من مرة منها : " في أعمال الرسل " وطلبتم العفو عن رجل " ^(٣) ، ومن العفو إحسان المعاملة ، وأيضاً : " أحسنوا معاملة الذين يبغضونكم " ^(٤) ، وهذا فيه إشارة إلى التسامح والعفو ؛ لأن العفو يدفع صاحبه إلى المسالمة والترفق ؛ كما أن العفو يؤدي إلى الأعمال الصالحة ، ويظهر العفو من خلال التعامل مع الغير ، وجاء أيضاً بأن عيسى عليه الصلاة والسلام عفا عن المرأة عفا عن صاحب الدين ، وعفا عن المرأة التي سكبت عليه العطر بقوله : " اتركوها لماذا تضايقونها " ^(٥) .

في ضوء ما ورد في العفو أجد أن العفو خلق من أخلاق الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام ، وبالتالي فإنه لا غرابة أن يتصف المسيح عليه الصلاة والسلام بهذا الخلق النبيل ، كغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(١) تستخدم هذه الكلمة في العهد الجديد لتدل على عيسى عليه الصلاة والسلام، وتعني المخلص .

(٢) داريو ، الوجيز في التعليم المسيحي الكاثوليكي ، ط ١ ، مكتبة البعثة البابوية ، عمان ، ١٩٩٧ ، ص ٩٩ .

(٣) أعمال الرسل ، إصحاح ٣ ، فقرة ١٤ .

(٤) إنجيل لوقا ، إصحاح ٦ ، فقرة ٢٧ .

(٥) إنجيل مرقس ، إصحاح ١٤ ، فقرة ٦ ، وإنجيل يوحنا ، إصحاح ١٢ ، فقرة ٧ .

المطلب الثاني : الألفاظ المغايرة للتسامح في العهد الجديد .

في ضوء دراستي لما مر من تعريف الألفاظ المغايرة ، أجد أن اللفظ الذي يؤدي معنى آخر خلافاً للمعنى الأصلي هو اللفظ المغاير ، فإذا كنت أبحث عن معنى التسامح _ وهو اللفظ الأصلي في الرسالة _ ؛ فإن المعنى المخالف للمعنى الأصلي هو ما يطلق عليه اللفظ المغاير ؛ هذا وإن العهد الجديد قد احتوى في ثنايا موضوعاته على نصوص تدل على المعنى المغاير للتسامح ، وقد استطعت أن أحصر هذه الألفاظ المغايرة في أهم المصطلحات التالية : " التعصب ، الاضطهاد ، القتل ، الطرد ، الغضب ، الإرهاب ، التطرف ، الرعب " (١) .

وهذه الألفاظ والمصطلحات سبق التعريف بها في مطلب الألفاظ المغايرة للتسامح في القرآن الكريم .

أ- لفظ التطرف : إذا أقيمت نظرة في ثنايا العهد الجديد أجد أن مصطلح التطرف موجود من خلال بعض الشعائر والأعمال التي يقوم بها المسيحيون ، ومن هذه الشعائر ما يسمى التعميد .

إن التعميد الذي يقوم به النصارى من خلال تعاليم العهد الجديد ، يدل على مدى إرتباك العقل ووصوله إلى هذا المستوى من الفهم ؛ بل يدل على عدم التروي في استخدام العقل ؛ بل على الممجيية التي تزرع في قلوب الأطفال والأبناء . ورد في الإنجيل : " فكانوا يتعمدون على يد يوحنا في نهر الأردن ، معترفين بخطاياهم " (٢) وأيضاً " ثم جاء يسوع في منطقة الجليل إلى نهر الأردن ، وقصد إلى يوحنا ليتعمد على يديه ، لكن يوحنا أخذ يمانعه قائلاً : أنا المحتاج أن أتعلم على يديك ، وأنت تأتي إلي ... فلما تعمد يسوع صعد من الماء في الحال ... " (٣) .

وحتى أجلي معنى التعميد لا بد من أسئلة تطرح . ما معنى التعميد ؟ وعن من تكفر الخطايا ؟ وهل الذين يعمدون كالأطفال اقترفوا الخطايا ، وما ذنب الذين ماتوا قبل المسيح ولم يتعمدوا ؟ ، وأسئلة كثيرة تطرح في هذا المجال وللجواب على هذه الأسئلة كان لي لقاءات مع بعض النصارى حول هذا الموضوع (٤) .

(١) جمعية الكتاب المقدس ، فهارس الكتاب المقدس ، ط ١ ، در الشروق ، جويبية ، لبنان ، ١٩٨٧ م ص ص ٣٢٠ - ٣٢٥ .

(٢) إنجيل متى ، إصحاح ٣ ، فقرة ٦ .

(٣) إنجيل متى ، إصحاح ٣ ، فقرات ١٣ - ١٦ .

(٤) تم اللقاء مع رئيس دير اللايتين الخوري نور سهاونه ، الحاصل على شهادة الماجستير في علم اللاهوت من الهيئة الإنجيلية الثقافية في عمان ، طريق المطار ، السيفويه ، بتاريخ ٦/٦/٢٠٠٦ م ، ١٠ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ - الثلاثاء ، ومع الأب مجدي في البعثة البابوية ، بجبل الحسين ، عمان ، بتاريخ ٥/٢٢ / ٢٠٠٦ م ، ٢٤ ربيع الثاني ، ١٤٢٧ هـ ، يوم الاثنين .

من خلال اللقاء السابق أقول :

أولاً معنى التعميد: هو أن يوضع شخص في ماء يؤخذ من نهر الأردن ، فيغمس فيه مرات عديدة عن طريق الراهب ، أو الخوري ، أو القس

ويعني التعميد أن تكفر خطايا هذا الشخص ، والمقصود بالخطايا هي التي ارتكبتها آدم عليه السلام في أكله الشجرة ، ثم صلب المسيح عليه السلام تكفيراً عن خطايا العالم ، ولا بد لكل إنسان من هذا التعميد حتى يكفر عن تلك الخطايا !!! ، والملاحظ أن هذه الخرافات صدقها الكبار منهم ؛ والسر في ذلك أنه لا دخل للعقل هناك ! والمؤمن يعلم أن الله سبحانه وتعالى تاب على آدم عليه السلام بقوله في القرآن الكريم " **ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى** " (١) ، ثم ما علاقة هذا الصلب (المزعوم بتكفير الخطايا) ، وما ذنب هؤلاء الأطفال الذين يعمدون ، فإنهم لم يقترفوا الآثام ، بل هم كالصفحة البيضاء النقية ، وليس عليهم ذنب ، والأمر الآخر هو أن المصلوب عيسى عليه السلام في زعمهم ، وهو المعاقب غير الذي أكل من الشجرة وهو آدم عليه السلام ، وأيضاً ما حال أولئك الذين ماتوا قبل صلب عيسى عليه السلام كما يزعمون ؟ إن عيسى عليه الصلاة والسلام براء ، وإن مسألة تكفير الخطايا عن آدم مختلقة ، بل هو جنوح عن الجادة ، والمنهج الحق ، وتطرف وإيذاء وسخرية واستهزاء ، فإلى متى سيفيق النصارى من سياهم في فهم لهذا الكتاب المحرف ! إنهم ضالون كما سماهم القرآن الكريم " **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** " (٢) ومع ذلك ما زال القسيسون منهم يؤمنون بهذا ، رغم المحاورات والمجادلات بالحسنى والتفسيرات ، بل زادوا على ذلك بقولهم : من لم يتعمد فهو كافر أو مخطئ ! .

ب- لفظ (القتل) ومعانيه : ورد هذا اللفظ عند الحديث عن سلوكياتهم في الإنجيل بقولهم ، " وعندما أدرك هيرودس أن الجوس سخروا منه استولى عليه الغضب الشديد ، فأرسل وقتل الصبيان في بيت لحم وجوارها " (٣) و " لا تظنوا أني جئت لأرسي سلاماً على الأرض ، ما جئت لأرسي سلاماً بل سيفاً ، فإني جئت لأجعل الإنسان خلاف أبيه ، والبنات مع أمهات والكنة مع حماقاتها وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته " (٤)

جاء في تفسير العهد الجديد " لما كانت بيت لحم صغيرة ، ولم يكن عدد الصبيان الذين قتلوا كبيراً ، وكانت هذه القساوة خفيفة بالنسبة إلى غيرها من أعمال هيرودس الفضيعة ؛ ولذلك لم يذكرها إلا البشير لسبب علاقته بحياة المسيح " (٥) .

(١) سورة طه آية رقم ١٢٢ .

(٢) سورة الفاتحة آية ٧ .

(٣) إنجيل متى ، إصحاح ٢ ، فقرة ١٦ .

(٤) إنجيل متى ، إصحاح ١٠ ، فقرات ٣٤ - ٣٧ .

(٥) جمعية الكتاب المقدس ، تفسير العهد الجديد ، مرجع سابق ، ص ٤ .

وفي تفسير النص الثاني: "لا تظنوا أنني جئت لأرسي سلاماً.....يقول في تفسيرها: والمعنى أن مقصد السلام لا الخصام، غير أنه في هذا العالم لا يحصل البشر على السلام الحقيقي، إلا بعد حرب شديدة بين قوات الخير والشر المتضادة"^(١). وفي ضوء النصوص السابقة أحد أن قتل الصبيان بحجة الدفاع عن النفس — كما سماه بعضهم — دلالة على التعصب وعدم الرحمة، بل إن التصريح بالتمييز بين الأخ وأخيه، دلالة على هذا التعصب وجنوح به إلى الغلو والاضطهاد والقتل.... المنهي عنه، وجاء في هذا المحور " طوبى للمضطهدين من أجل البر، فإنهم هكذا اضطهدوا الأنبياء من قبلكم"^(٢)، "وإذا اضطهدوكم في مدينة فاهربوا إلى غيرها"^(٣)

ج- لفظ (الطرد والضرب): ورد في الإنجيل: " ثم دخل يسوع الهيكل، وطرد من ساحته الذين الذين يبعون ويشترون، وقلب موائد الصيرفة... "^(٤) وأيضاً، " فبصقوا في وجهه وضربوه، ولطمه بعضهم قائلاً تنبأ لنا أيها المسيح... ومزق رئيس الكهنة ثيابه... "^(٥)

في ضوء ما سبق أقول: هل يليق أن يصل المسيح إلى هذا المستوى من الذل، فكيف يضرب ويلطم بهذه الطريقة، بل يصل الأمر إلى شدته بأن يبصق في وجهه... إنه قمة التطرف والتعصب والإهانة والتحقير،... إن المسيح عليه السلام براء من كل هذه الخرافات وكل هذه الأمور التي نسبت إلى هذا النبي الكريم عليه السلام. وجاء بهذا المعنى " كان المسيح نازلاً من أورشليم إلى أريحا، فوقع بأيدي اللصوص فانتزعوا ثيابه وماله وجرحوه ثم مضوا وقد تركوه بين حي وميت "^(٦)

وبناء على ما سبق أقول: إنه لا سند لهذا الكلام، بل إن الذين كتبوا العهد الجديد حاولوا إيصال مثل هذه القضايا حتى يرفعوا المسيح عاطفياً وهم بالحقيقة أساءوا إلى شخصه عليه السلام في أكثر من موطن؛ وأنا أتصور أن المسيح عليه السلام وصل إلى هذه الإهانة بين حي وميت، وكأنه إنسان شرير، وهذا لا يعقل أن يصل إلى هذا المستوى. بل تجاوز الحال فيما كتبه ظلماً وزوراً، " أنه ضرب المسيح، وهو رئيس الكهنة، فقطع أذنه اليميني "^(٧) وأيضاً قولهم: ((فخلط دماءهم بدماء ذبائحهم))^(٨)، واسمه بيلاطس، وورد في أعمال الرسل: (قال يسوع: لماذا تضطهدوني)^(٩).

وأنا أكتب هذه النصوص أحد نفسي أعيش بين هذه الدماء، وكأني في حرب دامية لا نهاية لها، وهنا أسأل النصراري، هل هذا الذي كتبه الكتيبة ظلماً وزوراً ينسب إلى كتاب الله المقدس؟

إن التغير والتبديل الذي وقع في هذا الكتاب، حيث إنه نسب إلى عيسى عليه السلام في هذا الكتاب نفسه خلافاً لهذه النصوص، يقول عيسى عليه الصلاة والسلام: " فإن الذين يلجأون إلى السيف يهلكون "^(١٠).

د- لفظ (الإرهاب): ورد لفظ الإرهاب والرعب في أكثر من موطن منها:

(١) جمعية الكتاب المقدس، تفسير العهد الجديد، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٢) إنجيل متى، إصحاح ٥، فقرة ١٠.

(٣) إنجيل متى، إصحاح ١٠، فقرة ٢٣.

(٤) إنجيل مرقس، إصحاح ١١، فقرة ١٥.

(٥) إنجيل متى، إصحاح ٢٦، فقرة ٦٧.

(٦) إنجيل لوقا، إصحاح ١٠، فقرة ٣٠.

(٧) إنجيل يوحنا، إصحاح ١٨، فقرة ١٠.

(٨) إنجيل لوقا، إصحاح ١٣، فقرة ١.

(٩) أعمال الرسل، إصحاح ٩، فقرة ٤.

(١٠) إنجيل متى، إصحاح ٢٦، فقرة ٥٢.

جاء في إنجيل مرقس: "فقد كان الملك هيرودس يرهب يوحنا لعلمه أنه رجل بار وقديس ، وكان محافظ على سلامته" (١) ، وفي أعمال الرسل : " ثم هجم عليهم الرجل وتمكن منهم وغلبهم ، فهربوا من البيت الذي كانوا فيه ... فاستولت الرهبة على الجميع " (٢) وأيضاً " قول عيسى يا رب قتلوا أنباءك ، وهدموا مذبحك ، وهم يسعون لقتلي " (٣) ، وفي أعمال الرسل عند القبض على بولس " حرض اليهود الجميع وقبضوا على بولس ، وهم يصرخون : النجدة النجدة يا بني إسرائيل هذا هو الرجل الذي يدعوا الناس في كل مكان إلى عقيدة تشكل خطراً على شعبنا وشريعتنا ، وعندئذ هاج أهل المدينة ، وهجم الناس على بولس وجروه إلى خارج الهيكل " (٤) .

في ضوء ما سبق من هذه النصوص أقول إن الإرهاب كمصطلح موجود في الأناجيل ، وأستخدم أكثر من مرة لمناسبات كثيرة ، بل هو واضح في قوله (ثم هجم عليهم .. فهربوا) .

وجاء نوع من الإرهاب بقولهم في سفر الرؤيا : " سأبيد أولادها" (٥) بالموت ، فتعرف الكنائس أنا الذي أفحص الأفكار والقلوب ، وأجازي كل واحد بحسب عمله ، وبحكم بعضاً من حديد كما تنحطم أواني الخزف" (٦) .

ليس هناك أوضح من هذا المعنى ، إن النصراري أخذوا من كلمة سأييد ، لإبادة العالم باسم العدل والحرية والإرهاب ، إنهم رأس هرم في الإبادة والتعصب ، وقتل الأبرياء ، فلماذا يصفون غيرهم رغم أنه أصل عندهم؟!

هـ لفظ (الرعب): ورد لفظ الرعب في أكثر من موطن منها :

في رسالة العبرانيين تحت عنوان : " إلهنا نار آكلة " يقول : ((إنكم لم تقربوا إلا جبل مشتعل بالنار ، ولا ضباب ولا ظلام ، وريح عاصفة حيث انطلق صوت بوق هاتفاً بكلمات واضحة ، وقد كان مرعباً حتى إن سامعيه التمسوا أن يتوقفوا عن الكلام فإنهم لم يطبقوا احتمال هذا الأمر الصادر إليهم ، حتى الحيوان الذي يمسه الجبل يجب أن تقتلوه رجماً ، والواقع أن هذا المشهد كان مرعباً ... " (٧)

في ضوء هذا النص أجد أن الرعب ينبع من مصادرهم ، ولا يخفى على ذي لب أن النصراري يعيشون من خلال تعاليم الإنجيل رعباً دائماً من خلال حياتهم ، التي تحتوي على ظلام دامس ، ورعب دائم ، ولا أدل على ذلك من سلوكياتهم ، مع من دخل في الإسلام منهم !! .

٦ . لفظ التعصب : جاء في رسالة يوحنا : ((لأن من تعدى تعاليم المسيح ولم يثبت فيه ، فليس الله من نصيبه ، أما من يثبت في هذه التعاليم فله الأب والابن معاً ، ، إن جاء أحد بغير هذه التعاليم ، فلا تستقبلوه في بيوتكم ولا تبادلوه التحية ، لأن من يسلم عليه يشاركه في أعماله الشريرة)) (٨)

جاء في تفسير العهد الجديد المقصود بتعاليم المسيح : التعليم الرسولي من جهة شخص المسيح وعمله (٨) .

في ضوء ما سبق من هذا النص أقول : ماذا يقصدون في التعدي على تعاليم المسيح هل هي الأوامر ؟ أما ما كتب عنه ظلماً وزوراً ؟ إنها في الحقيقة ليست تعاليم ، بل هي استخفاف بعقول الناس ، بدليل أنهم قالوا : من يثبت في هذه التعاليم

(١) إنجيل مرقس ، إصحاح ٦ ، فقرة ٢٠ .

(٢) أعمال الرسل ، إصحاح ١٩ ، فقرة ١٦ .

(٣) الرسالة إلى مؤمني روما ، إصحاح ١١ ، فقرة ٣ .

(٤) أعمال الرسل ، إصحاح ٢١ ، فقرات (٢٧ - ٢٩) .

(٥) يقصد بأولادها : إيزابيل التي تدعى أمها نبية .

(٦) سفر الرؤيا ، الإصحاح ٢ ، فقرة ٢٣ .

(٧) رسالة يوحنا الثانية ، الفقرة ١٠/٩ ، لا يوجد إصحاح ، أنظر ص ٣٦٨ .

(٨) جمعية الكتاب المقدس ، تفسير العهد الجديد ، مرجع سابق ، ص ٦٣٥ .

، فله الأب والابن معاً ، أي أب وأي ابن؟! إنه كفر صريح واضح لا غبار فيه ، بل وصل التعصب أن يقولوا من جاء بغير هذه التعاليم فلا تستقبلوه ؛ بل لا يبادل بالمحبة ، وعلاوة على ذلك وصل الأمر إلى أن ينسب إلى الأعمال الشريرة ، إن الشر كل الشر في هذه التعاليم التي ما أنزل الله بها من سلطان ، والمسيح عليه الصلاة والسلام براء منها !.

نتائج الفصل الأول :

في ضوء ما سبق من الألفاظ الواردة في القرآن الكريم والعهد الجديد توصلت إلى النتائج التالية :

- ١- إن الألفاظ المقاربة للتسامح تكاد تنحصر في ألفاظ معينة ، أهمها :
الصفح ، والمغفرة ، والإحسان ، والعفو ، والبر ، والصبر ، ومشتقات كل من الألفاظ
- ٢- الألفاظ المغايرة للتسامح تنحصر في ألفاظ معينة أهمها :
الغلو ، والتطرف ، والإرهاب ، والتعصب ، والتعنت .
- ٣- من مظاهر الألفاظ المغايرة للتسامح : التكفير ، والتشديد ، والعنف ، والتفريط .
- ٤- المتأمل في الآيات القرآنية يجد أنه لا إشكال فيها ، خاصة إذا عرف سبب نزولها وسياقها .
- ٥- ليس هناك ما يتعارض بين الآيات الواردة بالقتال ، والنهي عن اتخاذ الأعداء أولياء ، وبين التسامح .
- ٦- هناك ألفاظ مقاربة ومغايرة ومتشابهة في القرآن الكريم ، و هناك ألفاظ مقاربة ومغايرة في العهد الجديد .
- ٧- وجود مصطلح التطرف والإرهاب والتعنت في العهد الجديد، حيث كان الحديث عنه في أكثر من موضع.

الفصل الثاني:

بواعث التسامح ومنطلقاته في القرآن الكريم والعهد الجديد

و يحتوي هذا الفصل على مبحثين :
المبحث الأول الباعث الديني والخلقي
المبحث الثاني: الباعث الاجتماعي والسياسي

المبحث الأول الباعث الديني والحلقي

المطلب الأول : الباعث الديني أو هو السبب الذي خرج عليه دليل الحكم ، وهو القوة العملية التي تحمل القوة الفاعلية على الفعل. ويقصد بالباعث لغةً: المحرك والمقصد من الفعل والغرض اصطلاحاً: الدافع على عمل معين ، وهو الوجه الذي يريده الإنسان من الفعل أو هو القوة المحركة للفعل ومعرفة وجه الحكم^(١).

فالإسلام يعترف بالحقوق الشخصية لكل فرد من أفراد المجتمع ، ولا يجيز أي ممارسة تفضي إلى انتهاك هذه الحقوق والخصوصيات ، ولا ريب أنه يترتب على ذلك على الصعيد الواقعي الكثير من نقاط الاختلاف والتمايز بين البشر ، ولكن هذا الاختلاف لا يؤسس للقطيعة والجفاء والتباعد ، وإنما يؤسس للمداراة ، والتسامح مع المختلف ، لا بمعنى الاستهتار بالقيم ، أو الفرار من المسؤولية وإنما بمعنى الرفق والمداراة، وتضمين مقولة الهداية معنى المحبة والإشفاق ، فالتسامح الديني لا يعني مجال من الأحوال التنازل عن المعتقد أو الخضوع لمبدأ المساواة والتنازل ؛ وإنما يعني القبول بالآخر ، والتعامل معه على أساس العدالة والمساواة ، بصرف النظر عن أفكاره وقناعاته الأخرى ، وهذا ما أسسه الإسلام في التعامل مع المسيحية عبر القرون الماضية ، وهذا الذي أقرّ به كبار علماء المسيحية يوم أن دخل المسلمون فاتحين ومن هنا جاء الباعث الديني ليؤكد أن القرآن الكريم متسامح مع أهل الكتاب ، وخاصة النصارى منهم ؛ كيف لا والقرآن الكريم يذكر سورتين تتحدثان عن السيدة مريم وعيسى عليهما السلام^(٢) ولم نجد ذلك في الأناجيل المتنوعة ، والمختلفة ، حيث أنها لم تذكر صراحة فصلاً أو غيره في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام ، وهذا له دلالة وهو أن القرآن الكريم كلام الله تعالى ، وأن عيسى نبي الله عليه السلام ، والأناجيل وأسفارها من كلام البشر ، ولو كان من كلام الله لرأيناه يتحدث عن محمد عليه الصلاة والسلام _ ولم نر ذلك!!! _ حيث ذكر الله تعالى في القرآن الكريم لما تكلم عن الإنجيل أنه بشّر برسول يأتي من بعده " اسْمُهُ أَحْمَدُ " ^(٣) .

قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) (٤)، ولم نجد هذا مسطوراً في الأناجيل ، على اختلاف طبعاتها ! .

لما سبق من هذه المقدمة أقول : إن الأعمال التي يقوم بها المرء متعددة ومتنوعة ، فهناك أعمال تدخل ضمن العبادات كالصلاة والصيام ، والصدقة... الخ ، وأعمال البر المختلفة ، وهناك أعمال تدخل في المعاملات ، من بيع وشراء ، وإجارة..... وغيرها ، وهناك أعمال تدخل ضمن السلوك أو ما يعبر عنه بالأخلاق ، مثل الصدق والوفاء وحسن الخلق والصبر والتسامح والعفو..... وغيرها، وهناك أعمال تقع ضمن العقائد، مثل: الإيمان بالله، والملائكة، والكتب، والرسول، واليوم الآخر، وأعمال تقع ضمن العقوبات والحدود مثل حد الزنا، والسرقه، وشرب الخمر، والردة، والبغي، والعقوبات كالتقصاص ، والدية ، والكفارات ، والتعزير .

هذه الأعمال كلها لا بد عند القيام بها أو الابتعاد عنها ، من نية خالصة لوجه الله ، وهو ما عبر عنه بالباعث أو المقصد ، أو المنطلق .

^(١) الفيومي ، المصباح المنير ، مرجع سابق ، ص ٢٢٢ ، انظر أجد العلوم للفتوح ج ٢ ، ص ٥٣ ، وانظر التعريفات لعلي الجر ج ٣ ، ص ٣ ، وأنظر التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٥٢٣ .

^(٢) سورة آل عمران وسورة مريم.

^(٣) سورة الصف آية ٦ .

^(٤) سورة الصف ، آية رقم ٦ .

فالأعمال التي يقوم بها المسلم أو النصراني لا بد أن يكون وراء القيام بها من هدف، فالمسلم عندما يقوم بالعمل، فإن منبع العمل عنده هو نيل رضوان الله تعالى، وأن يكون عمله خالصاً لوجهه الكريم، وتحقيقاً لمرضاته، قال تعالى: "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً" (١) .

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: " أي وما أمر هؤلاء الكفار في التوراة والإنجيل إلا ليعبدوا الله ويوحده مخلصين له الدين ، أي العبادة، وفي هذا دليل على وجوب النية ؛ لأن الإخلاص من عمل القلب، وهو الذي يراد به وجه الله لا غيره " (٢) .

جاء في كتاب تركية النفس: " والإخلاص في الآية هو تجريد قصد التقرب إلى الله عن جميع الشوائب، والإخلاص شرط لقبول العمل الصالح، الموافق لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أمر بقوله، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء" (٣) .

جاء في تفسير هذه الآية: وما أمروا في كتبهم إلا لأجل أن يعبدوا الله ويوحده، ويجعلوا دينهم خالصاً له، وجاعلين أنفسهم خالصة له في الدين (٤) .

وفي جامع البيان: وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين، ومفردين له الطاعة، لا يخلطون طاعتهم بهم بشرك؛ لأن اليهود أشركت برهم بقولهم: عزيز ابن الله، والنصارى بقولهم في المسيح (٥) ابن الله، أو هو الله، وجحودهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (٥) .

فالمسلم عندما يقوم بعمل ما فإن الباعث له هو نيل مرضاة الله تعالى، فالتسامح والعفو والصفح عند المسلم ينبعث من عقيدة دينية، وهي تحقيق مراد الله، وهنا يطرح سؤال ما فائدة ذلك للمسلم؟

والجواب أن المسلم يسير ضمن منهج وخط مستقيم، شرعه الله تعالى له، فلا يتعد عنه " اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ " (٦) سورة الفاتحة رقم ٦، لأن المنهج القرآني الذي شرعه رب العزة هو أفضل المناهج لتحقيق سعادة المرء، وحتى يحصل التقوى، قال تعالى: (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) (٧)

قال القرطبي: " لم يصل إلى الله لحوم بدنكم ولا دماؤها، ولكن يناله اتقاكم إياه، إن اتقيتموه فيها، فأردتم وجه الله، وعظمتم فيها بما ندبكم إليه، وأمركم به في أمرها، وعظمتم بما حرمته" (٩) .

وفي زاد المسير بهذا المعنى: " وإنما يرفع إلى الله التقوى، وهو ما أريد به وجهه منكم " (١٠) .

(١) سورة البينة آية رقم ٥.

(٢) محمد القرطبي، ت ٦٧١ هـ، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٥، ص ١٤٤.

(٣) أحمد فريد، تركية النفس، تحقيق ماجد بن أي ليل، دار القلم، بيروت، لبنان، ص ١٣.

(٤) محمد بن علي الشوكاني، ت ١٤٥٠ هـ، فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط ١، ج ٥، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٤، ص ٥٨٠ .

(٥) قال تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) سورة المائدة، آية ٧٧، وقوله تعالى: (وقالت النصارى المسيح ابن الله) التوبة آية ٣٠.

(٦) محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠ هـ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٣، ط ١٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣ م، ص ٦٥٦، بتصرف .

(٧) سورة الفاتحة آية رقم ٥.

(٨) سورة الحج، آية رقم ٣٧.

(٩) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج ٦، ص ٤٤ .

(١٠) عبد الرحمن بن الجوزي، ت ٥٩٧ هـ، زاد المسير في علم التفسير، ط ١، ج ٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧ م، ص ٢٩٨.

وأما الأحاديث فمنها قوله صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) (١) .

وقد علق ابن تيمية على هذا المعنى بقوله: " فكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله ، وكل عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله ، بل لا يكون لله إلا ما جمع الوصفين أن يكون لله ، وأن يكون موافقاً لمحبة الله ورسوله ، وهو الواجب والمستحب كما قال تعالى : " فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " (٢) ، " فلا بد من العمل الصالح ، ولا بد أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى ، كما قال تعالى : " بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (٣) ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) " (٤) .

ولذلك لا بد أن يكون هذا العمل من أجل الله ، والباعث عليه هو مرضاة الله ، جاء في النبذة الكافية : " وقد صح أن أعمال الشريعة كلها عبادة ودين ، فلم يأمر الله تعالى بنص القرآن إلا أن تؤدي كل ذلك بالإخلاص ، والإخلاص هو القصد بالقلب ، إلى ذلك وهو النية نفسها ولا يصح عمل من أعمال الشريعة إلا بالنية " (٥)

وقد نظر إلى هذا المعنى الإمام الرازي فقال : " فهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الإخلاص من ابتداء الفعل إلى انتهائه ، والمخلص هو الذي يأتي بالحسن لحسنه ، والواجب لوجوبه ، فيأتي بالفعل لوجهه مخلصاً لربه ، لا يريد رياءً ولا سمعة ، ولا غرضاً آخر " (٦) .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : ما جاء أن الأعمال بالنية الحسنة ، وأخرجه مسلم ، كتاب الإمارة بقوله : إنما الأعمال بالنية برقم : ١٩٠٧ و رواه أصحاب السنن .

(٢) سورة الكهف ، آية ١١٠ .

(٣) سورة البقرة ، آية ١١٢ .

(٤) أحمد بن تيمية ، ت ٥٧٢٨ هـ ، مجموع الفتاوى ، ط ٢ ، ج ١٠ ، دار ابن حزم ، الرياض ، ١٩٩٨ ، ص ٢١٣ ، وحديث " فهو رد " أخرجه البخاري ، كتاب البيوع ، باب النجش ، برقم ٢٥٥٠ ، وأخرجه مسلم في كتاب الأفضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ، برقم ١٧١٨ .

(٥) علي بن حزم الظاهري ، النبذة الكافية في أحكام أصول الدين ، ط ١ ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ص ٥٠ .

(٦) محمد الرازي ، ت ٦٠٤ هـ ، تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب) ، ج ١٦ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص ٤٦ .

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما يرويه عن ربه عز وجل، قال : " إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له عند الله حسنة كاملة ، فإن هو هم بما وعملها كتبتها الله له عنده عشر حسنات ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ،ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبتها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بما فعلها، كتبتها الله له سيئة واحدة" (١) ، وفي لفظ مسلم برواية أخرى : " قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة، (وهو أبصر به) فقال ارقبوه ، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها فاكتبوها حسنة ، إنما تركها من جرأتي : أي من أجلي" (٢) ، وعند الإمام أحمد ، حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، ثنا عفان ، ثنا جعفر بن سليمان ، ثنا الجعد أبو عثمان ، عن أبي رجاء العطاردي ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له واحدة ، أو يحوها الله " (٣) . فلم يعملها : أي الحسنة ، لعائق حال بينه وبين فعلها ، أو السيئة خوفاً من الله عز وجل^(٤) .

في ضوء ما سبق أقول : لا بد أن يكون الباعث على العمل هو من أجل الله ولتحقيق مرضاة الله تعالى ، وهذا ينطلق من عقيدة الإنسان القوية الواثقة بالله تعالى ، التي هي منبع لكل عمل ، ولولا هذه العقيدة لم نعمل ضمن هذا الطريق المستقيم ، فالمسلم عمله ديني بحت ، لأن منبعه صافٍ لا شوائب فيه ، وهو الذي رضي الله لنا ديناً .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الرقائق ، باب : من هم بحسنة ، برقم ٧٠٦٢ ، وأخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب رقم ١٣ ، بلفظ إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : إذا هم العبد بحسنة ، بلفظ : وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبتها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بما فعلها كتبتها الله له سيئة واحدة ، قال النووي : فإن تركها خشية لله وخوفاً منه كتبت حسنة .

(٣) أخرجه أحمد ، برقم : ٢٥١٩ ، ج ١ ، ص ٢٧٩ ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح ، على شرط مسلم ، ورجاله ثقات ، رجال الشيخين ، غير جعفر بن سليمان فمن رجال مسلم .

(٤) انظر ابن حجر ، فتح الباري ، ج ١١ ، ص ٣٢٦ ، بتصرف .

وفي رواية أخرى عند أحمد بلفظ " ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن عملها كتبها الله سيئة واحدة ^(١) .

يقول ابن حجر رحمه الله تعالى في تعليقه على الحديث : " إنما تركها من أجلي " .

"إن ترك المعصية كف عن الشر ، والكف عن الشر خير ، ويحتمل أن يكتب لمن هم بالمعصية ثم تركها حسنة مجردة ، فإن تركها من مخافة ربه سبحانه ، كتبت حسنة مضاعفة ، وقال الخطابي محل كتابة الحسنه على الترك ، أن يكون التارك قد قدر على الفعل ثم تركه ؛ لأن الإنسان لا يسمى تاركاً إلا مع القدرة ، ويدخل فيه من حال بينه وبين حرصه على الفعل مانع ، كأن يمشي إلى امرأة ليزني بها ، فيجد الباب مغلقاً ويتعسر فتحه ، وفي هذا دليل على أن الله يطالع على ما في قلب الآدمي " ^(٢) .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه ^(٣) .

وإذا ما انتقلنا إلى العهد الجديد لنرى فيه التسامح ، فهل الباعث على الفعل في العهد الجديد هو الباعث الديني ؟ والجواب على ذلك :

الرأي الأول : أن الباعث على التسامح ليس دينياً ، فإن التسامح لا علاقة لها بالله ولا بالدين ، يقول أحد فلاسفة التربية الحديثة : بأن الضمير والأخلاق التي منها التسامح لا علاقة له بالله ^(٤) . بمعنى أن العمل الذي يقوم به الإنسان من خلال العهد الجديد لا ينطلق من دوافع إلهية ، جاء في إنجيل متى ١/٥ (فتكلم يسوع وأخذ يعلم) فهذا نص مثلاً لم يذكر فيه أن تعليمه كان دينياً وفي متى كذلك ١/٤ (ثم صعد الروح يسوع إلى البرية ليحرب من قبل إبليس) فهذا النص ليس في دلالة على التسامح الديني ، وغيرها من النصوص .

^(١) أخرجه أحمد ، برقم ٢٥١٩ ، مسند عبدالله ابن عباس ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن ، وهو صحيح وينفس اللفظ عند البيهقي والدارمي .

^(٢) أحمد بن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ١١ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ ، ص ٣٢٦ .

^(٣) قال المنذري في الترغيب : صحيح ، انظر الترغيب والترهيب للمنذري ، ج ١ ، ص ٢٤ ، وهو عند النسائي في الجهاد .

^(٤) منبر الغضبان ، من معين التربية الإسلامية ، ط ٢ ، مكتبة المنار ، الأردن ، ١٩٨٢ ، ص ٢٣ .

والسبب في ذلك أن الإله في العهد الجديد غير متفق عليه ، بمعنى ليس واحداً ، بل هو مكون من أجزاء : الآب ، والابن ، روح القدس ، وبالتالي ففكرة الإله غير محسومة ، وغير متفق عليها ! ، وإن كانوا يعتمدون على أمور محرفة ، وإذا حصل التسامح منهم في مجالات مختلفة ، حاول البعض من النصارى القول : إنه يريد وجه الله ورضوانه ، وهدفه هو الله ، لكن الله عندهم إما أن يكون هو عيسى ابن مريم ، أو أن يكون الثالث هو الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، قال تعالى : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ) (١) .

والمشاهد من خلال اللقاءات التي تمت مع بعض النصارى في أماكن مختلفة نراهم يقولون : نحن نتسامح مع غيرنا ، لأن الرب في الإنجيل أمرنا بهذا ! ، ويعتقدون أن المنطلق من التسامح والباعث عليه هو وحي رباني إليهم ، وبالتالي فهو ديني . والواقع هو خلاف ذلك ؛ لأن الإنسان إذا كان عنده خلل في عقيدته ، فمن الصعب أن يبنني على هذه العقيدة الفاسدة أي قضية أخلاقية كخلق التسامح .

الرأي الثاني: وهو أن التسامح باعته ديني ، يقول صاحب رسالة التسامح : " إن مصدر معرفتنا بالتسامح هو الكتاب المقدس ، وقد برهن على هذا بقوله : يقول المخلص للحواريين : بأن كل واحد في نظر نفسه مستقيم العقيدة ، ويجب عليه أن يملك المحبة والرحمة والإحسان للناس حتى يكون قريباً من الإقرار بالإيمان ، ويقول أيضاً : إن التسامح نابع من عقيدة الإنجيل ، وإن الإيمان هو الذي يبعث على القوة والتأثير الفعال، الذي يجلب النجاة ، وأن غاية كل جماعة دينية العبادة المقامة لله ، وعن هذه الطريق نكسب الحياة الأبدية ، لذلك فإن كل نظام ينبغي أن يهدف إلى هذه الغاية ، ويجب أن تنحصر كل قوانين الكنيسة داخل هذه الحدود ، ويجب تشجيع التسامح فيما بيننا " (٢) .

وقد اعتبر كثير من الباحثين في المسيحية ، بأن فكرة التسامح تعود إلى أصول دينية ، حيث جاء في الإنجيل : (لقد كان يقال لكم -يشير إلى بعض التعاليم الواردة في أسفار اليهود _ : " أحبوا أبناء شعبكم ، وابغضوا أعداءكم ، وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، وباركوا لاعنيكم ، وأحسنوا معاملة الذين يبغضونكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ، ويضطهدونكم " (٣) .

وهذه المحبة والمباركة والإحسان نابعة من أصول الدين لتحقيق رضي الله وتحقيق السعادة ، يقول مؤلف (كتاب النصرانية) : في الإنجيل دعوة حارة إلى أن تقوم العلاقات بين الناس على أساس التسامح والعتو ، ودفع السيئة بالحسنة ، النابعة من الدين ، حتى إنها لتكاد تجعل من هذه الدعوة واجباً من الواجبات وتبدو هذه القواعد أوضح ما تكون في كثير من الفقرات الواردة في خطبة الجبل التي مر ذكرها في وصايا المسيح ، بقوله: " أحبوا أعداءكم ، وباركوا لاعنيكم ، وأحسنوا معاملة " (٤) وهناك رأي مخالف عند (جون لوك) رائد التسامح يبين من خلاله أن الباعث على التسامح ليس عقيدة ، بل هو ظروف تملية الحياة الاجتماعية.

الرأي الثالث : والرأي الذي أميل إليه من خلال استعراض الآراء السابقة أن التسامح عند النصارى في العهد الجديد لا ينبعث من قضية دينية ؛ لأن القضية الدينية عندهم مختلف فيها ، بل هي فاسدة ، والفاسد لا يبنى عليه شيء ، وقصدت هنا أن العمل عندهم ليس له هدف ولا يعود إلى مرضاة الله تعالى ، فالفعل الذي يقوم به العبد في المسيحية هو فعل

(١) سورة المائدة آية ٧٣ ، وأيضاً قوله تعالى : " لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم " المائدة آية ٧٤ .

(٢) جون لوك ، رسالة في التسامح ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨ ، ص ٥٧ _ ٥٩ بتصرف .

(٣) إنجيل متى ، إصحاح ٥ ، الفقرات ٤٣-٤٥ .

(٤) مصطفى شاهين ، النصرانية ، تاريخاً وعقيدة وكتباً ومذاهب ، دار الاعتصام ، ص ٤٥ .

سلوكي هدفه آني ؛ لأننا إذا رجعنا إلى الناحية الدينية فإنهم لا يتفقون على من هو الإله فمرة يقولون هو عيسى ومرة يقولون هو ألأب ولأبن الروح ومرة يقولون هو الابن..... فإذا قلنا هدف العمل عندهم ديني فلن ينسب العمل ! ومن النصوص الواردة في العهد الجديد في هذا المجال : " انزعوا عنكم كل حقد ، ونقمة ، وغضب ، وصخب ، وسباب ، وكل شر ، وكونوا لطفاً بعضكم نحو بعض ، شفقين مسامحين بعضكم بعضاً كما سأمحكم الله ، وقوله: "أيها الزوجات اخضعن لأزواجكن، أيها الأزواج أحبوا زوجاتكن، ولا تعاملوهن بالقسوة ، أيها الأولاد أطيعوا والديكم في كل أمر ، أيها الآباء لا تثيروا غضب أولادكم ، أيها العبيد أطيعوا في كل أمر ساداتكم ، بل اعملوا بقلب صادق خائف ، واجتهدوا بالعمل و:" احذروا من أن تعملوا بركم أمام الناس ، بقصد أن ينظروا إليكم ، وإلا فليس لكم مكافأة عند أبيكم ، ولا تكون مثل المرائين الذين يحبون أن يراهم الناس"^(١)

الباعث الخُلقي المطلب الثاني :

تعريف الخلق : لغةً: الخلق وجمعه أخلاق وهو السجية : الهيئة القلبية المستقرة في الإنسان. اصطلاحاً : الأخلاق هيئة أو حالة تكسبها النفس وتصدر عنها أفعال إرادية واعية بلا تكلف. وهنا لا بد من سؤال هل الأخلاق التي يقوم بها العبد هل هي فطرية أم لا؟ وقد أحاب الإمام الغزالي على هذا بقوله "إن الأخلاق ليست فطرية ولو كانت الأخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : حسنوا أخلاقكم من حديث معاذ(يا معاذ حسن خلقك للناس، فكيف ينكر هذا في حق الآدمي؟، وكأن الغزالي يرد على الذين قالوا بأن الأخلاق فطرية، واستشهد بما يلي : أ- أن الخلقة الظاهرة لا يمكن تغيرها، فالقصور لا يقدر أن يجعل نفسه طويلاً حسن الخلق يقمع الشهوة والغضب وبأن الصبي تخلق له شهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك س- تخلق له قوة التميز وبناءً عليه فالأخلاق مكتسبة ولكن بعضها فطرياً لحديث (إن فيك خصلتين الحلم والأناة ... بل جبلت عليها) أخرجه مسلم برقم ١٧ ج ١ ص ٤٦^(٢) وتوصف هذه الهيئة أو الحال بأنها خلق حسن أو خلق سيئ، لما توصف به الأفعال الصادرة عنها حيث أصبح التسامح اليوم في عالمنا المكتظ بالعنف والإقصاء وتفشي الإرهاب والأعمال المسلحة خياراً خلقياً لانتشال الإنسان من برائن الموت ، وإيقاف نزيف الدماء المتصاعد ، وكبح جماح العنف المتدفق من كل مكان ، وإذا كان التسامح ضرورة للمجتمعات المتطورة ؛ فإنه بالنسبة للمجتمعات المتعددة علاجاً سياسياً وخلقياً لتفادي تداعيات أزمة التناحر والقتال، ثم ليس الأجدر بالإنسان أن يكون متسامحاً وهو يعلم ضعفه وكثرة أخطائه وتجاوزة حقوق الآخرين ؟ ويعلم أيضاً انه ليس معصوماً في سلوكه وأعماله ، ولم يكن صائباً في كل خطوة من خطواته (٣) !!! ، ويقول صاحب كتاب (التسامح بين شرق وغرب): " ونحن ملزمون بأن لا نقمع الآراء التي لا نوافق عليها ، بيد أننا غير مطالبين بأن نحب أو نؤيد أو نشجع هذه الآراء ، وكل ما يطلبه التسامح هو أن نسمح بالتعبير النابع من الخلق الإنساني عن الآراء التي لا نوافق عليها ، وأن نوافق على القيمة الخلقية التي تقول : بوجود تعبير حر عن الآراء التي لا نوافق عليها " (٤). إن المنظومة الأخلاقية التي هي الباعث على التسامح عند المسلم هي التي شرعها الدين الإسلامي من قبيل الرفق والإيثار والعفو والإحسان والمداراة والقول الحسن والألفة والأمانة ، وحث المؤمن إلى الالتزام بها ، وجعلها سمة شخصيتهم الخاصة

(١) إنجيل متى ، إصحاح ٦ ، فقرة ١ - ٨ .

(٢) محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ج ٣ ، ص ٥٥ .

(٣) ماجد الغراوي "التسامح ومناخ اللاتسامح" ، قضايا إسلامية معاصرة ، مرجع سابق ، صفحة ١٤٣ يتصرف يسير مجلد رقم ٨ ، رقم العدد ٢٨ - ٢٩ ، ٢٠٠٤ م .

(٤) سمير الخليل وآخرون ، التسامح بين شرق وغرب ، دراسات في التعايش والقبول بالآخر، ترجمة إبراهيم العريس ، دار الساقي، بيروت ، ص ٥٥ .

والعامة ؛ لذلك فان تجسيد المنظومة الأخلاقية المنبثقة من الضمير الإنساني تقضي إلى شيوع حالة التسامح في المحيط الاجتماعي ؛ لذلك فان حسن الخلق والتعامل الأخلاقي والحضاري مع الآخرين قد يحوّلهم من موقع العداء والخصومة إلى موقع الولاء والانسجام ويأمر الله تعالى الناس بأن يقولوا حسناً ((وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا))، كلهم مؤمنهم ومخالفهم ، أما المؤمنون فيبسط لهم وجهه، وأما المخالفون فيكلمهم بالمداواة لاجتذابهم إلى الإيمان ؛ لذلك طالبهم بأيسر من ذلك بكف ضرورهم عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين ، ثم يمدح الله تعالى أولئك النفر الذين يتجاوزون مصالحهم الخاصة من أجل المصلحة العامة. لأنهم أصحاب خلق نابع من الوجدان ، وتصرفهم دال على أخلاقهم الطيبة ، قال تعالى : (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ نَفْسَهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الحشر آية ٩ (١)

ويأمر الله تعالى عباده بالعدل والإحسان في كل أحوالهم وأطوار حياتهم ،قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) سورة النحل آية ٩٠، ومن خلال هذه المنظومة الأخلاقية والقيمة الخلقية ، نرى أن المطلوب من الإنسان المسلم دائماً وأبداً وفي كل أحواله أن يلتزم بمقتضيات التسامح ومتطلبات العدالة. والحاضن الأكبر لهذه المجموعة من الفضائل الخلقية هو التسامح ؛ لأنه روح الإسلام ومنطقه في كل المجالات والحقوق. إن الآية السابقة التي وصفت الأنصار في المدينة المنورة لما حل بهم الأضياف المهاجرون ، وصفهم بأنهم تسامحوا مع إخوانهم المهاجرين ، وهذا التسامح كان معه محبة (بجود) ، وهو نابع من أصل خلقي ، وهذا الأصل الخلقي نابع من الدين الذي ارتضاه تعالى للمسلمين، ومع ذلك فإن المحبة كانت خالصة بدليل أن صدورهم لم تحمل غلاً ، بل زاد الخلق على هذا أنهم وصلوا إلى مرتبة الكمال وهو الإيثار مع حاجتهم إلى المال والمتاع ، إنها صورة مثالية ، يتكلم عنها القرآن ليبين أن الكمال الأخلاقي نابع من الضمير الإنساني ، وهكذا فلنكن^(١)، وفي الآية القرآنية : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ، إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ) (٣)، في هذه الآية يتكلم الله عن باعث خلقي آخر ، وعن أدب إسلامي في مخاطبة النبي عليه الصلاة والسلام ، يقول سيد قطب عندما تكلم عن هذه الآية : " فهو خلق و أدب نفسي مع الله ورسوله ، وهو منهج في التلقي والتعبد ، وهو أصل من أصول التشريع ، والعمل في الوقت ذاته، وهو منبعث من تقوى الله وراجع إليها ، هذه التقوى نابعة من الشعور بأن الله سميع عليهم، وكذلك تؤدب المؤمنين مع ربهم ومع رسولهم ، فما عاد مقترح منهم يقترح على الله ورسوله ، وما عاد واحد منهم يدي برأيه لم يطلب منه الرسول عليه السلام أن يدي به ، وما عاد أحد منهم يقضي برأيه في أمر وحكم إلا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله وقول رسوله عليه السلام ، وهذا أدهم مع النبي في الحديث والخطاب، وتوقيرهم له في قلوبهم توقيراً ينعكس على نبراتهم وأصواتهم، وهكذا ارتعشت قلوبهم وارتجفت تحت وقع ذلك النداء الحبيب، وذلك التحذير الرهيب، وهكذا تأدبوا في حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، خشية أن تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون ، ولو كانوا يشعرون لتداركوا أمرهم ولكن هذا المنزلق الخافي كان أخوف عليهم فخافوه و اتقوه " (٤)

(١) محمد محفوظ ، " التسامح وآفاق السلم الأهلي "، قضايا إسلامية معاصرة، مرجع سابق، ص ٢٣٥.

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦، ص ٣٥٢٦، بتصرف.

(٣) الحجرات آية رقم ٣/٢ .

(٤) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ط ٣، ج ٦، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٧، ص ٣٣٩.

جاء في فتح القدير تعليقاً على هذه الآية : أدب وخلق نابع من الوجدان ؛ لأن خفض الصوت وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير ، والمراد من الآية : تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره ، وأن لا ينادى كما ينادي بعضهم بعضاً ، قال الزجاج : أمرهم الله تعالى بتبجيل نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن يعضوا أصواتهم ويخاطبوه بالسكينة والوقار ولزوم الأدب في محاورته (١) .

وفي قوله تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) (٢) . يقول سيد قطب : " إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تماح فيه الشهوة في كل لحظة ، فعمليات الاستئارة المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي ، والنظرة الخائنة ، والحركة المثيرة ، والزينة المتبرجة ، والجسم العاري ، ... كلها لا تصنع شيئاً ، وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هذه الاستئارة ، وأيضاً الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليماً ، ويقويه الطبيعة ، وغض البصر من جانب الرجال أدب نفسي ، ومحاولة للاستعلاء على الرغبة في الإطلاع على المحاسن والمفاتن في الوجوه والأجسام ، وهذا أدب راقى نابع من الإيمان والباعث عليه هو رضوان الله تعالى " (٣) .

في ضوء النصوص القرآنية التي عالجت القضايا الأخلاقية يتبين لنا أن القرآن الكريم يبين من خلال الآيات الكريمة ، أن السلوك الخلقى يأتي من الوجدان الإنساني ؛ وأنه يعود إلى أصوله الثابتة وهي الإيمان بالله سبحانه وتعالى . وفي الآية الأخرى ، لما مدح الله رسوله بقوله : " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ " (٤) ، فقد فسر بعض العلماء كابن عباس ، ومجاهد ، والربيع بن أنس ، بأن الخلق هنا : الدين ، وهو الإسلام ، ولما سئلت عائشة عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم ، قالت : كان خلقه القرآن ، قال سعيد ابن عروة : أي كما هو القرآن (٥) .

(١) الشوكاني ت ١٢٥٠هـ، فتح القدير ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٦٩ ، بتصرف .

(٢) سورة النور آية رقم ٣٠ .

(٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٥١١ ، بتصرف .

(٤) سورة القلم ، آية رقم ٤ .

(٥) محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ١٧٩ .

عن سعيد بن هشام قال : سألتُ عائشة فقلت : أخبريني يا أم المؤمنين عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقالت :
أقرأ القرآن ؟ فقلت : نعم ، قالت : كان خلقه القرآن (١) .

جاء في تفسير الآية: ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقاً تطبَّعه ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم ، وكل خلق جميل (٢) . وقد ثبت في الحديث ، عن أنس قال : (خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما قال لي : أف قط ، ولا قال لي لشيء فعلته لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته ، وكان صلى الله عليه وسلم ، أحسن الناس خلقاً ، ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شممت مسكناً ولا عطراً كانت أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٣) وجاء عند الإمام أحمد (عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادماً له قط ، ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثماً ، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء إلا إذا انتهكت حرمة الله) (٤) وفي رواية أخرى لأحمد: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق" (٥) في ضوء ما سبق من الأحاديث يتبين الباعث الخلقى بوضوح ، من خلال هدي الرسول وأوصافه ، إنه خلق تربي عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وهو نابع من إيمانه كيف لا والله تعالى أذبه فأحسن تأديبه ، صلى الله عليك يا حبيبي يا رسول الله يا من علمتنا كل خلق طيب .

الباعث الخلقى في العهد الجديد :

إن دوافع الأخلاق عند المسيحية تعود إلى أصول في العهد الجديد ، بمعنى أن الأخلاق تنبعث من خلال مصادرهم ، وأن التزامهم بالتسامح كخلق يعود منبعه إلى فضيه أخلاقية سجلها العهد الجديد ، وهذا واضح ، جاء في إنجيل متى : (طوبى للمساكين بالروح ، فإن لهم ملكوت السموات ، طوبى للحرزان فإنهم سيعزون ، طوبى للودعاء فإنهم سيرثون الأرض ، طوبى للجياع والعطاش إلى البر فإنهم سيشبعون ، طوبى للرحماء فإنهم سوف سيرحمون ، طوبى لصانعي السلام ، طوبى لكم متى أهانكم الناس واضطهدوكم فإنهم هكذا اضطهدوا الأنبياء قبلكم) (٦)

أظهر النص السابق من خلال العبارات السابقة : انه يجب على الأتباع أن يتحلوا بالأخلاق والصفح والتسامح عن الآخرين ، وبين المسيح الصفات التي يتمتعون بها ، وبين أهم الذين يستحقون الطوبى ، لأن لهم ملكوت السماء مع التعزية والخيرات التي يأت بها ، و أما الرحماء وأنقياء القلب وصانعو السلام فإنهم اتخذوا سبيل البر رغماً عن عداوة غيرهم لهم ، فلهم الطوبى الفضلى ، لأنهم ينالون الثواب والبركات ، وهم يقومون بهذا العمل فإنهم يطلبون من غيرهم أن يتحلوا بهذه الأخلاق الحميدة (٧) .

(١) أخرجه مسلم ، حديث رقم ٧٤٦ ، ج ١ ، ص ٥١٢ ، وأخرجه أحمد ، برقم ٢٤٦٨٠ ، ج ٦ ، ص ٤ .

(٢) | إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٤٠٢ .

(٣) أخرجه الترمذي ، كتاب الشمائل ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .

(٤) أخرجه أحمد برقم ٢٥٩٩٨ ، ج ٦ ، ص ٢٣٢ ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ، برقم : ٥٠٧ ، ج ٢ ، ص ٣٣ ، وقال : صحيح .

(٥) أخرجه أحمد ، برقم ٨٩٣٩ ، مسند أبي هريرة ، ج ٢ ، ص ٣٨١ ، قال الألباني في السلسلة الصحيحة : صحيح ، وإسناده قوي رجاله رجال الصحيح .

(٦) إنجيل متى ، إصحاح ٥ ، الفقرات ٣ - ١٢ .

(٧) جمعية الكتاب المقدس ، تفسير العهد الجديد ، ط ٢ ، مكتبة السائح ، طرابلس ، لبنان ، ١٩٨٧ ، ص ١٠ ، بتصرف يسير .

وهناك عبارات كثيرة تتعلق بالأخلاق والحث عليها ، وأن الأعمال التي يقوم بها الأتباع ، يجب أن يكون مصدرها الخلق الحسن ، وأكثر كتاب يتكلم عن بواعث الأخلاق هو إنجيل متى ، وإن كانت الأسفار الأخرى تحوي كثيراً من النصوص ، ولكني اخترت من إنجيل متى بعض الفقرات .
ومن أهم النصوص ما يلي :

جاء في إنجيل متى " لا تقاوموا الشر بمثله ، بل من لطمك على خدك الأيمن ، فادر له الخد الآخر ، ومن أراد محاكمتك ليأخذ ثوبك فاترك له رداءك ، ومن سخرك أن تسير معه ميلاً فسر معه ميلين، ومن طلب منك شيئاً فأعطه ، ومن جاء يقترض منك فلا تردده خائباً" (١) ، وأيضاً "قال المسيح : أعطوهم أنتم ليأكلوا ، فأكل الجميع وشبعوا" (٢) وأيضاً "إن أخطأ إليك أخوك فاذهب إليه وعاتبه بينك وبينه على انفراد، فإذا سمع لك تكون قد رجحت أخاك، وإذا لم يسمع فخذ معك أخواً آخر أو اثنين فإذا لم يسمع لهما فأعرض الأمر على الكنيسة" (٣)

"وقال عيسى لا تقتل لا تزني لا تسرق لا تشهد الزور، أكرم أباك ، وأحب قريبك كنفسك" (٤)
"أحب إلهك بكل قلبك ، وكل نفسك وكل فكرك ، هذه هي الوصية العظمى وأحب قريبك مثل نفسك" (٥) ، و" يجب أن تفعلوا العدل والرحمة والأمانة والعفو" (٦) ، "قال عيسى إن عطش أحد فليأت إليّ ويشرب" (٧)
وغيرها من النصوص الكثيرة الواردة في العهد الجديد ، والتي تؤكد أن التسامح هو باعث خلقي حث عليه عيسى عليه الصلاة والسلام من خلال تعاليمه الواردة و التي أمر بها الأتباع والتلاميذ في حياته .

في ضوء ما سبق ومن خلال اطلاعي على نصوص العهد الجديد التي تأمر بالتسامح مع اختلاف بواعثها على ذلك ، فلا بد أن أسجل تحليلاً دقيقاً لما مر من النصوص ، فإن الدارس لهذه النصوص يستوقفه بعض النصوص التي تتعارض أو لا تتلاءم مع التعاليم الحقيقية ، حيث إن هذه النصوص مبالغ فيها لدرجة أن التسامح من خلال كتاب العهد الجديد، لا حد له ، بل ولا ضابط له ، ولا قيد ، ومثال على هذا " من لطمك على خدك الأيمن أو لا تقاوم الشر بمثله " ، وهنا لا بد من سؤال وهو: هل يتعامل النصارى في بلادهم بهذا الأسلوب وهذه المرجعية ؟ .

وللجواب على هذا أقول : متى وجدنا النصارى يتعاملون بهذه الكيفية مع غيرهم ؟ ، متى وجدنا النصارى يسلكون هذا السبيل حتى مع أنفسهم ؟ ! والله ما وجدناهم عبر القرون الماضية إلا سفاكين للدماء ، وقتلة الأبرياء ، وسارقين للعهود والمواثيق ، إن هذه النصوص التي كتبت في عهدهم رغم تحريفها وتبديلها ورغم أننا لا نسلم بما ككتاب مقدس ؛ ومع ذلك فإن أنواع الظلم والقهر متوفرة عندهم !

إن الجحش الذي يعيش به النصارى بعيد كل البعد عن هذه التعاليم ، وإن الواقع الملموس والمحسوس يتناقض مع هذه المقولة ، فمتى سمعنا أن التسامح وصل إلى هذا الحد ؟!

إنه لا علاقة لهذه التعاليم مع تعامل النصارى ، فإنهم ضربوا هذه التعاليم جانباً عبر حياتهم ، ومع ذلك فإن تعاملهم أسوأ بكثير مما يتصوره العقل ، ولا ننسى ما عمله النصارى من اضطهاد وقتل وتشريد لأبناء المسلمين من خلال محاكم التفتيش

(١) إنجيل متى ، إصحاح ٥ ، فقرات ٣٨-٤٢ .

(٢) إنجيل متى ، إصحاح ١٤ ، فقرات ١٧ - ١٩ .

(٣) إنجيل متى ، إصحاح ١٨ ، فقرات : ١٥ - ١٨ .

(٤) إنجيل متى ، إصحاح ١٩ ، الفقرات ١٨-٢٠ .

(٥) إنجيل متى ، إصحاح ٢٣ ، فقرات : ٢٣-٢٤ .

(٦) إنجيل متى ، إصحاح ٢٣ ، فقرات : ٢٣ - ٢٤ .

(٧) إنجيل يوحنا ، إصحاح ٧ ، فقرات : ٣٨ - ٣٩ .

وغيرها!. والأمر الآخر الذي يجب أن يناقش وهو أن هذا التسامح لا حد له ، بل هو مطلق ، وفي تفسير العهد الجديد يقول : " اللطم على الخد عمل احتقاري ، والتسخير ظلم ، وجميع ما ذكره المسيح من المخاصمة والطم والتسخير مما يصعب احتماله " (١)، فهل يعقل أن التسامح وصل إلى هذا الحد مع قولهم إن اللطم والتسخير مما يصعب احتماله .

الخلاصة :

إن هذه التعاليم غير منطقية ، وغير واقعية ، بل تؤدي إلى الاحتقار ، وبالمقارنة مع هذا التسامح المفرط وتسامح القران الكريم المعتدل ، نجد إن التسامح في القران الكريم له ضوابط وله حدود، يقول تعالى "وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ" (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ " (٢) وقوله تعالى "فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ" (٣) وقوله تعالى "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَنْ صَبِرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ" (٤) قال صاحب تفسير القران العظيم رحمه الله تعالى : فشرع الله العدل وهو القصاص وندب إلى الفضل وهو العفو كقوله جلّ جلاله "والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له" (٥) ولهذا قال تعالى : "فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، أي لا يضيع ذلك كما صح ذلك في الحديث " وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً " (٦) وقوله تعالى : " إنه لا يحب الظالمين " أي المعتدين ، وهو المبتدئ بالسيئة ، ثم قال تعالى : " وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ " (٧) ، أي ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم (٨) جاء في حديث النسائي وابن حنبل من حديث خالد بن سلمه الفأفاء عن عبد الله عن عروة قال : قالت عائشة : ما علمت حتى دخلت عليّ زينب بغير إذن وهي غضبي ثم قالت يا رسول الله أحسبك إذا قلبت لك بنية أبي بكر ذراعيها ثم أقبلت عليّ ، فأعرضت عنها حتى قال النبي عليه السلام : دونك فانتصري فأقبلت عليها حتى رأيتها وقد يبس ريقها في فمها ما ترد عليّ شيئاً ، فرأيت النبي يتهلل وجهه " (٩) ، والمعنى يكفنيك فعل عائشة حين تقلب لك ذراعيها : أي كأنك لشدة حبك لها لا تنظر إلى أمر آخر.

(١) جمعية الكتاب المقدس ، تفسير العهد الجديد ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

(٢) سورة الشورى آية رقم ٣٩ - ٤٠

(٣) سورة البقرة ١٩٤

(٤) سورة النحل آية ١٢٦

(٥) سورة المائدة آية ٤٥ .

(٦) أخرجه الأمام مالك في الموطأ برقم ١٨١٧ ، ج ٢ ، ص ١٠٠٠ ، وأخرجه احمد برقم ٨٩٩٦ ج ٢ ، ص ٣٨٦ ، قال شعيب الأرنؤوط : صحيح ، وهذا إسناد حسن

(٧) سورة الشورى آية ٤١ .

(٨) ابن كثير ، تفسير القران العظيم مرجع سابق ج ٤ صفحة ١١٨

(٩) أخرجه النسائي ، في السنن الكبرى برقم : ٨٩١٤ ، ج ٥ ، ص ٢٩٠ ، قال الألباني في السلسلة : صحيح ، وابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب حسن معاشره النساء ، ج ١ ،

ص ٦٣٧ ، وقال ابن ماجه : إسناده صحيح ورجاله ثقات ، برقم : ١٩٨١ .

ويقول ابن كثير : ثم إن الله تعالى لما ذم الظلم وأهله وشرع القصاص ، قال نادياً إلى العفو والصفح " **وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ** " ^(١) أي صبر على الأذى وستر السيئة " **إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** " ^(٢) قال سعيد بن جبير : يعني لمن حق الأمور التي أمر الله تعالى بها أي لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل، وثناء جميل .

قال الفضيل بن عياض : إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً فقل : يا أخي اعف عنه ، فإن العفو أقرب للتقوى ، فإن قال : لا يحتل قلبي العفو ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل، فقل له : إن كنت تحسن أن تنتصر وإلا فارجع إلى باب العفو ؛ فإنه باب واسع ، فإن من عفا وأصلح فأجره على الله ، وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل ، وصاحب الانتصار يقلب الأمور ^(٣)

في ضوء الآيات السابقة نجد أن القرآن الكريم أمر بالتسامح والعفو ، وجعل له ضابطاً وحداً معيناً وهو أن العبد إذا أصابه الظلم له أن ينتصر لنفسه ، ويدافع عن مظلته ، وهذا حقه ، وله أيضاً أن يسمح لذلك فالتسامح محدود ومقيد في القرآن الكريم ، أما في العهد الجديد فإنه لا ضابط له ولا قيد !
ومن هنا أقول: إن الباعث في الإسلام أن التسامح عبادة ، ولهذا فإن المسلم يبتغي في تسامحه وجه الله عز وجل ، وكثير من النصوص تؤيد ذلك . أما التسامح في النصرانية وغيرها فالباعث هو الأخلاق الغير مرتبطة بإيمان بآله .

^(١) الشورى آية ٤١ .

^(٢) الشورى آية ٤٣ .

^(٣) ابن كثير ت ٧٧٤ هـ ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، مرجع سابق ، ص ١١٩ .

المبحث الثاني: الباعث الاجتماعي والسياسي

المطلب الأول : الباعث الاجتماعي :

نقصد بالباعث الاجتماعي : المحرك والدافع للتسامح ، حيث يعود إلى قضايا يفرضها المجتمع والنواحي الاجتماعية ، من خلال البيئة التي يعيش بها الفرد كإنسان !

جاء في مقال التسامح : " إن الباعث على التسامح الاجتماعي هو الاعتراف بالآخر على أساس إنساني ، بعد تجريد مرجعية التفاضل من القيم العنصرية "(١).

ويعتبر الباعث الاجتماعي في التسامح من أقوى البواعث ارتباطاً بالجماعة الإنسانية ، وهي تشمل العائلة والعشيرة ، المحيطة بالإنسان ، وهذا الباعث يجعل الإنسان بعيداً عن الظلم والعدوان ، متمسكاً بالأخلاق التي دعا إليها القرآن الكريم والعهد الجديد من خلال النصوص التي سنتكلم عنها .

جاء في مقدمة ابن خلدون : " ومن أخلاق البشر ، فيهم الظلم والعدوان بعضهم على بعض ، فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه ، فقد امتدت يده إلى أخذه إلا أن يصده وازع "(٢) .

ويقصد بالوازع هنا : أي الذي يجعله حاجزاً بينه وبين الأخذ ، وإذا تخلى الإنسان عن الناحية الاجتماعية في السلوك المؤدي إلى التسامح صار إلى العنف ، وأصبح العنف قيمة أساسية في المجتمع ، وتحول صاحب القوة إلى سلطة فاعلة داخل الوسط الاجتماعي لا يتمرد عليها ، وصار إنساناً متسامحاً مع غيره ، لطيفاً في تعامله (٣).

(١) ماجد الغرباوي : التسامح ومنايع اللاتسامح ، قضايا إسلامية معاصرة ، ص ١٥٠ .

(٢) عبد الرحمن ابن خلدون ، ت ٨٠٨ هـ، مقدمة ابن خلدون ، ط ٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٣ م ، ص ١٤٠ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٤١ .

والملاحظ أن القرآن الكريم اهتم بالباعث الاجتماعي للتسامح واعتبره عنصراً مؤثراً في السلوك ؛ لأن التخلي عن العشيرة أو القبيلة ، وتناسي المجتمع يؤدي إلى نسيان الذات ، وسلوك طريق المهانة والذل قال تعالى : " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَكَلَّا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ " (١) .

ولا شك أن التعاون على تطبيق قانون وخلق التسامح من مصاديق البر ؛ لأنه يضمن حقوق الجميع ، ويستنقذها من الظلم والعدوان ، ويحفظها من التبديد والضياع، وبالتالي يمكن أن يعتبر الفرد دفاعه عن الظلم ، وولائه للعشيرة عملاً في سبيل الله (٢) .

فالقرآن الكريم فرض على الأبناء احترام الأبوين والتعامل معهما بالرحمة والتسامح والعطف، والعتف، والغفو ، والصفح عنهما ، فإذا أساء الإنسان إلى والديه ، فإن نظرة المجتمع إليه نظرة ازدراء ، لذلك يلجأ بعض الناس إلى العطف والتسامح مع الوالدين ليس من باب البر ، بل من باب عدم تعرضه لمساءلة المجتمع الذي يحيط به _ وهذه قضية سلبية _ فيضطر إلى الإحسان إلى الوالدين والتسامح معهما ، قال تعالى : " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا " (٣) ، ولهذا اعتبر بعض الناس هذا التسامح من جملة الفضائل _ وهو كذلك _ وبناء عليه فهو يتسامح مع الوالدين كفضيلة خلقية يملئها عليه المجتمع والجماعة ، والعشيرة التي ينتمي إليها .

جاء في مقال التسامح: " فالباعث الاجتماعي للتسامح لا ينمو ويتجذر إلا في بيئة تقبل التعدد والاختلاف ، وتمارس الانفتاح الفكري ، والمعرفي ، وتطلق سراح الرأي للتعبير والنقد ، فلنحقيق التسامح نحن بحاجة إلى أن نبذ من واقعنا كل أشكال التعصب والعنف ، حيث إنه لا يمكن أن تتجسد معالم التسامح في مجتمع تسوده ثقافة تدفع إلى الانغلاق والتعصب ، وممارسة العنف تجاه المخالفين ، إن التسامح بحاجة إلى ثقافة مجتمعية جديدة ، قوامها القبول بالآخر المختلف والتعامل معه على أسس حضارية تنسجم وقيم المساواة والعدل ، لذلك من الأهمية بمكان ومن أجل إرساء معالم التسامح في الوسط الاجتماعي العمل على تطوير خيار التفاهم والحوار المباشر مع مختلف الفرقاء " (٤) .

ومن التسامح الاجتماعي في القرآن الكريم : قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٥) فيبعد أن بين الله عز وجل حد القذف جاء الاستثناء بقوله (إلا) وجعل العفو والمغفرة لمن تاب من هذا الجرم الاجتماعي .

وقد علق الحافظ ابن كثير في تفسيره على هذا الاستثناء بقوله : اختلف العلماء في هذا الاستثناء ، وهل يعود إلى الجملة الأخيرة فترفع التوبة الفسق ، أو تبقى الشهادة مردودة دائماً وإن تاب ، أو يعود إلى الجملتين الثانية والثالثة ، فذهب العلماء أنه إذا تاب قبلت شهادته ، وارتفع عنه حكم الفسق ، وقال أبو حنيفة : يرتفع الفسق بالتوبة ويبقى مردود الشهادة ، وقال الضحاك : لا تقبل شهادته وإن تاب إلا أن يعترف على نفسه (٦) .

في ضوء ما سبق أجد أن العفو من الله والستر على القاذف جاء بعد توبة ، وهذا كرم منه سبحانه وتعالى ، حيث عالج الله هذه القضية الاجتماعية بالتوبة منها ، ومن البواعث الاجتماعية : ما ورد في سورة النور في قوله تعالى " وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا

(١) سورة المائدة ، آية رقم ٢ .

(٢) الغريباوي، " التسامح ومناخ الاتسامح " قضايا اسلامية معاصرة، مرجع سابق ، ص ١٦٠ ، بتصرف .

(٣) سورة العنكبوت ، آية رقم ٨ .

(٤) محفوظ ، نجيب ، " التسامح وآفاق السلم الأهلي "، قضايا إسلامي معاصرة ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

(٥) سورة النور ، آية رقم ٤ ، ٥ .

(٦) ابن كثير ، ت ٧٧٤ هـ ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٢٦٥ .

الْفَضْلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَيُصْفَحُوا أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (١) .

يقول ابن كثير في معنى الآية : لا تحلفوا أن تصلوا قراياتكم المساكين والمهاجرين ، وهذا في غاية الرفق والعطف ، وليعفوا عما تقدم منهم ، من الإساءة والأذى الاجتماعي ، وهذا من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم ، وهذه الآية نزلت في الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة ، بعدما قال في عائشة رضي الله عنها ، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين وطابت النفوس ، واستقرت ، وتاب الله على من تكلم من المؤمنين في ذلك ، وأقيم الحد على من أقيم عليه ، ولذلك شرع الله تبارك وتعالى - وله الفضل والمنة- أن يعطف الصديق على قريبه ، وهو مسطح ، وهو ابن خالة الصديق ، وكان مسكيناً لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر ، وكان من المهاجرين في سبيل الله ، وقد ولق ولقة تاب الله عليه منها ، وضرب الحد عليه ، وكان الصديق رضي الله عنه مشهوراً بالمعروف له ، والفضل والأيدى على الأقارب والأحباب ، فلما نزلت هذه الآية (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فإن الجزء من جنس العمل ، فكتم تغفر عن المذنب يغفر لك ، وكما تصفح نصفح عنك ، فعند ذلك قال الصديق رضي الله عنه : (بلى والله إنا نحب أن يغفر لنا ، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة (٢) جاء في (كتاب تربية الأولاد) تعليقا على هذه الآية : "وما هذا الخلق العظيم من العفو والصفح والتسامح والحلم الاجتماعي إلا بفضل ما اقتبسوه تأسياً من أخلاق الداعي الأول صلوات الله وسلامه عليه ، وبفضل ما امتثلوه من توجيهات كريمة ، حتى تسمو أخلاقهم من التحلي بخصال التسامح والحلم ، حتى سمت أخلاقهم على أخلاق السوقة والعبيد ، وتميزت مكارمهم من مكارم الخاصة والعامة" (٣) .

روى أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق ، حتى يخيره في أي الحور العين شاء (٤)

من هنا نرى أن أبا بكر رضي الله عنه عمل موقفاً اجتماعياً في عفو مسطح وحل مشكلة مالية كادت أن تقطع عن مسطح ، فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ، وأعاد رابطة القرابة التي ينتمي إليها مسطح وكان عفو هذا أيضاً صلة لرحمه ، وقرابته ، امتثالاً لقوله تعالى : (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) (٥) ، وأيضاً امتثالاً لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام الذي يرويه عبادة بن الصامت ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تحلم على من جهل عليك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك " (٦)

وهناك أدب اجتماعي أرشد الله عباده المؤمنين إليه ، وباعته اجتماعي ، وهو الاستئذان ، فكما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالاستئذان عند الدخول إلى البيوت ، أمرهم كذلك بالاستئذان عند الانصراف إذا كانوا مع رسول الله في أمر جامع من صلاة أو عيد أو اجتماع مشورة أو في الجهاد ، قال تعالى : (وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ

(١) سورة النور ، آية رقم ٢٢ .

(٢) ابن كثير 'تفسير القرآن العظيم' ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ ، بتصرف يسير .

(٣) عبد الله ناصح علوان ، تربية الأولاد في الإسلام ، ط ٣ ، ج ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ص ٣٧٠ .

(٤) أخرجه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب : من كظم غيظاً برقم ٤٧٧٧ ، قال الشيخ الألباني : حسن ، وأخرجه الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب كظم الغيظ ،

برقم : ٢٠٢١ ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب ، وأخرجه ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب الحلم ، برقم ٤١٨٦ .

(٥) سورة البقرة ، آية رقم ٢٣٧ .

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، برقم ٧٣٩ ، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة : برقم ١٥٣٥ : ضعيف جداً .

يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) .

فجاءت المغفرة هنا بعد إذن لتحقيق روح العمل الواحد مع الرسول عليه الصلاة والسلام ، وحتى يكونوا معه مجتمعين غير متفرقين عنه، ومن هنا فإننا نلمس الخلق الاجتماعي في أخذ الإذن من الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى يكون المجتمع الواحد كالبنين المرصوص .

وهناك أدب اجتماعي آخر في قول الله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ... لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا) (٢) جاء التسامح الاجتماعي في هذه الآية ليصل إلى الأقارب والأهملات والأخوة والأخوات ، حتى الصديق منهم ، فأباح لهم الإسلام ليأكلوا من أجل تأليف القلوب ، وإشاعة روح العفو والمحبة بينهم ، وجاء رفع الإثم ليقوي الأواصر والروابط الاجتماعية، وفي قصة يوسف لما صفع يعقوب عليه السلام عن أولاده عادت الأسرة إلى وحدتها ، واعتصامها بعد فرقة طويلة ، حيث جمع الله العائلة بالإبن الذي فُقد وعادت إليهم الحياة من جديد ، ولم يثرب عليهم ولم يأنب ولم يعير ، ثم جعلهم في حل وعف عنهم وسأل لهم المغفرة ، وأخر هذه الدعوة إلى ساعة الإجابة ، ليكون أقرب ، كل هذا نلمس فيه خلقاً وباعثاً اجتماعياً من النبي الكريم عليه الصلاة والسلام جاء هذا في قوله تعالى: "قالوا....الحكيم"^(٣) .
وإذا ما انتقلنا إلى العهد الجديد نجد أن التسامح الاجتماعي وبواعثه كثيرة .

يقول صاحب كتاب التعصب والتسامح : " نرى شريعة الإنجيل تقرر المبادئ الأخلاقية وتؤكددها ، ثم تترقى فتزيد عليها آداباً اجتماعية مكملة _ أحسن إلى من أساء إليك _ حيث نرى الطابع البارز في البواعث الاجتماعية من التسامح والرحمة والإيثار ، والإحسان ، وتأتي شريعة القرآن لتقرر المبدأ الاجتماعي بقول تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ "^(٤) النحل آيه ٩٠ ، ويقول : ويوجد من أهل الكنائس أناس أوتوا حظاً من السماحة والصبر ، وعاملوا المسلمين بكرم ونبل ، فبادلهم المسلمون التحية بخير منها ، وحافظوا أتم المحافظة على مشاعرهم ، ومناسكهم ، وكم نرجو لو يكثر هؤلاء المنصفون ، وكم نرجو لو ملكوا زمام قوتهم ، فعاشوا وعشنا معهم في وئام وطمانينة " (٥) .

يقول صاحب كتاب الأخلاق المسيحية : " يجب أن تتحرك الإرادة والعواطف من أجل إرساء مبدأ التسامح ؛ لأن الإنسان يعرف الخير ، لكن لا بد له من حافر اجتماعي يقويه من أجل أن يهتم بهذا الباعث، جاء في رسالة مؤمني روما ، إصحاح ٧، فقرة ١٩ — ٢٥ فهو يعرف الخير ولكنه يجد نفسه مدفوعاً لعمل الشر ، وهو يقف عاجزاً عن تحقيق ما تملبه عليه قواعد الأخلاق، وهذه هي النقطة الجوهرية التي تجعل أخلاقيات الإنجيل نابعة من الحياة ؛ لذلك فإن محاولة الإنسان ليكون فاضلاً إنما هي محاولة مخفوفة بكثير من المخاطر الاجتماعية ، والتي كان يجب أن تنبع هذه الفضائل من داخل الإنسان من عقله وضميره، لأنه إذا كان الباعث على التسامح اجتماعياً فإن له سلبية وهي أن الأخلاق المفروضة على الإنسان اجتماعياً دون موافقته لا تعتبر أخلاقاً بل هي أمور سرعاناً ما تزول " (٦)

(١) سورة النور ، آية ٦٢ .

(٢) سورة النور ، آية ٦١ .

(٣) سورة يوسف آية ٩٧-١٠٠ .

(٤) سورة النحل ، آية ٩٠ .

(٥) محمد الغزالي ، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، ط ١ ، مئذنة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م ، ص ٢٠٩ .

(٦) فايز فارس ، الأخلاق المسيحية ، ط ١ ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٧ م ، ص ٢ .

ويقول أيضاً: "والإنجيل يوجه دعوة المسيح إلى الناس أن يتوبوا، وأن يتخلقوا بأخلاق العفة والتسامح والتصافح؛ لأن مصدر تعاليم السيد المسيح هو الله لذلك يمكن أن نطلق على الأخلاقيات الاجتماعية في تعاليم المسيح بأنها أخلاق كمال

.....

لقد علم السيد المسيح الناس أن تتحرر دوافع سلوكهم من الرغبة في الحصول على استحسان الناس، وإلا فإن البشر يمكن أن يفعلوا الصلاح، بدافع نوال الجزاء من الناس، لا من منطلق الطاعة لأمر الله، ولعل هذا يذكرنا بحديث أفلاطون، حيث يقول: إن الامتحان الحقيقي إذا ما كان إنسان ما فاضلاً في الواقع، وليس تظاهراً، وهو أن يرى ما يفعله هذا الإنسان لو أمكنه أن يلبس خاتماً سحرياً يخفيه عن نظار الناس، ويسمح له بأن يرتكب الرذائل دون ملاحظة أحد، أو عقاب من أحد، فإن استمر فاضلاً كان بالحق كذلك" (١)، جاء في الإنجيل بأن المسيح يحذر من أن يكون الباعث على التسامح اجتماعياً، يقول السيد المسيح: "احذروا من أن تعملوا بركم أمام الناس، بقصد أن ينظروا إليكم، وإلا فليس لكم مكافأة عند أبيكم، ولا تكون مثل المرائين الذين يحبون أن يراهم الناس" (٢) ويقول أيضاً: "فإن من يفعلون هذا لينالوا استحسان البشر يستوفون أجرهم بمجرد ثناء الناس عليهم، والحكمة وراء هذه التعاليم أننا إذا أردنا أن نرضي الناس، فلن نستطيع أن نرضي الله إذا استدفعنا هذه الرغبة إلى سلوك لا يرضي الله، فلا يكفي أن تكون الأفعال صالحة، بل ينبغي أن تكون الدوافع نفسها نقية والأشواق والعواطف مقدسة" (٣)، وفي الإنجيل: "هكذا فليضيء نوركم أمام الناس، ليروا أعمالكم الحسنة، وعندما تدخلون بيوتاً ألقوا السلام عليه، فإذا كان البيت مستحقاً فعلاً فليحلّ سلامكم عليه" (٤)، و: "ولست أصلي لأجل هؤلاء فقط، بل من أجل الذين يؤمنون بي، بسبب كلمة هؤلاء، ولكي يؤمن العالم أنك أنت أرسلتني، إني أعطيتهم المجد الذي أعطيتني" (٥) والمعنى كرسهم للعمل الذي أنا أرسلهم إليه كما أنني أكرس نفسي للعمل الذي جئت لأجله، لأجل بقاء هذا العمل، وأن طاعته من تلقاء نفسه وإرادته، واختياره التام (٦).

(١) فارس، الأخلاق المسيحية، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٢، انظر ص ٥١ من نفس الكتاب.

(٢) إنجيل متى، إصحاح ٦، فقرة ١-٨.

(٣) فارس، الأخلاق المسيحية، المرجع السابق، ص ٥٢.

(٤) إنجيل متى، إصحاح ٥ فقرات ١٦-١٧، إصحاح ١٠، فقرات ١٢-١٤.

(٥) إنجيل يوحنا، إصحاح ١٧، فقرة ٢٠-٢٤.

(٦) جمعية الكتاب المقدس، العهد الجديد، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

يقول صاحب كتاب الأخلاق الاجتماعية: " من خصائص الأخلاق عند السيد المسيح أنها تتجه إلى بواطن النفس قبل ظواهرها ، واعتبر السيد المسيح أن واجب الإنسان مداواة مشاعر المرارة المتولدة من الغضب ، وإعادة الصفاء إلى العلاقات ، ولا يمكن التصالح بعد الغضب إلا بالغفران والتسامح ، ويقول : " إن الباعث على التسامح الاجتماعي هو أمرٌ طبيعي عند من يعرف أن الله سامحه ورحمه ، يقول السيد المسيح : إن استمرار رحمة الله وغفرانه للإنسان مشروط بروح التسامح ، التي تظهر في الإنسان نفسه ، فالشخص غير المتسامح اجتماعياً محروم من نعمة التواضع التي تجعله مؤهلاً لنوال غفران الله ، مهما كان استعداد الله أن يسامحه ؛ لذلك فإن التسامح من أعمال الرحمة النابعة من المحبة ، وهدفه إعادة الانسجام والشركة بين الناس ، فهو من أسلحة المحبة القوية التي ينتشر بها السلام ، والأخوة بين البشر" (١) ، وفي رسائل العهد الجديد : " انزعوا عنكم كل حقد ، ونقمة ، وغضب ، وصخب ، وسباب ، وكل شر ، وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض ، شفقين مسامحين بعضكم بعضاً كما سامحكم الله" (٢) ومن التسامح الاجتماعي ، قوله في الإنجيل مخاطباً الأسرة : " أيها الزوجات احضعن لأزواجكن ، أيها الأزواج أحبوا زوجاتكن ، ولا تعاملوهن بالقسوة ، أيها الأولاد أطيعوا والديكم في كل أمر ، أيها الآباء لا تثيروا غضب أولادكم ، أيها العبيد أطيعوا في كل أمر ساداتكم ، بل اعملوا بقلب صادق خائف ، واجتهدوا بالعمل" (٣) .

الخلاصة :

في ضوء ما سبق من النصوص في القرآن الكريم والعهد الجديد أحد أن للباعث الاجتماعي الأثر الواضح من خلال التعامل مع هذه النصوص ، وأن هذا الباعث في التسامح ينطلق من وازع اجتماعي .
ولا تعارض بين أن يكون الباعث على الفعل اجتماعياً وبين أصله ، وهو نيل رضوان الله تعالى .

(١) فارس ، الأخلاق المسيحية ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .

(٢) الرسالة إلى مؤمني أفسس ، إصحاح ٤ ، فقرة : ٣١-٣٢ .

(٣) الرسالة إلى مؤمني كولوسي ، إصحاح ٣ ، فقرة ١٨-٢٥ .

المطلب الثاني : الباعث السياسي :

إذا كنا نقرُّ بأن التسامح يعني الاعتراف بالآخر ، والتعايش معه على أساس حرية العقيدة ، وحرية التعبير ، وإذا كان التسامح له مجالاته الواسعة وبواعثه المختلفة ، فإن المراد هنا التسامح الأعم ليشمل التسامح السياسي ، على مختلف المستويات ، أي أن يكون الباعث على تسامحنا مع غيرنا سياسياً ، وهذا الذي تسلكه الدول المسلمة مع غيرها من الدول بغية الوصول إلى الاتفاق ولو في مجال معين .

إن مفهوم التسامح سوف لا يقتصر على دائرة معينة كالعقائد والأديان ، وإنما يتخطاها على صعيد السياسة وغيرها ، وربما كان المجتمع والشعوب أكثر حاجة لهذا التسامح ، وهذه ضرورة اقتضت توسيع موضوع التسامح ، ليشمل السياسة والاجتماع إلى جانب التسامح على صعيد العقائد والأديان ، فالباعث السياسي يعني : حق الاعتراف بالآخر وحقه في التعبير عن رأيه ، وممارسته للحكم ، حيثما تستوفي شروط المنافسة السياسية النزيهة^(١) .

ففي التسامح السياسي لا بد فيه من احترام الشعوب والحكام والسلاطين ، كل حسب مكانه ، واحترام الدول بين بعضها البعض ؛ لذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمخاطبة الحكام ، والولاة و الأمصار ، من أجل دعوتهم إلى الله (١) ، وكان خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يتسم بالتسامح والعطف ، واللين من خلال قوله تعالى : " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى " (٣) ، وقوله تعالى : " وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا " (٤) ، ومن أجل تكريم الإنسانية قال تعالى : " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ " (٥) ، يقول صاحب مقال التسامح: كل هذا يقود إلى التسامح السياسي بعيداً عن العنف والاستبداد ، بل من أجل التوفيق بين المجتمعات ، لذلك لا يمكن إشاعة قيمة التسامح في ظل أجواء الاستبداد ؛ لأن طبيعة الاستبداد تقتضي عدم الاعتراف بالحقوق السياسية ، الأخرى ، والتي منها حق ممارسة السلطة من أجل التعايش مع الآخر ، ولقد عانت الشعوب ، وما زالت تعاني لذلك لا بد من السعي لتحقيق الآمال في حكومة تسودها قيم العدالة والتسامح ، من خلال الخطوات التالية : وأهمها :

١- تفكيك القيم الاستبدادية ، وتحويلها إلى قيم متسامحة مع بعضها البعض .

(١) فارس ، الأخلاق المسيحية ، مرجع سابق ، ص ٨٤ .

(٢) محمد الحضري ، نور اليقين ، دار الفكر ، بيروت ، ص ١٩٣ - ٢٠٦ ، فصل مكاتبه الملك ، دون طبعة .

(٣) المائدة آية ٢ .

(٤) الحجرات آية ١٣ .

(٥) الإسراء آية ٧٠ .

٢- إعادة تشكيل الفكر ضمن سياقات تؤسس لوعي جديد ، تمرد على قيم الاستبداد ، وتحل محلها قيم التسامح ، كضرورة حياتية .

٣- اعتماد أسلوب آخر في سياسة الدول، حتى نقضي على الهيمنة التي تحول دون التسامح السياسي .

٤- محاربة فتاوى التكفير للدول والشعوب ، حيث لعبت هذه الفتاوى دوراً بارزاً في تأجيج مشاعر الكراهية والحقد بين الشعوب ، وكان من آثارها القتل للأطفال والشيوخ ، والنساء ، والأبرياء ، ولا شك أن الإسلام يحرم هذا ولا يميز قتل الأبرياء والأطفال ، ولكن المشكلة في فهم النصوص القرآنية ، حتى إنه لم تبق من آيات الرحمة والتسامح والعدل مع الآخر بالحسنى سوى الآيات الأمرة بالقتال(١)

إن النبي صلى الله عليه وسلم سلك منهج القرآن الكريم في التسامح السياسي ، لمخاطبة الملوك والشعوب ، قال تعالى: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)(٢)، وقوله: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (٣)، وقوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) ، وقوله: (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) (٥) وقوله: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا) (٦) وقوله: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) (٧) فلماذا تلغى هذه النصوص في تعامل الرسول مع أهل الكتاب ، فالمطلوب من أجل الرقي إلى مستوى المجتمعات المتسامحة، العمل على تفكيك الخطاب المتطرف، وإشاعة الخطاب السياسي والديني ، وإشاعة وعي ديني قادر على فهم الحقيقة من أجل التسامح والعفو والرحمة ، قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا أَلْقَبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (٨)، وقوله تعالى: "والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس" (٩) .

جاء في (كتاب تربية الأولاد): "ومما يروى عن زين العابدين في تسامحه السياسي أن غلاماً كان يصب له الماء بإبريق مصنوع من طين ، فوقع الإبريق على رجل زين العابدين ، فانكسر ، وجرحت رجله ، فقال الغلام على الفور: يا سيدي يقول تعالى : **والكاظمين الغيظ**، فقال زين العابدين: كظمت غيظي، فقال: **والعافين عن الناس**، فقال: لقد عفوت عنك، فقال: **والله يحب المحسنين** ، فقال زين العابدين : أنت حر لوجه الله" (١٠) إنها سياسة في فهم النصوص القرآنية ، سياسة في الفهم ، سياسة في الجواب ، وهذا نوع من التسامح السياسي ، بين زين العابدين والغلام .

جاء في (كتاب تربيتنا الروحية): "ومن حالات الأدب الراقى في التسامح وكظم الغيظ ، وهو معنى دقيق لا يفتن له إلا مؤمن ، حيث أمر الله رسوله بكظم الغيظ ، والعفو عن الناس ، وكان من خلق الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا يغضب لنفسه ، ولكن إذا انتهكت حرمة الله فإنه لا يقوم لغضبه شيء ، وإذا وجد منكراً ، فإنه لا ينتهي سخطه إلا

(١) الغراوي ، التسامح ومنابع اللاتسامح ، قضايا إسلامية معاصرة ، مرجع سابق ص ١٨٥ .

(٢) سورة البقرة ، آية ١١١ .

(٣) سورة النحل ، آية ١٢٥ .

(٤) سورة البقرة ، آية ١١١ .

(٥) سورة الكهف ، آية ٢٩ .

(٦) سورة يونس ، آية ٩٩ .

(٧) سورة آل عمران آية ٦٤ .

(٨) سورة آل عمران، آية ١٥٩ .

(٩) سورة آل عمران ، آية ١٣٤ .

(١٠) علوان تربية الأولاد في الإسلام ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٧٢ .

بانتهاء هذا المنكر . (١) وقد علق الصابوني على تسامح الرسول سياسياً فقال: "أمر الله رسوله أن يعاقب بمثل ما عوقب به ، أي من اعتدى فعامله بالمثل ولا تزيد ، ولكن لئن عفوت وتركت القصاص ، فهو خير وأفضل ، وهذا ندب إلى التسامح ، وترك عقوبة من أساء ، فإن العقوبة مباحة ، وتركها أفضل ، واصبر يا محمد على ما ينالك من الأذى في سبيل الله ، ولا تحزن على الكفار ، ولا يضيق صدرك بما يقولون من السفه والجهل ، ولا بما يدبرون من المكر والخديعة" (٢) مما سبق يتبين لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم تسامح في هذا الموطن سياسياً ، وانعكس هذا الخلق على المشركين ، وعرفوا أن محمداً صاحب عفوٍ وكرمٍ .

حاء في (كتاب ماذا يعني انتمائي للإسلام): (هذا هو الهدف الأساسي لرسالة الإسلام ، كيف لا وهو يقول: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" ، لأن الخلق الكريم منه عليه السلام دليل الإيمان وثمرته ، ولا قيمة للإيمان بدونها ، وهكذا سياسته عليه السلام مع غيره بالعمو والتسامح ؛ لأن العمل الإسلامي يمتلي بالمكاراة ، وطريق الدعوة محفوفة بالمصاعب ، فالإيذاء والبطش والاهتمام والسخرية كلها من العقبات التي تزدحم في وجه العاملين ، لذلك استخدم الرسول كل الوسائل مع غيره من أجل تخفيف ثقل المصاعب (٣).

ومن الأساليب التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم مع الوفود والقبائل ما يلي :

١- الرسائل : قال صاحب البداية والنهاية : ذكر الواقدي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر ، وإلى النجاشي ، وإلى كل جبار يدعو إلى الله ، وبعث إلى قيصر صاحب الروم بكتاب إلى المقوقس ملك الإسكندرية (٤).، ومن الرسائل الدالة على التسامح" من محمد بن عبد الله إلى أسقف الروم ، سلام على من اتبع الهدى أدعوكم إلى عبادة الله .. والتسامح هنا هو في إقامة العدل والمحبة على شرع الله.

٢- كتابة الرسول إلى أهل نجران : ذكر السيوطي أن رسول الله كتب إلى أهل نجران قبل أن يتزل عليه طس سليمان ، بسم الله إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، من محمد رسول الله إلى أسقف نجران : أما بعد ، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم آذنتكم بالحرب والسلام (٥)، والتسامح هنا في أسلوب الدعوة إلى عبادة الله ، وترك عبادة العباد.

٣- استقبال وفد نجران في مسجد الرسول ، قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى (إِنَّمَا إِلَهُ الْإِنسَانِ إِلَهٌ وَاحِدٌ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ) (٦) : إن وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا ستين ركباً منهم أربعة عشر رجلاً من أشرفهم ثلاثة ... فأتوا المدينة ، ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد صلاة العصر ، عليهم ثياب الحران . جب وأردية فاخرة وقد حانت صلاتهم ، فقاموا ليصلوا في المسجد فقال عليه الصلاة والسلام : **دعوهم فصلوا إلى المشرق** ، ثم تكلم أولئك الثلاثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى صلى الله عليه وسلم ... (٧) . في ضوء ما سبق من أساليب الرسول يتبين أن النبي عليه الصلاة والسلام كان في تعامله مع غيره من أهل الكتاب ، وخاصة النصراني ، متسامحاً سياسياً كما هو واضح فقد أذن لو وفد نجران أن يدخلوا مسجده صلى الله عليه وسلم ، ليس هذا

(١) سعيد حوى 'تربيتنا الروحية' ، ط ١ ، دار الكتب العربية ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٢٥٠.

(٢) محمد علي الصابوني 'صفوة التفسير' ، ط ١ ، ج ٧ ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٤٨ ، بتصرف

(٣) فتحي يكن ، ماذا يعني إنتمائي للإسلام ، ط ١٠ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص ٣٨.

(٤) إسماعيل بن كثير ، ت ٧٧٤ هـ ، البداية والنهاية ، ج ٤ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ٢٦٢ ، دون طبعة..

(٥) عبد الرحمن السيوطي ، ت ٩١١ هـ 'الدرر المنثور' ، ج ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ص ٢٢٩ ، دون طبعة.

(٦) آل عمران ٢.

(٧) محمد بن محمد أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ص ٣ ، دون طبعة..

فحسب ، بل وصل الأمر أن يسمح لهم أن يقيموا صلاتهم في نفس المسجد ، وأيضاً يتم استقبالهم والتكلم معهم ، كل هذا في مسجده .

إن عقلية الرسول عليه السلام المؤيدة بالوحي جعلت منه إنساناً عظيماً وسياسياً كبيراً ، في تعامله مع غيره من الناس ، وهذا دليل على أن تصرفات الرسول وحي قال تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) (١) ، ومن الرسائل الدالة على ذلك أيضاً: " قدم وفد على النبي عليه الصلاة والسلام، وكان من بينهم رجل شديد القول ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي جاء بك وسهل الله قلبك للأيمان ثم قبض على يديه ولم يعنف ولم يغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى ذلك شهد أن لا اله إلا الله وأن محمد رسول الله " (٢) . ووجه الدلالة هنا : تعامل الرسول عليه الصلاة والسلام بدون غضب أو تعنيف وهذا دلالة على تسامح الرسول عليه الصلاة والسلام، وأيضاً : " لما انتهى رسول الله إلى تبوك أتاه صاحب أيليه ، فكتب له رسول الله (هذا أمانة من الله و محمد إلى صاحب أيليه لهم ذمة الله وذمة محمد ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحرين، " (٣) .

وقد أشار صاحب مقال (نحو منهجية معرفية) إلى أهمية مبدأ التعرف في عملية التعايش السياسي ، بقوله : إن المسلمين لا يقبلون مبدأ احترام خصوصيات الآخرين فحسب ! بل إنهم يطالبون أنفسهم والآخرين بالوقوف مع الداعين لحماية الخصوصيات ، خصوصيات الشعوب على تنوعها من لغات وتاريخ وثقافة من أجل مساعدة البشر ، كل البشر ، على إدراك إنسانيتهم المشتركة ، وإيجاد حالة التعارف المؤدية إلى التآلف الذي يقود إلى التعاون على تعزيز ما عُرف بالإسلام بالمعروف ، من أجل الانخراط في مشروع التسامح السياسي ، القائم على أساس العدالة . والتعاون على البر والتقوى ، فالتعاون بحاجة إلى صفات نفسية وسلوكية متبادلة قوامها الرحمة والتسامح ، وحسن الظن والثقة ، وقبول الرأي الآخر ، حيث إن هذه الصفات تخلق مناخاً اجتماعياً مواتياً إلى التعاون والتضامن ، فليس من المعقول أننا على مستوى النظري ننتهي إلى شرعة التيسير والرحمة ، والتسامح والعدل ، ولكننا على مستوانا الواقعي ، نسرف في الغلو والتطرف (٤) . ومن البواعث السياسية للتسامح أن الله تعالى أمر رسوله بمجادلة أهل الكتاب بالحسنى ، قال تعالى : " وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " (٥) ، قال ابن جرير الطبري: "أمر الله المؤمنين بمجادلة أهل الكتاب بالجميل من القول ، وهو الدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه، جاء عن مجاهد أنه قال : إن قال أهل الكتاب شراً فقولوا خيراً ألا الذين ظلموا، حيث أمر الله المؤمنين أن يختاروا الأسلوب الحسن بالقرآن والدعاء " (٦) وأمر الله تعالى بالبر والعفو والتسامح مع المسلمين الذين لا يقاتلون ، قال تعالى : " لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ " (٧) .

(١) سورة النجم آية ٣ .

(٢) محمد بن هشام ، سيرة ابن هشام ، ط١ ، ج٥ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٩٩٠م ، ص٢٠٦ ، وانظر الروض الأنف ، ج١ ، ص٤٢٠ .

(٣) المرجع السابق ، ج٥ ، ص٢٠٧ .

(٤) طه جابر العلواني ، نحو منهجية معرفية قرآنية ، إسلامية المعرفة ، العدد ٣٥ ، السنة التاسعة ، بيروت ، لبنان ، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ص ٢٥ .

(٥) سورة العنكبوت ، آية ٤٦ .

(٦) محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مرجع سابق ، ج١٠ ، ص١٤٩ .

(٧) سورة الممتحنة ، آية رقم ٨ .

وإذا ما انتقلنا إلى الإنجيل وأسفاره (العهد الجديد) وجدنا أن الباعث السياسي للتسامح واضح من خلال النصوص والمواعظ والرسالات للسيد المسيح عليه الصلاة والسلام ، جاء في الإنجيل : عندما أرسل السيد المسيح الرسل أوصاهم قائلاً : " لا تسلكوا طريقاً إلى الأمم ، ولا تدخلوا مدينة سامريه ، بل اذهبوا إلى بيت إسرائيل ، وبينما أنتم ذاهبون بشروا قاتلين : قد اقترب ملكوت السماوات ، المرضى اشفوا ، والموتى أقيموا ، والبُرص طهروا ، والشياطين اطرُدوا ، وكلما دخلتم مدينة أو قرية فاجتثوا فيها عن من هو مستحق ، أقيموا هناك حتى ترحلوا ، وعندما تدخلوا بيتاً ألقوا السلام عليه ، فإذا كان البيت مستحقاً فعلاً فليحل سلامكم عليه ، وإن كان أحد لا يقبلكم ، ولا يسمع كلامكم في بيت أو مدينة ، فاخرجوا من هناك ، وانفضوا الغبار عن أقدامكم ، وكونوا مسالمين كالحمائم " (١) وهذا من أعظم البراهين على سلامة المسيح ، وصفاء قلبه ، وحكمته السياسية ، حيث أمرهم أن يكونوا حكماء ، وبعيدين عن الشر ، وأمرهم بالسلام عند كل قرية ، حتى يحل السلام عليهم ، وإذا لم يقبلهم أحد فيجب أن يكونوا مسالمين ، لا أشرار ، وهذه سياسة حكيمة (٢) وفي مرقس لما أرسل عيسى التلاميذ فانطلقوا يبشرون داعين إلى التوبة وطردهم الشياطين (٣) ، و : " وأي بيت دخلتموه فقولوا أولاً سلاماً لهذا البيت وأي مدينة دخلتم وقبلكم أهله ، فكلوا مما يقدم لكم ، واشفوا المرضى الذين فيه " (٤) ، وهذا فيه إشارة إلى الباعث السياسي ، من حيث الأكل مما يقدم لهم ، ومن حيث شفاء المرضى .

و في يوحنا : " ووصيتي لكم أن يجب بعضكم بعضاً ، كما أنا أحبكم ، وليس لأحد محبة أعظم من هذه أن يبذل أحد حياته فداءً أحبائه ، وأنتم أحبائي إن عملتم بما أوصيكم به " (٥) . من خلال النص السابق وضح السيد المسيح عظم هذا التسامح في المحبة بالصدقة العظيمة ؛ لأن المحبة أعظم مطلوب ، وأرشدهم إلى أن يكون هذا نابع من القلوب (٦) . وهذا فيه نوع من السياسة التي سلكها المسيح عليه السلام مع أهل البلاد التي أرسل إليها التلاميذ ، وهذه الوصايا اشتملت على سياسة المسيح التي أمر بها التلاميذ .

(١) إنجيل متى ، الإصحاح ١٠ ، فقرات ١١-١٧ .

(٢) جمعية الكتاب المقدس ، تفسير العهد الجديد ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

(٣) إنجيل مرقس ، إصحاح ٦ ، فقرة ١٢-١٤ .

(٤) إنجيل لوقا ، إصحاح ١٠ ، فقرة ١٢-١٥ .

(٥) إنجيل يوحنا ، إصحاح ١٥ ، فقرة ١٢-١٥ .

(٦) جمعية الكتاب المقدس ، تفسير العهد الجديد ، المرجع ذاته ، ص ٢٦٢ ، بتصرف .

وفي أعمال الرسل ورد التسامح السياسي " ولما طلع الصباح ، أرسل الحكام بعض الشرطة ليلبغوا ضابط السجن أمر الإفراج عن بوليس قائلاً أرسل الحكام أمراً بالإفراج فخرج الآن واذهب بسلام(١) ، وأيضاً لا تشتم رئيس شعبك ، وفي قضية إرسال بولس للمحاكمة أمام اليهود : "فأسرعت إليه بعض الجنود ، وأنقذته ووجدته أنه لم يرتكب ذنباً فأمر الحاكم بوضع بولس في القصر وإكرامه" ، وجاء في سياسة التسامح مع المذنبين : وإذا كان أحدهم قد سبب الحزن يكفي هذا الرجل القصاص والأحرى بكم الآن أن تسامحوه وتشجعوه ، وإلا فإنه قد يبلغ في غمرة الحزن الشديد ، لذلك أكدوا له محبتكم وسامحوه ، فمن تسامحوه بشيء أسامحه أنا أيضاً(٢) .

وفي رسالة أخرى : "ذكر المؤمنين أن يخضعوا للحكام والسلطات ، ويطيعوا القانون ، ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح ، ولا يقولوا سوءاً في أحد ، ولا يكونوا مخاصمين بل لطفاً ، يعاملون الجميع بوداعة تامة" (٣)، وفي رسالة مشابهة هذه الرسالة : "اجعلوا هدفكم أن تسالموا جميع الناس ، وتعيشوا حياة مقدسة" (٤) .

في ضوء ما سبق من النصوص يلحظ الباحث أن الباعث السياسي موجود من خلال الأوامر والمعاملة التي يأمر بها هذا الكتاب ، والإنجيل يجعل من هذه النصوص باعثاً سياسياً ليعمل به الناس مع بعضهم .

يقول صاحب كتاب (ماذا يعني انتمائي للإسلام) : "روي أن السيد المسيح عليه الصلاة والسلام كان ينتقل بين القرى للدعوة إلى الله تعالى ، ومعه أصحابه الحواريون ، فكان من سياسته معهم أنه يقول للناس خيراً فيقولون له شراً ، ويسبونه ويشتمونه ، فتعجب الحواريون من أمره وسألوه عن ذلك ، فقال : كل ينفذ مما عنده" (٥) .

نتائج هذا الفصل :

وأهم النتائج التي عاجلتها في هذا الفصل ما يلي :

- ١- إن التسامح الديني تعود أصوله إلى العقيدة الصحيحة عند المسلمين ، أما التسامح الديني في العهد الجديد فإنه لا يعود إلى عقيدة صحيحة ؛ لأن العهد الجديد كتاب بشري كتب بأيدي المؤلفين ، وليس كتاب إلهي .
- ٢- هناك قضايا مشتركة بين القرآن الكريم والعهد الجديد من حيث البواعث الأخلاقية والاجتماعية والسياسية ، أما البواعث الدينية فإنها تختلف بين القرآن الكريم والعهد الجديد .

(١) أعمال الرسل ، إصحاح ١٦ ، فقرة ٣٦ ، وإصحاح ٢٣ ، فقرة ٥ .

(٢) الرسالة إلى مؤمني كورنثوس إصحاح ٢ ، فقرات ١٥ - ١٦ ، انظر تفسير العهد الجديد ، ص ٤٥٦ .

(٣) الرسالة إلى تيطس ، إصحاح ٣ ، فقرة ١-٢ . انظر تفسير العهد الجديد ، ص ٥٥٥ .

(٤) الرسالة إلى العبرانين ، إصحاح ١٢ ، فقرة ١٤ - ١٥ . انظر تفسير العهد الجديد ، ص ٥٨٢ .

(٥) فتحي يكن ، ماذا يعني انتمائي للإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

الفصل الثالث

التسامح الفكري والعملية في القرآن الكريم والعهد الجديد

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول : التسامح الفكري في القرآن الكريم والعهد الجديد.

المبحث الثاني : التسامح العملية في القرآن الكريم والعهد الجديد.

المبحث الأول : التسامح الفكري في القرآن الكريم والعهد الجديد

المطلب الأول : التسامح في الحرية الدينية .

المطلب الثاني : التسامح في الحرية الفكرية .

المطلب الثالث : التسامح في الحوار .

المطلب الرابع : التسامح في الجدل .

المطلب الأول : التسامح في الحرية الدينية في القرآن الكريم.

الحرية في اللغة : يقال : حرَّ الرجل يحرُّ من الحرية، والحرية مصدر الحر ، وحقيقتها: الخصلة المنسوبة إلى الحر لجماعة الأحرار^(١).

ذكر صاحب كتاب المفردات عندما تعرض إلى كلمة الحر قال : الحر خلاف العبد ، والحرية ضربان:

الأول : من لم يجر عليه حكم الشيء نحو قوله تعالى : " الحر بالحر"^(٢).

الثاني : من لم تملكه الصفات الذميمة من الحرص والشرة على المقتنيات الدنيوية^(٣).
وتعني حرية الإنسان فيما يدين به من دين .

الحرية الدينية في الاصطلاح : هناك معان كثيرة منها :

١- قدرة الإنسان على التدين بدين على نحو ما يراه أو يعتقد ، وذلك من غير إكراه في ذلك أو تهيب ، ومثل هذه الحرية مكفولة في الإسلام^(٤).

٢- الحرية الدينية هي تعبير الأفراد في المجتمع عن معتقداتهم الدينية، والممارسة العلنية للطقوس التي يلتزمها الدين.^(٥)

٣- تعني الحرية الدينية : أن يفعل الإنسان ما يعتقد أنه مكلف به وأن فيه صلاح البشر^(٦).

٤- الحرية الدينية عند النصارى تعني : الصورة التي أعطتها الكنيسة الأوروبية للعقيدة من جهة ، وحقن الكنيسة لحركة العلم، وتحريق العلماء ، وفرض الخرافات والأكاذيب على الناس باسم كلمة السماء من جهة أخرى ، كل ذلك قد فرض الإلحاد فرضاً على أحرار الفكر من الأوربيين^(٧).

يقول صاحب كتاب شبهات حول الإسلام : ليس في العقيدة الإسلامية ولا النظام الإسلامي ما يقف في طريق العلم بنظرياته وتطبيقاته ، ووقائع التاريخ هي الحكم في هذا الشأن ؛ لأن العلم الصحيح لا يتعارض مع عقيدة المسلم ، في أن الله هو الذي خلق كل شيء ، والحرية في الإنجيل أن يكتبوا ضد العقائد والعبادات ، وأن يستخفوها للناس ، ويدعوهم إلى التحلل منها ، دون أن يقفوا تحت طائلة القانون ، والحرية الدينية تعني الشورى والعدل^(٨).

(١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٧ .

(٢) البقرة آية ١٧٨ .

(٣) الحسين بن محمد الأصفهاني : ت ٥٠٢ هـ ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق محمد خليل عيتاني، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص ١١٨ .

(٤) أمير عبد العزيز ، حقوق الإنسان في الإسلام ، ط ١ ، دار السلام ، مصر ، ١٩٩٧ م ، ص ١٣٦ .

(٥) محمد سليم غزوي ، الحرية العامة في الإسلام ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ ، ص ٢٠٢ .

(٦) محمد حمد خضر ، الإسلام وحقوق الإنسان ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ٢٦ ، د ط .

(٧) محمد يوسف مصطفى ، حرية الرأي في الإسلام ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٨٩ م ، ص ٤٠ .

(٨) محمد قطب ، شبهات حول الإسلام ، ط ١٦ ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ١٧٩ — ١٨٣ ، بتصرف .

وبناء على ما سبق فإن الحرية الدينية تتضمن معنى مزدوجاً

١- حرية العقيدة : بمعنى أن يعتقد الفرد أو لا يعتقد .

٢- حرية العبادة في إقامة الشعائر الدينية .

وأيضاً لا يجوز إبداء أي شخص بسبب معتقداته الدينية ،ومن هنا فقد قررت الكنيسة أن تكفل الدولة حرية الضمير ، وحرية ممارسة الشعائر الدينية ، مع مراعاة القيود التي يتطلبها النظام^(١) .

يقول صاحب الظلال يرحمه الله : " إن قضية العقيدة كما جاء بها هذا الدين قضية اقتناع بعد البيان والإدراك ، وليست قضية إكراه وغصب وإجبار ، ولقد جاء هذا الدين يخاطب الإدراك البشري بكل قواه وطاقاته ، يخاطب العقل المفكر ، والبداهة الناطقة ، ويخاطب الوجدان المنفعل ، كما يخاطب الفطرة المستكنة ، يخاطب الكيان البشري كله ، والإدراك البشري بكل جوانبه ، في غير قهر حتى بالحارقة المادية التي تلجئ مشاهداها إلى الإذعان ولكن وعيه لا يتدبرها ، وإدراكه لا يتعقلها ؛ لأنها فوق الوعي والإدراك ، وإذا كان هذا الدين لا يواجه الحس البشري بالحارقة المادية القاهرة ، فهو من باب أولى لا يواجه بالقوة والإكراه ، ليعتنق هذا الدين تحت تأثير التهديد ، أو مزاولة الضغط القاهر والإكراه بلا بيان ولا إقناع ولا اقتناع . وكانت المسيحية _ آخر الديانات قبل الإسلام _ قد فرضت فرضاً بالحديد والنار ، ووسائل التعذيب ، والقمع ، التي زاولتها الدولة الرومانية . بمجرد دخول الإمبراطور قسطنطين في المسيحية ، بنفس الوحشية والقسوة التي زاولتها الدولة الرومانية من قبل ضد المسيحيين القلائل من رعاياها الذين اعتنقوا المسيحية اقتناعاً وحباً ! ، ولم تقتصر وسائل القمع على الذين لم يدخلوا في المسيحية ؛ بل إنما ظلت تتناول في ضراوة المسيحيين أنفسهم الذين لم يدخلوا في مذهب الدولة وخالفوها في بعض الاعتقاد بطبيعة المسيح ! فلما جاء الإسلام عقب ذلك ، جاء يعلن _ في أول ما يعلن _ هذا المبدأ العظيم الكبير _ " لَأِكْرَاهَ فِي الدِّينِ " ، وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره ، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد ، وتحميلة تبعه عمله وحساب نفسه ، وهذه هي أهم خصائص التحرر الإنساني ... التحرر الذي تنكره على الإنسان في القرن العشرين مذاهب متعسفة ، ونظم مذهلة ، ولا تسمح لهذا الكائن الذي كرمه الله -باختياره العقيدة- أن ينطوي ضميره على تصور للحياة ونظمها ، غير ما تمليه

(١) غزوي ، الحرية العامة في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢ .

عليه الدول بشئٍ أجهزتها التوجيهية ، وما تمليه بعد ذلك بقوانينها وأوضاعها ، فإما أن يعتنق مذهب الدولة هذا ، وهو يجرمه من الإيمان بإله الكون، وإما أن يتعرض للموت بشئٍ الوسائل والأسباب .
إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان التي تثبت له بما وصف إنسان ، فالذي يسلب إنساناً حرية الاعتقاد ، إنما يسلبه إنسانيته ابتداءً ، ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة والأمن من الأذى والفتنة ...، وإلا فهي حرية بالاسم لا مدلول لها في واقع الحياة .

والإسلام هو أرقى تصور للوجود ، وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مرأ ، وهو الذي ينادي بأن لا إكراه في الدين ، وهو الذي يبين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين ، فكيف بالمذاهب والنظم الأرضية القاهرة المتعسفة وهي تفرض فرضاً بسلطان الدولة ولا يسمح لمن يخالفها بالحياة"^(١)

يقول صاحب تفسير القرآن العظيم: " لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام ، فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه ، ولا يحتاج إلى أن يكره أحداً على الدخول فيه ؛ بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ، ومن أعمى الله قلبه ، وختم على سمعه ، فإنه لا يفيدته الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً"^(٢)

يقول صاحب الكشاف في قوله تعالى : (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)^(٣): لم يجبر الله أمر الإيمان على الإكراه والقسر ، ولكن على التمكين والاختيار ، ونحو قوله تعالى " وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُم جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ "^(٤)

أي لو شاء لقسرهم على الإيمان ، ولكنه لم يفعل ، وبنا الأمر على الاختيار ، قد تبين الرشد من الغي ، وقد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل والواضحة ، وجاء في نزولها ما روي أنه كان للأنصاري من بني سالم ابنان ففتنصرا قبل أن يبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال : والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا ، فاختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأنصاري : يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر ، فنزلت الآية "^(٥)

(١) قطب ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢٩١ .

(٢) ابن كثير ٧٧٤هـ ، تفسير لقرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٣١٠ .

(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٥٦ .

(٤) سورة يونس آية رقم ٩٩ .

(٥) محمود بن عمر الزمخشري ، ت ٥٣٨ ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل ، ط ١ ، ج ١ ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٥٣٣ .

وجاء في سبب نزولها ما قاله ابن عباس : "كانت المرأة من الأنصار لا يكاد يعيش لها ولد فتحلف لئن عاش لها ولد لتهودنه ، فلما أجليت بنو النضير إذا فيهم أناس من أبناء الأنصار ، فقالت الأنصار يا رسول الله : أبنائنا ! فأنزل الله لا إكراه في الدين، قال سعيد بن جبير: " فمن شاء لحق بهم ومن شاء دخل في الإسلام" (١) وفي هذه الآية كما قال الإمام النسفي تدل على أنه لا إجبار على الدين الحق وهو دين الإسلام ، وكان هذا في ابتداء الإسلام ، ثم نسخ الأمر بالقتال، بقوله تعالى: " قد تبين الرشد من الغي": أي تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة (٢)

وجاء في كتاب (حقوق الإنسان) بتعليق جميل حول الحرية الدينية : "لا يمكن تقييد حرية الأفراد ، وإذا تقيدت هذه الحقوق فلا يشعر الإنسان بشخصيته الإنسانية وإنما ينقلب إلى آلة صماء مسخرة للدولة التي تقوم بدورها بالظلم ، وانتهاك حقوق الأفراد ، وتنقلب إلى الاستبداد ، والحرية الدينية تنصرف إلى غير المسلمين ، فالإسلام لا يلزم الإنسان البالغ العاقل على الدخول في الإسلام ، ومع القناعة واليقين أن الإسلام هو الدين الحق المبين ، وأن للإنسان حرية الاعتقاد، واختيار الدين الذي يريده ، على أن يتحمل نتيجة هذا الاختيار، قال تعالى : " لَأِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ " (٣) ، وأكد القرآن الكريم هذه المعاني في عدة آيات منها : " وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ " يونس آية ٩٩ ، وقوله تعالى : " لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ " (٤) ، وأن الرسول والعلماء والدعاة من بعده مجرد مبلغ وناصح ومذكر، قال تعالى : " فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ " سورة الغاشية ٢٢، ٢١ وبالتالي فإن الإسلام يترك للإنسان حريته واختياره في العقيدة ، لأن الإيمان أساسه إقرار القلب وتسليمه ، وليس مجرد كلمة تلفظ باللسان أو طقوس وحركات تؤدي بالأبدان ، ولكن القرآن الكريم دعا إلى إعمال العقل وإجهاد الفكر ، وتنميته وحثه على معرفة الحقائق واكتشاف أسرار الكون ، للوصول إلى معرفة الخالق الواحد الأحد ، قال تعالى: " وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ " الذاريات آية ٢٠ ، مما يجعل التفكير ليس مجرد حق في الإسلام بل هو فريضة إسلامية " (٥) . قلت : إن الحرية الدينية واضحة في هذا الدين ، حيث إنه لم يجبر أحداً على اعتناقه، بل جعل هذا يعود إلي رأى الإنسان دون ضغط أو إكراه، والقرآن الكريم ترك لكل أحد حريته في اختياره دينه ولم يجبر أحداً على اعتناق هذا الدين ليجعل تفكير الإنسان حراً طليقاً دون قيود ، وهذا من تسامح القرآن الكريم مع الناس كلهم.

(١) أبو جعفر أحمد النحاس ت ٣٣٨هـ ، معان القرآن الكريم ، تحقيق محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٩٨٨م ، دون طبعه .

(٢) عبد الله بن محمود النسفي، ت ٧١٠هـ ، تفسير النسفي، ط ١، ج ١، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٨م، ص ٣٠٤

(٣) البقرة ٢٥٦ .

(٤) البقرة ٢٧٢ .

(٥) محمد الزحيلي، حقوق الإنسان في الإسلام، ط ٢، دار الكلم الطيب، دمشق، ١٩٩٧م ، ص ١٧٣ .

وهذه الآية قاعدة من قواعد الإسلام ، وركن عظيم من أركان سياسته ومنهجه ، فهو لا يجيز إكراه أحد على الدخول فيه ، ولا يسمح لأحد أن يكره أحداً من أهله على الخروج منه ، ودلت الآية على ظهور أدلة الرشد والإيمان وتمييز الحق عن الغي والضلال ، والجهالة ، وأن الإسلام هو دين الحق ، وأن أنواع الكفر كلها باطلة^(١) .

ولا بد من الإجابة على السؤال المطروح وهو: أنه يظهر فيه التناقض والتعارض بين حرية التدين والاعتقاد وتحريم الردة ، لما أجمع عليه فقهاء الشريعة من أن اعتبار الردة جريمة كبرى تستوجب العقاب الشديد في الدنيا والعقاب الوبيل في الآخرة ، لقوله تعالى: " وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " ^(٢) وقوله عليه الصلاة والسلام : " من بدل دينه فاقتلوه " ^(٣)

وقد أحاب على هذا الإشكال الزحيلي بقوله: " والحقيقة أن هذا الحكم القاسي للمرتد ، هو فرع من حرية التدين والاعتقاد ؛ لأن الإسلام لا يكره أحداً على اعتناقه و الدخول فيه ، إلا إذا حصل عنده القناعة التامة والرضا الكامل ، والإقرار بأن الإسلام حق فيعلن إسلامه وينطوي تحت لوائه ، واتفق الفقهاء على أنه لا يقبل التقليد في العقيدة والإيمان ، ولا بد من موافقة العقل و التفكير في ذلك ، فإن ارتد فيما بعد فهو إما أنه دخل في الإسلام نفاقاً ورياءً ولمصلحة ، وبقي الكفر في قلبه ، فهذا يتلاعب في العقيدة والمقدسات ويستحق القتل بهذه الجريمة ، وإما أنه خرج عن الإسلام لوسوسة شياطين الإنس والجن وإغوائهم وإغرائهم ، فهنا يستتاب وتكشف له الحقائق، ويناقش في شبهته، حتى لا تبقى له حجة، وتزال عنه الأوهام ، فإن أصرّ فإنه يقتل لجريمته العيث في المقدسات والعقائد والأديان، وخروجه عن النظام العام، وخيانتته للأمة التي ترعاه ، والدولة التي تحميها " ^(٤)

ومن هنا يظهر لنا : إنه يتعين على المسلم التسامح وعدم الإجبار، حيث نصت المادة العاشرة من الإعلان الإسلامي على أنه : لما كان على الإنسان أن يتبع دين الفطرة ؛ فإنه لا يجوز ممارسة أي لون من ألوان الإكراه عليه ، كما لا يجوز استغلال فقره أو ضعفه أو جهله لتغيير دينه إلى دين آخر، أو إلى الإلحاد ^(٥) ، وإكماً لهذه المادة نص الإعلان على :

(١) وهبه الزحيلي ، التفسير المنير ، ج ٣ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٩١ م ، ص ٢٣ ، دط .

(٢) سورة البقرة ، آية رقم ٢١٧

(٣) أخرجه البخاري، كتاب استنابة المرتدين ، باب حكم المرتد، برقم ٦٥٢٤ ، ج ٦ ، ص ٦٨١ ، من فتح الباري .

(٤) محمد الزحيلي ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

(٥) المرجع السابق، ص ١٨٥ .

١. حق الشخص في الدعوة إلى دينه الذي يعتنقه ، وحقه في ممارسة العبادات التي تنص عليها العقيدة في بيوت العبادة عامة ، وفي المساجد خاصة ، وأن يقيم الشعائر والنسك التي تتصل بالدين .

٢. إن الجهاد في الإسلام لم يهدف إلى إكراه أحد على الإسلام ، وإنما كان منصباً لإزالة حكم الطواغيت ، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الحكام إلى عدل الإسلام ، ولرفع العقبات أمام الدعاة ، لتنفيذ حرية العقيدة والتدين ، وإزالة الظلم حتى يتمكن الناس من التفكير في العقيدة واختيار الدين الحق والإيمان الصحيح ، قال خالد بن الوليد رضي الله عنه : " إنا لا نكره أحداً على الإسلام " (١) . جاء في كتاب (حقوق الإنسان) تعليقاً على هذه الآية: فالإسلام كان متسامحاً في احترام حرية الاعتقاد ، وجعل الأساس في التسامح أن يختار المرء الدين الذي يرتضيه من غير إكراه ، وأن يجعل أساس اختياره التفكير السليم ، وأن يحمي دينه الذي ارتضاه ، فلا إكراه في الدين ، وبذلك تتكون حرية الاعتقاد من عناصر ثلاث :

١. تفكير حر غير مأسور بشيء من رقة التقليد .

٢. منع الإكراه على عقيدة معينة ، فلا يكره بالتهديد من قبل أحد .

٣. العمل على مقتضى ما يعتقده ويدين .

وقد منع الإسلام الإكراه في الدين ، قال تعالى : " لَّا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ " ، وقد أراد أحد الأنصار أن يحمل ابناً له على الإسلام ، فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم ، ونهى القرآن الكريم عن الفتنة في الدين ، أي اضطهاد الناس لأجل عقائدهم ودينهم ، وأمر القرآن بقتال من يفتنون الناس عن دينهم، قال تعالى: " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ " (٢) . ولقد أبيض القتال في الإسلام لحماية الحرية الدينية ، ومنع الاضطهاد الديني ، قال تعالى: " أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ " (٣) ، إن المسلمين الأولين كانوا حريصين كل الحرص على ألا يكرهوا أحداً في دينه ، وإنه ليروى أن عجزاً نصرانية قابلت عمر بن الخطاب لحاجة لها عنده ، وبعد أن أداها لها دعاها إلى الإسلام فأبت ! فحشي عمر أن يكون في كلامه إكراه لها فقال : " اللهم إني لم أكرهها " (٤) .

(١) محمد الزحيلي حقوق الإنسان في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٤٨

(٢) البقرة ، ١٩٣ .

(٣) الحج آية ٣٩ .

(٤) محمود فرج أبو ليل ، تاريخ حقوق الإنسان في التصور الإسلامي ، ط ١ ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر ، ١٩٩٤ م ، ص ٧٠ ، بتصرف .

ومع ذلك :

لم يقتصر القرآن الكريم على حرية العقيدة ، وعدم الإكراه على الدين الإسلامي ، بل أعلن عن انتفاء كل أشكال الضغط والإكراه ؛ لأن حق الحياة من الحقوق المصونة لكافة البشر ، بقطع النظر عن عقائدهم ، وفي مجموعة آيات ، يتحدث القرآن عن حرية كل فرد في اختيار السبيل الذي ينشد في الدنيا ، كما في قوله تعالى " وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ " الكهف آية ٢٩ ، حيث تقرر الآية بصراحة أن الإيمان والكفر يرتبطان باختيار الإنسان وإرادته ، ولا تشير الآية إلى عقاب أو توبيخ أو تحقير وإهانة دنيوية ، بل تقتصر على الإشارة إلى الاستحقاق الأخروي للظالمين والمعاندين، وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ " الزمر آية ٤١ ، وبالرغم من أن القرآن الكريم لا يساوي بين الهدى والضلال ، ولكنه يمنح الإنسان حريته في الاختيار ، ولا يلزمه بأحدهما خاصة ؛ لأن المعاد يترتب على هذه الحرية ، وليست هناك مسؤولية وحساب مع سلب الاختيار في الدنيا^(١).

"لذلك استنكر الإسلام فكرة القهر، كما نفى القدرة البشرية على الإكراه والتكليف ؛ ولذلك خاطب الله رسوله الكريم مبيناً له مهمته قائلاً : " فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ " الغاشية ٢١ ، ٢٢ ، وبالتالي أرسى الإسلام مبدأ النهي عن الإكراه، قال تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" البقرة ٢٥٦ ، واستبدل هذا الإكراه بالدعوة إلى الإسلام بالحجة والبرهان، ويقوله تعالى : " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " النحل ١٢٥ ، فأباح حرية العقيدة ، وكفل حرية العبادة لأهل الديانات الأخرى ، وحرية الاعتقاد والعبادة في الإسلام ، لا سيطرة لأحد عليها ، سواء كان حاكماً أو مرشداً أو معلماً أم زعيماً ؛ وقد اتخذت الشريعة الإسلامية أسلوباً علمياً لحماية حرية العقيدة والعبادة ، هذا الأسلوب يتضمن طريقتين :

١. إلزام الناس أن يحترموا حق الغير في اعتقاد ما يشاء ، فليس لأحد أن يكره غيره على اعتناق عقيدة ما أو تركه أخرى .
٢. إلزام صاحب العقيدة نفسه أن يعمل على حماية عقيدته ، وألا يقف موقفاً سلبياً ولو أدى الأمر أن يهاجر إلى بلد آخر يكفل حرية العقيدة والعبادة ، ويستطيع فيها إعلانها فإن لم يهاجر وهو قادر على الهجرة فقد ظلم نفسه قبل أن يظلم غيره ، وار تكب إنمأ عظيماً وحقت عليه كلمة العذاب^(٢)

في ضوء ما سبق أقول : اهتم القرآن الكريم بالحرية الدينية لأصحاب العقائد في مختلف الأديان بالمحافظة عليها من العبث والاعتداء ، وانعكس هذا الاهتمام على سلوك المسلمين في التاريخ الإسلامي ، حيث لم تر حادثة واحدة تم فيها إجبار أحد على اعتناق دين ، أو ممارسة ضغط ، أو إكراه من أجل ذلك ، وهذا يدل على تسامح القرآن الكريم في اختيار الإنسان الدين الذي يريد .

أما الأحاديث الواردة منها : ما جاء في حديث ابن عباس قال : كانت المرأة تكون مقالات (أي التي لا يعيش لها ولد) ، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تموده فلما أحليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالوا : لا ندع أبناءنا فأنزل الله لا إكراه في الدين^(٣)

(١) محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج ٢ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ص ٣٤٧ ، بتصرف ، دط .

(٢) خضر ، الإسلام وحقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

(٣) أخرجه أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب : في الأسير يكره على الإسلام برقم : ٢٦٨٢ ، ج ٣ ص ٣٢ ، قال الألباني في صحيح أبي داود : صحيح برقم ٢٣٣٣ ، وابن

حبان البستي ت ٩٦٤ هـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ت ٧٣٩ هـ ، ط ١ ، ج ١ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،

١٩٨٨ م ، كتاب الإيمان ، باب التكليف ، ص ٣٥٢ ، برقم ١٤٠ .

وعن أبي هريرة أنه كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ^(١) ، تنتج : تلد يقال نتجت الناقة إذا ولدت ، جمعاء : سليمة من العيوب مجتمعة الأعضاء كاملة ، فلا جدع فيها ، جدعاء : مقطوعة الأطراف أو إحداهما ^(٢)) قال ابن حجر تعليقا على الحديث: كل بني آدم يولد على الفطرة ، أي من بني آدم واستشكل هذا الترتيب بأنه يقتضي أن كل مولود يقع له التهود وغيره مما ذكر ، والغرض أن بعضهم يستمر مسلماً ولا يقع له شيء ، والجواب أن المراد من الترتيب أن الكفر ليس من ذات المولود و مقتضى طبعه ، بل إنما حصل بسبب خارجي ، فإذا سلم من ذلك السبب استمر على الحق ^(٣) .

وعن أبي أمامة قال : "إني لتحت راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال قولاً حسناً جميلاً ، وكان فيما قال : من أسلم من أهل الكتاب فله أجره مرتين ، وله ما لنا وعليه ما علينا ، ومن أسلم من المشركين فله أجره ، وله ما لنا ، وعليه ما علينا" ^(٤) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب القدر ، باب: الله أعلم بما كانوافاعلين ، برقم ٦٢٢٤ ، ج ١ ، ص ٥٠٢ ، من فتح الباري ، وكتاب الجنائز ، باب: ما قيل في أولاد المشركين برقم ١٣١٧ .

(٣) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .

(٤) أحمد بن حجر ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٢٩٢ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ، ج ٥ ، ص ٢٥٩ ، عن يحيى بن اسحق ، ثنا ابن لهيعة عن سليمان عن عبد الرحمن ، عن القاسم عن أبي أمامة ، مسند الصحابة العشرة ، باقي مسند الأنصار ، حديث أبي أمامة ، قال شعيب الأرنؤوط : صحيح ، وهذا إسناد ضعيف لضعف عبد الله بن لهيعة ، رقم الحديث : ٢٢٢٨٨ .

يدل هذا الحديث على أن النبي صلى الله عليه وسلم ضمن حقوق غير المسلمين وحرانيتهم في دينهم وعقيدتهم ، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أحرهم إن أرادوا الدخول في الإسلام ولم يجبرهم على ذلك ، وإنما ترك الأمر تحت مشيئتهم وإرادتهم ، وإنه نهي المسلم عن فتنة غير المسلم في دينه وعقيدته، والشاهد عليه كما في الحديث ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها ، ويدل هذا على اعتراف النبي صلى الله عليه وسلم بحق غير المسلم من يهود ونصارى في إقامة دينهم وعقيدتهم، ويؤكد على احترام هذا الحق وعدم الاعتداء عليه، وليس لأحد من المسلمين أن يجبرهم على الاعتقاد الإسلامي ولا يعترض عليهم في تصوراتهم التي يجدون أنها منبثقة عن دينهم وعقيدتهم^(١).

إن الذي يدعو إلى الدهشة حقاً أن القرآن الكريم لا يبيح وجود دين آخر معه في بلد واحد فحسب؛ بل إنه يبيح وجوده في البيت الواحد وعلى مرقد واحد؛ فأجاز الزواج من أهل الكتاب، حيث يصرح الزوج المسلم لزوجه بأداء شعائر دينها كما تشاء ، فأبيح تسامح هذا !

يقول صاحب كتاب (حقوق الإنسان) تعليقا على الحديث السابق: "بمذا شيد الإسلام بناء الحرية الدينية على أساس التسامح والمعاملة العادلة النزيهة ... ذلك أنه يقف على أرض صلبة مثبتة، دلائله واضحة، وبراهينه قاطعة، وتعاليمه تسير الفطرة البشرية، والقرآن الكريم يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم " فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ "^(٢)، وأيضاً لم يكن قبل الإسلام حرية في العقيدة ولا ممارسة في الشعائر الدينية ، فجاء القرآن يعلن أن لا إكراه في الدين ، ويبيح للعقائد المخالفة لهذا الدين ، والمقيم أصحابها في أرض مسلمة ، أن ترعى كما تشاء، مستمتعة بكامل حرياتها، في غير خشية على روح أو مال أو عرض ، أو رأي ، يقول تعالى : " لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ " ^(٣) ^(٤).

قلت : ولا ننسى موقف النبي صلى الله عليه وسلم من مشركي مكة يوم الفتح العظيم حيث إنه لم يجبرهم على العقيدة والعبادة ، إنما من عليهم وأطلقهم ، وبين عليه السلام أن هذا الدين ليس دين القتل والإكراه ، إنما هو دين التسامح ، ويحترم العبادة عند الآخرين ، ويؤكد ذلك قوله : " اذهبوا فأنتم الطلقاء " ، وهم على ظن بأن محمداً سيقتلهم لأنهم خالفوه في العقيدة ، والعبادة ، ولكنه أحابهم بكل احترام في حرية العبادة و العقيدة (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ! .

(١) ابن حجر، ٨٥٢هـ ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٢٩٣ .

(٢) آل عمران آية رقم ٢٠ .

(٣) حضر ، الإسلام وحقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص ٢٨ .

(٤) البقرة، آية ٢٧٢ .

وصان القرآن الكريم لغير المسلمين معابدهم ، ورعى حرمة شعائرهم ، بل جعل القرآن الكريم من أسباب الإذن بالقتال ، حماية حرية العقيدة والعبادة، قال تعالى: " أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ " (١) (٢).

يقول صاحب كتاب حقوق الإنسان تعليقاً حول التسامح في الحرية الدينية: "لم يكن على الإسلام بأس ، ولن يكون عليه بأس أبداً ، ولو أصر ألوف المنتسبين إلى الأديان الأخرى البقاء في معتقداتهم ، فالإسلام لم يفرض على النصراني أن يترك دينه أو أن يترك نصرانيته ، أو على اليهودي أن يترك يهوديته ، بل طالب كليهما — ما دام يؤثر دينه القديم — أن يدع الإسلام وشأنه ويعتق من يعتنقه ، دون تهجم مر أو جدل سيئ ، كن مسيحياً أو يهودياً ولا تكن خصماً للإسلام ونبيه وأتباعه تتمنى له الشر وترتبص به الدوائر" (٣) ، وقد اشتمل عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران أن لهم حوار الله وذمة رسوله على أموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانهم، حيث قال: هذا ما كتبه عبد الله أبو بكر خليفة محمد صلى الله عليه وسلم لأهل نجران، حيث أجازهم بجزائرهم بجزائرهم، وذمة محمد صلى الله عليه وسلم على أنفسهم وأرضهم وملتهم وأموالهم وحاشيتهم وعبادتهم، وأسقفهم ، ورهبانهم وبيعهم. (٤) وفي عهد عمر رضي الله عنه إلى أهل إيليا القدس نصّ على حرمتهم في عقائدهم ، وحرية معابدهم وشعائرهم بقوله : " هذا ما أعطى عمر بن الخطاب أهل إيليا من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم ، وصلبانهم وسائر الملة ، أن لا تسكن كنائسهم ولا تخدم ، ولا ينتقص منها... ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ... ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم ، فإنهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم (٥) . في ضوء ما سبق يظهر لنا : أن هذه الصور الواردة من تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم ، هي أفضل دلالة على ما تدل على حقيقة ، بأهل الكتاب ، فلا يريد القرآن إلا الاحترام والتكريم و المساواة ، ولا يريد إلا صونهم وكلاءهم من التحديات والشُرور ، فهم في ذلك عند المسلمين بأمانهم كفالتهم ، فالمسلمون بموجب ذلك منوط بهم أن يحققوا لهم مصالحهم في الأمن والاستقرار والاطمئنان ، والسلامة والرعاية وحقهم الكامل في الحرية .

(٢) محمد سيد طنطاوي ، موقف الإسلام من العنف والعدوان وانتهاك حقوق الإنسان ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص ٨ ، د ط .

(٣) محمد الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر ، ١٩٩٣م ، ص ٩٢ ، د ط .

(٤) القاضي أبو يوسف ، كتاب الخراج ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٧٣ ، د ط .، انظر تخريج الحديث في نصب الراية لأحاديث الهداية للزيلعي ج ٣ ص ١٩٥ ، وابن تيمية في الجواب الصحيح ص ١٩٩ .

(٥) محمد الطبري ، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ط ١ ، ج ٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ص ٦٠٩ ، انظر تاريخ خليفة بن خياط ل خليفة بن خياط ص ٢٦ .

جاء في كتاب (حقوق الإنسان وأسباب العنف): " لا فرض على الإنسان حتى في اختياره دينه ، مع تحمله تبعه اختياره ، فهو صاحب القرار في ذلك ، فقد قرر الله تعالى لا إكراه في الدين ، ورتب على ذلك بكل صراحة ووضوح " فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ " (١) وقوله " لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ " (٢) ، فلا وضوح أكثر في الحق الحاسم الكامل والحرية الكاملة في اختيار الطريق إلى الله والمثاب إليه ، بل في تأكيد الحق الكامل في الإيمان وفي رفضه حتى بالكفر ، ويدل هذا الوضوح القاطع على حرية اختيار الإيمان والكفر ، وتأكيد هذه الحرية وإعلانها (٣) .

ويتفرع من الحرية الدينية (الاعتقادية) احترام بيوت العبادة ؛ ولذلك يترك القرآن الكريم لغير المسلم حرية ممارسة العبادات التي تتفق مع عقيدته، ويحافظ على بيوت العبادة التي يمارس فيها شعائره، ويحرم الاعتداء على بيوت العبادة وهدمها وتخريبها ، سواء في حالي السلم والحرب ، والوثائق التاريخية كثيرة في وصية الخلفاء لقادة الجيوش ، وفي المعاهدات التي أبرمت في التاريخ الإسلامي، وعند الفتوحات مع غير المسلمين، ومنها الوثيقة العمرية مع أهل بيت المقدس، والدليل المادي والملموس بقاء أماكن العبادة التاريخية القديمة للنصارى في معظم ديار الإسلام والمسلمين (٤) .

لهذا كله رسم الإسلام للتسامح صوراً لا نجد لها مثيل في دين آخر ، ولا في تشريع حديث أو معاصر، ورفع شأن الإنسان بصرف النظر عن دينه وعقيدته ، ونوّه بالصلة بينه وبين الأديان الأخرى ، وسما بأهل الكتاب على من سواهم من كفار ومشركين، وأفسح السبيل لمعاشرتهم والعيش معهم، ومن استسلموا أصبحوا أهل ذمة، يتولى المسلمون حمايتهم، ويتركونهم أحراراً في كسب عيشتهم، وأداء عبادتهم، وقامت الكنائس والبيع إلى جانب المساجد في بعض المدن والقرى الإسلامية، ولم يقف التسامح عند هذا الحد، بل كثيراً ما منح أهل الكتاب بعض الامتيازات وتولوا بعض الوظائف الكبرى (٥) .

(١) الكهف ٢٩ .

(٢) النكوير ٢٨ .

(٣) أحمد يسرى ، حقوق الإنسان وأسباب العنف في المجتمع الإسلامي ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ م ، ص ٢٧ ، دط .

(٤) محمد الزحيلي ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٧٥ ، بتصرف .

(٥) إبراهيم مذكور ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٥ ، بتصرف .

الخلاصة :

في ضوء ما سبق تبين ما يلي :

- ١— إن الإكراه في الدين لا وجود له في القرآن الكريم من حيث الفكر والعقيدة ، وإن التاريخ لم يحدثنا عن واقعة واحدة تدل على نوع من الإكراه ، سواء كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو في عهد الخلفاء الراشدين^(١) .
- ٢— تعد حرية العقيدة من الحريات الأساسية التي اشتمل عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، إذ جاء في المادة ما يلي:
أ . لكل إنسان الحق في الحرية الدينية ، ويشمل ذلك حريته بأن يتدين بدين ما وحرية في اعتناقه أي دين أو معتقد ، وإقامة الشعائر .
ب . لا يجوز تعريض أحد لإكراه من شأنه أن يخل بحريته في أن يدين بدين ما ، وحرية في اعتناقه أي دين .
ج . لا يجوز إخضاع حرية الإنسان في إظهار دينه أو معتقده إلى القيود التي يفرضها القانون ، التي تكون ضرورية لحماية السلامة العامة^(٢) .
- ٣— إن التسامح في الحرية الدينية ظاهر في القرآن الكريم من خلال الآيات الكريمة التي وردت ، وهذا يدل على عدم القيود على الحرية في مجالها الديني .

(١) رامز عمار ، محاضرات في حقوق الإنسان والحريات العامة ، دار الراجب الجامعية ، ١٩٩٠م ، ص٣٤ ، دط .

(٢) نظام عساف ، مدخل إلى حقوق الإنسان ، ط١ ، المكتبة الوطنية ، عمان ، ١٩٩٩م ، ص٢١٨ .

التسامح في الحرية الدينية في العهد الجديد .

وإذا قارنا الحرية الدينية في القرآن الكريم مع الحرية في العهد الجديد ، من خلال النصوص الواردة نجد ما يلي :

الحرية الدينية في العهد الجديد تعني : " جهاد النفس بسيطرة الإرادة على القوى العاملة فيها وما يترتب على ذلك من ضبط النزاعات والهوى الإنسانيين" ^(١) .

وأيضاً حق الإنسان في أن يختار الدين الذي يشاء ، بل وأن يختار أن لا يكون مؤمناً في أي دين كان ، ولذلك حرية الدين مقيدة بقيود من أجل أن لا تنقلب الحرية إلى فوضى ، فتمس بحجة التمتع بها ، وينبغي منع هذه الحرية إذا تهدد سلامة المجتمع وأمنه. ^(٢)

وهذه الحرية تنطلق من قاعدة كون التدين صلة روحية محضة بين العبد وخالقه ، ولا شأن لها بكيان الدولة السياسية ، ولا علاقة لها بالبناء التشريعي والاجتماعي والاقتصادي ^(٣) .

ومن النصوص الواردة في العهد الجديد في الحرية الدينية ما يلي :

١- " سألهم يسوع ما رأيكم في المسيح ، ابن الله هو ؟ أجابوه : ابن داوود ، فسأله : إذا كيف يدعوه داوود بالروح رباً له إذ يقول الرب : اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئاً لقدمك ، فإن كان داوود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه ، فلم يستطع أحداً أن يجيبه" ^(٤)

من خلال هذا النص نجد أن المسيح يسألهم عن رأيهم في شخصه، مع العلم أن النصاري ينظرون إلى شخصية المسيح بأنها تمثل الإلهية ، وإن كان هذا لا يسلم لهم ، لكن الجانب الذي ندرسه هو حريتهم الدينية ، وتسامحهم هنا هو ما يفهم من اختيارهم لدينهم ، ومع ذلك فإن النصوص التي تأتي تدل على خلاف في حريتهم الدينية ، فهناك نصوص تدل على وجود الحرية ، وهناك نصوص تدل على أن الحرية الدينية لا وجود لها ، ومع ذلك فإن الحرية الدينية من خلال العهد الجديد غير واضحة المعالم .

(١) فرانز روزنتال ، مفهوم الحرية ، ترجمة معن زيادته ، معهد الاتحاد العربي ، لبنان ، ١٩٧٨ ، ص ٢٧ ، دط.

(٢) محمد المغني ، النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية ، ط ١ ، قطر ، ١٩٩٠ ، ص ٩٠ ، بدون ناشر .

(٣) المغني ، النظرية السياسية ، مرجع سابق ، ص ٩١ .

(٤) إنجيل متى ، الإصحاح ٢٢ ، فقرات ٤٢ - ٤٤ .

ومن النصوص أيضاً : " يا معلم رأينا واحداً يطرد شياطين باسمك وهو لا يتبعنا ، فمنعناه لأنه لا يتبعنا ، فقال يسوع : لا تمنعوه " ^(١)، و " وتشاوروا حول سلطة يسوع أمن السماء أم من غيرها ؟ قائلين : إن قلنا من السماء يقول إذا لم تؤمنوا به " ^(٢) " واخرج في الطرقات والساحات وأجبر الناس على الدخول حتى يمتلئ بيتي " ^(٣)

" فالأب يحب الابن ، وقد جعل في يديه كل شيء ، ومن يؤمن بالابن فله الحياة الأبدية ، ومن يرفض أن يؤمن بالابن فلا يرى الحياة ، بل يستقر عليه غضب الله . " ^(٤)، و "دفاع بولس بقوله : أيها الملك : أتصدق أقوال الأنبياء ؟ أنا أعلم أنك تصدقها ، فأجاب أغريباس : قليلاً بعد ، وتقنعني بأن أصير مسيحياً ، فقال بولس : سواء كان قليلاً أم كثيراً فإن صلاتي إلى الله لأحلك ، ولأجل الحاضرين هنا جميعاً أن تصيروا مثلي ، لكن دون هذه السلاسل . " ^(٥)

قال إيليا : " يا رب قتلوا أبناءك، وهدموا مذبحك ، وبقيت أنا وحدي وهم يسعون إلى قتلي " ^(٦)، و " ومن كان ضعيفاً بالإيمان فاقبلوه بينكم دون أن تحاكموه على إرادة " ^(٧)، و " إن المسيح حررنا وأطلقنا في سبيل الحرية فاثبتوا إذا ولا تعودوا إلى الارتباك بنير العبودية ... فإتوا إلى الحرية قد دعيتم أيها الأخوة ، ولكن لا تتخذوا من الحرية ذريعة لإرضاء الجسد " ^(٨) . من خلال هذا النص الوارد عن عيسى بقولهم : " وهناك صلبوه " ^(٩) لا توجد عند النصارى من خلال كتبهم حرية دينية بدليل قولهم عن عيسى بأنه صلب ، فلو كان هناك حرية عندهم ما صلبوه على حد زعمهم .

((فإن حرركم الابن تصيرون بالحق أحراراً ، .. ولكنكم تسعون إلى قتلي لأن كلمتي لا تجد لها مكاناً في قلوبكم)) ^(١٠) يوضح الكتاب المقدس من خلال نصوصه أن الإنسان لا حرية له فقط ، بل إنه يتعرض ويخضع لهذه السيادة الدينية ، وقد خرج من سيادة الخطيئة وعندها صار حراً ومعنى ذلك : " أن الإنسان تحت سيادة نعمة الله قد صارت له الحرية والتصرف والاختيار ، له أن يختار ما يريد ، أما تحت سيادة الدين فلا حرية له " ^(١١) .

والأصل في هذه الحرية أنها حق ، وهي حاجة ملازمة لكرامة الإنسان ، لا سيما في هذا الحقل الديني والأخلاقي ، ومع ذلك فإن هذه الحرية متعذر الحصول عليها ^(١٢) .

وتعني الحرية هنا أن الإنسان حر يستطيع أن يختار ما يشاء بين الخير والشر ، بدليل ما ورد في العهد الجديد ، قال يسوع للشباب الغني : " إن أردت أن تدخل الحياة فأحفظ الوصايا " ^(١٣)، وقال مقررراً أورشليم : " يا أورشليم : كم مرة أردت أن

(١) إنجيل مرقس، إصحاح ٩ ، فقرات : ٣٨ — ٣٩

(٢) إنجيل : مرقس، إصحاح : ١١ ، فقرات: ٣١—٣٢

(٣) إنجيل لوقا ، إصحاح: ١٤ ، فقرات: ٢٣

(٤) إنجيل يوحنا، إصحاح : ٣، فقرات ٣٦

(٥) أعمال الرسل ، إصحاح : ٢٦ ، فقرات ٢٧ — ٢٩ .

(٦) الرسالة إلى مؤمني روما ، إصحاح ١١ ، فقرة ٣ .

(٧) الرسالة إلى مؤمني روما : إصحاح ١٤ ، فقرة ١ .

(٨) الرسالة إلى مؤمني غلاطية ، إصحاح ٥ ، فقرات ١ ، ١٣

(٩) إنجيل يوحنا ، إصحاح ١٩ ، فقرات : ١٨

(١٠) إنجيل يوحنا ، إصحاح ٨ ، فقرة ٣٦ .

(١١) صموئيل حبيب ، السلوك المسيحي وتحديات العصر ، ط٣، دار الثقافة المسيحية، القاهرة ، ١٩٧٧، ص٤٣ .

(١٢) أغسطينوس شديقان الكرمل، ملخص التعليم المسيحي ، دار سيدة الكرمل، بيروت، ١٩٩٧م، ص٥١، د ط

(١٣) متى ١٧/١ .

أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها فلم تريدوا" (١)، وفي سفر الأعمال ورد "يا قساة القلوب وغير المحتوين في قلوبكم إنكم دائماً تقاومون الروح القدس كما فعل آباءكم" (٢).

مما تقدم لنا في هذا النص يتضح لنا أن الله يعرض وصاياه على الإنسان قاصداً مساعدته للبلوغ إلى الغاية التي خلق من أجلها ، ويترك له مقدرة الاختيار بين أتباعها ومخالفها ، والله سيحاسب بموجب اختياره ، فالإنسان إذا مخير بإمكانه أن يختار بين الموت والحياة ، والخير والشر (٣) .

لذلك خلق الله الإنسان حراً ، وجعله سيد الكون ، ولم يفرض عليه شيء ، بل أنعم عليه بعقل مميز ، ثم تركه يختار ، فالإنسان مخير ولا أحد حكم عليه غير نفسه ، فإن ضل الطريق فهو المسئول الوحيد عن خطئه حيث جاء في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس ١٧/٣ أن الرب هو الروح وحيث يكون الروح فهناك الحرية ؛ لأن الحرية هي أعظم هبة وهبها الله للإنسان ، لذلك لا يجوز أن يكون في الكنيسة قهر ولا تسلط (٤) ، و" فالإنجيل يبين لنا في كل لحظة أن الإنسان مسئول عن أعماله ، فإن أمن وصنع خيراً يثاب ، وإن صنع شراً ولم يؤمن يعاقب ، ونصوص الإنجيل واضحة تقول : إن الناس كافة مدعون ، ولكن ليس أحد منهم مكرهاً ، والإنسان حر وهو مسئول لأنه حر ، ويسوع يدعو الناس ، ولكنه يدعوهم أحراراً ، فالمدعون أحراراً ، جاء في يوحنا ١٥ / ١٦ " ليس أنتم اخترتموني ، بل أنا اخترتكم " وهذه من وصايا عيسى . وهناك نصوص لا يميز فيها حرية الديانة حيث يعاقب من اختار بجرية رفض الإيمان أو صنع شرا ، والآخر يعاقب الذين لم يؤمنوا لأنهم لم يكونوا يقدرين على الإيمان (٥) .

في ضوء ما سبق يظهر لنا أن الحرية الدينية تتيح للأفراد تبني ما شاعوا من معتقدات دون إكراه أو إجبار وهذا غير مطبق عند النصارى من خلال كتبهم .

الخلاصة :

في ضوء دراستي للعهد الجديد ، وفي ضوء ما تقدم من الإشارة لبعض النصوص الواردة ، والتي كان بعضها يشير إلى عدم الحرية الدينية في العهد الجديد ، أستطيع أن أصل إلى خلاصة من خلال تتبع النصوص ، ومن خلال الحكم على سلوكيات الإنجيل وأسفاره ، أن العهد الجديد يحتوي على نصوص واضحة في الحرية الدينية ، وهو متوافق لما تقدم ؛ وبناء عليه فالحرية الدينية هي التي أميل إلى وجودها لأسباب :

١. وجود نصوص في العهد الجديد داخل الكتاب المقدس عند المسيحية .
٢. الاحتكام إلى منهج المسيح عليه السلام ، وأنه لم يأمر بالإجبار لأحد حول ترك دينه والذهاب إلى دين آخر .
٣. لا شك أن منهج السيد المسيح عليه السلام واضح ، وهو منهج غيره من الأنبياء في عدم إجبار أحد على ترك دينه أو التمسك بدين معين .

(١) متى ٢٣/٣٧ .

(٢) أعمال الرسل ٥١/٧ .

(٣) جبرائيل فرح البوليس ، ماذا وراء حفنة تراب ، المكتبة البوليسية ، لبنان ، ١٩٨٠ م ، ص ٥٧ ، بدون طبعة .

(٤) روفائيل خزام ، هل أنا حر ، مطبعة العالم العربي ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٥١ ، د ط .

(٥) البير بايه ، أخلاق الإنجيل ، ط ١ ، دار الحصاد ، دمشق ، ١٩٩٧ ، ص ٣٣ .

المطلب الثاني : التسامح في الحرية الفكرية في القرآن الكريم .

تعريف الحرية الفكرية: هي حق المرء في التعبير بكلمة صادقة ، لا تعكس مصالح ذاتية يريد بها صاحبها صالح الجماعة المسلمة التي ينتمي إليها^(١)، أو هي أعمال النظر في المنهج الذي يفكر به ، أو ينبغي أن يفكر به من المبادئ والتعاليم والرأي والأفكار ، أي أن يكون للإنسان الحق في أن يفكر تفكيراً مستقلاً في جميع ما يكتنفه من تعاليم ، وما يقع تحت إدراكه من ظواهر ، وأن يأخذ ما يهديه إليه فهمه ، ويعبر عنه بمختلف وسائل التعبير^(٢) .

إن الحرية الفكرية هي منتهى ما يستقر في الذهن بعد البحث والتفكير ، ومن حق المجتمع الذي ربي هذا الذهن وأولاه عنايته أن ينتفع بثمرته ، وهو لا ينتفع بذلك إذا كان هناك قيد على نشر هذه الآراء ، ما دامت في محيط النفع العام ، وما دامت في دائرة العقل ، وفي إطار من الاحترام يحجزها عن التعدي على حرمان الآخرين ، أو على قدسية الأديان والقانون ، إن الآراء السليمة هي التي تكون الجو المناسب للتقدم الحضاري المنشود ، وإن الجو الإسلامي هو خير الأجواء التي تتميز فيها الأفكار والآراء الهادفة إلى الخير والمصلحة العامة ، ففي غزوة بدر ، وفي أول لقاء بين الإسلام والكفر تخير الرسول صلى الله عليه وسلم مكاناً للمعركة، رأى أنه الموقع المناسب ، ومع أن الرسول صلى الله عليه وسلم يتمتع بين أمته باحترام وتقدير خاص ، حيث إنه الموحى إليه ؛ ومع هذا يفسح المجال للحرية الفكرية والمناقشة ، قال له الحباب بن المنذر في أدب جم ، وفي حرص شديد على مصلحة المسلمين : " أرأيت هذا المنزل أهو منزل أنزلك الله ليس لنا أن نتقدم عليه أو نتأخر ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال : ليس هذا بمنزل يا رسول الله ، اغض بالناس حتى تأتي على أدنى ماء من القوم ثم تغور ما وراءه فنشرب ولا يشربون، ولم يسع الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن يستجيب لرأي هذا الجندي المخلص"^(٣)

وقد أقرّ القرآن الكريم هذا الحق في أوسع نطاق ، فمنح كل فرد الحق في النظر والتفكير ، وإبداء رأيه عن أي طريق شاء ، قال تعالى: "وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ"^(٤) والمعنى ليكن من هذه الأمة من أصحاب التفكير السليم التي تدعوا إلى الخير وتنهى عن الشر

قال صاحب كتاب(حقوق الإنسان في الإسلام):" وعلى هذا المبدأ سار الرسول عليه السلام ، وسار الخلفاء الراشدون من بعده، فقد كانت حرية الرأي في عهدهم جميعاً مكفولة ومحاطة بسياج من القدسية، وباستقرار تاريخ هذه المرحلة التي تمثل مبادئ الإسلام أصدق تمثيل، لا نعثر على أي محاولة من جانب أولي الأمر للحجر على حرية الآراء ؛ بل إن العمل بهذا المبدأ ظل مرعياً في عهد بني أمية و صدر بني عباس ، فما كان الخلفاء في هذين العصرين ليحاربوا الآراء التي يعتقدون أنها تهدد سلامة الدولة أو تنشر الفتنة بين الناس ، وكان هؤلاء وأولئك يستوحون ما يسيرون عليه في هذا الصدد من روح الإسلام ومبادئه، بل إن احترام بعض الخلفاء لحرية الرأي والتفكير في عصر بني أمية وبني العباس، قد وصل إلى حد جعلهم يتخرجون من وضع أي قيد في هذا السبيل، فقد كان الخلفاء في عهد عمر بن عبد العزيز والمأمون بن هارون الرشيد وغيرهما يتناقشون بكامل الحرية ، وفي حضرة الخليفة نفسه في شأن الأسرة المالكة ومبلغ استحقاقها للخلافة "^(٥) .

(١) مصطفى ، حرية الرأي في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(٢) عبد المجيد النجار ، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين ، ط ١ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا ، أمريكا ، ١٩٩٢ م ، ص ٢٩ .

(٣) خضر ، الإسلام وحقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص ٢٨ ، انظر كتاب الثقات لابن حبان ص ١٦١ .

(٤) سورة آل عمران آية رقم ١٠٤ .

(٥) علي عبد الواحد وافي ، حقوق الإنسان في الإسلام ، ط ٥ ، دار نضرة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣٠ .

وقد سن القرآن الكريم حرية المناقشات الفكرية ، ولذلك يأمر الله المسلمين أن يلتزموا جادة العقل والمنطق ، في مناقشاتهم مع أهل الأديان الأخرى ، وأن يكون عمادهم الإقناع وقرع الحجّة بالحجة ، والدليل بالدليل ، وفي هذا يقول تعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم : "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (١) ، ويقول مخاطباً أهل الأديان الأخرى " قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (٢) ، وقوله: " قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا" (٣) ، ولا يكتفي القرآن بذلك ، بل يغري الكفار بالمناقشة والإتيان بالدليل على صحة دينهم ، فيتظاهر جدلاً بأنه لا يقطع بأنه على حق وأنهم على باطل فيقول تعالى : "وَأَنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" سبأ آية ٢٤. (٤) ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن القرآن الكريم حض على الحرية الفكرية من جانب آخر وهو التأمل وإبداء الرأي في الظواهر الكونية ، والتأمل بها ، فقد حث القرآن الكريم على النظر في ظواهر الكون ، وحفز الناس على التأمل في هذه الشؤون واستنباط قوانينها العامة، وأثار في نفوسهم حب الاستطلاع حيال الأمور التي لا تثير الانتباه بطبيعتها لتكرار حدوثها وسيرها على وتيرة واحدة ، وإيلاف الناس النظر إليها ، كشؤون الليل والنهار ، والشمس والقمر والكواكب ، وتتابع الفصول وتناسل الحيوان ، وتكاثر النباتات، وطفو بعض الأجسام على الماء ، ونزول المطر .. وما إلى ذلك من مسائل العلوم والفنون، فبين لهم أن هذه الأمور جديرة بالتأمل، وأن فيها مجالاً كبيراً للنظر والبحث، وفي هذا يقول تعالى: " أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (٥) .

(١) النحل، آية ، ٢٥ .

(٢) البقرة ، ١١١ .

(٣) الأنعام ، ١٤٨ .

(٤) والقي ، حقوق الإنسان في الإسلام، مرجع سابق ، ص ٢٢٤ ، * سورة سبأ، ٢٤ .

(٥) سورة الأعراف ، آية ١٨٥ .

ويقول: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا" ^(١) وقوله: "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ" ^(٢) ، وهكذا نرى توجيهه الله سبحانه وتعالى لنا إذ طوف بنا في جميع أنحاء الكون سمائه وأرضه ، حيه وميته ، حيوانه ونباته وإنسانه ، لا لشيء إلا ليحث العقول على النظر والتدبر في هذه الظواهر ، واستنباط القوانين العامة التي تحكمها ، وتسير بمقتضاها ، ثم ترك القرآن الكريم بعد ذلك لكل فرد كامل الحرية في تقرير ما يراه والانتصار له واعتناق ما يعتقد بصحته من نظريات ^(٣) . ولا أدل على الحرية الفكرية من أن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أشار على بعض الناس ، بعدم تأبير النخل ، أي تلقيح أنثائها بطلع ذكورها ، ثم تبين أن ذلك يؤدي إلى عدم ثمارها ، فقال عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر ، وفي رواية عائشة : "أنتم أعلم بأمور دنياكم" ^(٤) ، دل هذا الحديث على أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدث في ذلك برأيه الخاص ، وأن رأيه الخاص عرضه للصواب والخطأ ، وأن هذا الحكم يسري على كل ما يتحدث عنه من أمور الدنيا ، وأن للناس الحق في البحث في أمور دنياهم وعلاجها على الوجه الذي تهديهم إليه تجاربهم وأفكارهم ، وأهم قد يكونوا أعلم ببعضها من الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه ، وأن الأمور التي كلف بتبليغها إلى الناس من قبل الله ، وهي التي لا يمكن أن يتطرق إليها الشك مقصورة على شئون الدين عقائده وشرائعه ^(٥) .

ولا ينبغي أن تتخذ هذه الحرية ذريعة لإشاعة المذاهب الهدامة والدعوة إلى الفساد والانحراف ، ولا بد أن تلتزم الآراء خط الفضيلة والمبادئ ، ولا بد كذلك أن تلتزم قانون العلم والتمحيص حتى لا يشاع على الناس كل باطل وهراء ، ولا بد أن يتخذ أصحاب الفكر آلات العلم التي منحها الله للإنسان للوصول إلى الرأي الصائب "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" ^(٦) ، على إن هناك فرقاً ضخماً بين التعبير الحديث بحرية التفكير التي تعني إباحتها نشره فحسب ، وبين مبدأ الإسلام الذي يفرض هذا الرأي ، وما دام في دائرة النفع العام ، وفي إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إن الإسلام يعتبر هذا الأمر وذاك النهي فريضة على كل مسلم مستطيع ، وبذلك يفتح أقطار العقل والفكر من كل أبوابها للتفكير فيما هو واقع في المجتمع ، ويكون عنه الآراء السليمة ويعلنها على الناس ، وهي بهذا الإعلان تؤدي واجباً لا تفعل مباحاً ، أي إن إبداء هذه الآراء الصائبة في هذا الدين ليس ترفاً عقلياً يبشره من يشاء ، ولكنه واجب اجتماعي ، وفرض ديني ، لا يتخلص المؤمن من تبعته الاجتماعية إلا حينما يؤديه على خير الوجه ، قال صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان" ^(٧) وقوله تعالى رابطاً أهلية المسلم للصدارة والقيادة لكافة الأمم بمدى محافظتها على القيام بهذا الواجب مع الإيمان بالله : "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ" ^(٨) ، والحرية الفكرية والتفكير فريضة إسلامية

(١) سورة البقرة آية ١٦٤ .

(٢) سورة العاشية آية ٢٠ .

(٣) وافي ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٣٢ .

(٤) أخرجه مسلم ، رقم ٢٣٦٢ ، كتاب الفضائل ، وجوب امتثال ما قاله شرعاً دونما نكره ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ٢٣ ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ، كتاب المقدمة ، باب الاعتصام بالسنة ، قال شعيب الأرنؤوط إسناده حسن .

(٥) انظر شرح النووي على مسلم ، ج ١٥ ، ص ١١٦ بتصرف .

(٦) الإسراء آية رقم ٣٦ .

(٧) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ، برقم ٥٦٤٩ ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ ، وأخرجه أحمد برقم ١١٠٨٨ ، ج ٣ ، ص ١٠ ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٨) سورة آل عمران ، آية ١١٠ .

من خلال هذه الحرية أن يسأل الإنسان عن كل شيء يتحمله عقله ، وليس هناك في ديننا ما هو سر لا يعرفه أحد ، بل المجال مفتوح للجميع ، وليس كحال النصارى الذين منعوا التفكير ومنعوا الأتباع من مناقشة أهل الدين واعتبروا ذلك حكراً عليهم ، فحريتنا الفكرية مضبوطة بضوابط معينة وحرية النصارى مقيدة بقيود مظلمة ، جعلهم لا يستخدمون العقل ، بل غلبت عليهم طوابع العاطفة !.

وإشارة إلى ما سبق يقول صاحب كتاب (حقوق الإنسان): " إن القرآن الكريم دعا إلى حرية الفكر ، وخلص العقل من سلطان الماضي ، وتحكم الآباء ، واستعباد العرف والتقاليد ، وأمر بالنظر في عجائب الكون ، وضرب في ذلك أمثلة تتضح لها الأذهان : " أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ " الأعراف آية ١٨٥ ، وأيضاً : " فَلْيَنْظُرُوا الْإِنْسَانَ إِلَى طَعَامِهِ " عبس آية ٢٤ ، ومن الثابت أن محمداً عليه السلام كان يفسح المجال للرأي الحر ، والفكر الصريح ، وكان يكره الرجل الإمعة الذي يقول : إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساعوا أسأت ، وكان يطلب إلى أصحابه أن يدلوا برأيهم في بعض لمساتل ، وأن يحاولوا حل ما يعترضهم من صعاب ، فقاتل أبو بكر رضي الله عنه مانعي الزكاة قياساً لهم على المرتدين ، وسوى بين المهاجرين والأنصار في الغنائم ، ولما استلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فرق بين المهاجرين والأنصار في الغنائم ، ووزع عليهم بحسب تفاوت درجاتهم في الإسلام الجهاد ، وما كانوا يستنكرون بيان الرأي ، ولا يعترضون عليه ، وهذه هي الحرية الفكرية بعينها ، من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد فأخطأ ، فله أجر اجتهداه ، ولا يكتفوا بالرأي الفردي ، بل حاولوا أن يأخذوا رأي الجماعة ، فكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إن حزبهما أمر يجمعان كبار الصحابة لتبادل الرأي ، ثم انتقل هذا إلى المبادئ الفقهية الكبرى ، حيث أخذت بالرأي ، فأبو حنيفة يؤثر الرأي على النقل والرواية ، ولم يهمله مالك ، ويحاول الشافعي أن ينظم الوسائل والحدود ، وابن حنبل لا يرى بدأً من استعمال القياس عند الحاجة ، وداود الظاهري يقبل من القياس مانص فيه على علة ، ولم تقف الحرية الفكرية عند الفقه والتشريع ، بل امتدت إلى العقيدة وأصول الدين ، وقد حرص المسلمون على أن يصوروا فكرة الألوهية تصويراً عقلياً أساسه التجريد والتنزيه ، وعنوا خاصة بالتوحيد ، فنفوا عن الله كل ما يؤذن بالشرك والتعدد ، وساهم المعتزلة في ذلك بنصيب كبير وهم دون نزاع واضعوا علم الكلام ، نفوا أن تكون لله صفات زائدة من ذاته ، وتأولوا الأحاديث التي تؤذن بالتشبيه والتجسيم ، وقالوا بسلطة العقل وقدرته على معرفة الحسن والقبح ، وفي وسع العقل أن يتعرف هذه الطوائع ، وتلك الصفات ، وأن يبين الخير والشر ومن هنا وجب الإيمان بالعقل بقدر ما وجب بالسمع ^(١) وقد وقف عمر داعياً إلى عدم التغالي بالمهور مطالباً بتحديدتها ، فجاء من أقصى المسجد صوت يقول : ليس هذا لك يا عمر ، والله يقول : (وَأْتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا) فكف أمير المؤمنين عن مقالته وقال : كل الناس أعلم منك يا عمر حتى النساء ، أصابت امرأة وأخطأ عمر ، فحين لزمته الحجة بنص القرآن لم يتردد في الرجوع إلى الحق وقبول الرأي دون إن تأخذه العزة بالإثم ^(٢)

(١) مذكور ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مرجع سابق ، ص١٦—ص١٨ . بتصرف .

(٢) أبو ليل ، تاريخ حقوق الإنسانية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص٧٨ .

الحرية الفكرية في العهد الجديد :

الحرية الفكرية في العهد الجديد تعني: "الإمكانية التي يملكها الإنسان في الإطلاع بنفسه بمسؤولية بناء ذاته ، وهذه الحرية لا تعني انغلاق الإنسان على ذاته ، بل تعني الانفتاح على الآخرين ، للاستنارة بحكمهم ، ولتصحيح الأحكام الشخصية التي قد تكون أهملت أو أخطأت، ويجب أن تكون هذه الحرية بالتعليم والتربية والتبادل الفكري، وهذا هو السبيل في التعاون على اكتشاف الحقائق"^(١).

وتعني هذه الحرية أن يتقبل الإنسان ذاته مع جميع الظروف المحددة ، من جسم ، وإمكانات نفسية وذهنية وأن يعمل داخل هذه الظروف للوصول إلى تحقيق إنسانيته ، وتحقيق عظمة هذه الحرية عندما لا تنحصر في محدودية عملها المعين^(٢) ونجد من خلال هذه الحرية أن يسوع دعانا إلى أن يجب بعضنا بعضاً مثلما أحننا هو ، وهذا يعني أن فتح المجال أمام حرية الإنسان ومسئوليته، ليرجم في واقع الحياة هذه المحبة على مثاله بدون تحديد مضمون معين لها، أو تقليد سلوك بعينه، ونرى عبر صفحات الإنجيل أن عيسى في لقاءه كل شخص وتعليمه الجموع والتلاميذ ، كان يتوجه إلى الحرية الفكرية والمسؤولية الشخصية ، لحث الناس على سماع كلمة الله ، وفهم دعوتها في واقع ظروف حياتهم ، واتخاذ القرار العادل والصالح والمناسب، فنرى عيسى يسأل تلميذي يوحنا اللذين يمشيان وراءه عما يريدان ويدعوهما للمجيء إليه بحرية والإقامة عنده^(٣).

فالحرية الفكرية هي تعبير الفرد عن آراءه وأفكاره بحرية تامة بغض النظر عن الوسيلة التي يسلكها ، حيث نصت بعض المواثيق على كفالة الحرية الفكرية والتعبير ، وهذه الحرية تنبع من الحرية الدينية^(٤) ومن النصوص الواردة في العهد الجديد الدالة على الحرية الفكرية ما يلي :

١. " ولما وصل يسوع إلى نواحي قيصرية سأل تلاميذه من يقول الناس أي أنا ابن الإنسان ، فأجابوه يقول بعضهم : إنك يوحنا المعمدان ، وغيرهم إنك النبي إيليا ، وآخرون إنك أرميا أو واحد من الأنبياء"^(٥)، ووجه الدلالة هنا: أن يسوع سمح لهم بالتعبير والجواب ولم يمنعهم من ذلك ؛ بل ترك لهم حرية القول، وأيضاً فإن يسوع وجه سؤالاً إلى التلاميذ وانتظر رأيهم، ثم كانت الإجابة دون ضغط ولا إكراه على حريتهم الفكرية واستمع من الأطراف الأخرى ... وهذا تسامح

٢. جاء الكلام حول الحرية الفكرية تحت عنوان تكلم ولا تسكت .

" وذات ليلة رأى بولس الرب في الرؤيا يقول له : لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت ، فأنا معك ، ولن يقدر أحد أن يؤذيك ، لأن لي شعباً كثيراً في هذه المدينة ... تجمع اليهود ضد بولس برأي واحد ، وساقوه إلى المحكمة قائلين : هذا الرجل يحاول إقناع الناس أن يعبدوا الله بطريقة تخالف شريعتنا "^(٦).

وجاء تحت عنوان خلاف بين المؤمنين : " على أنني أيها الإخوان أتوسل إليكم بيسوع المسيح أن يكون لجميعكم صوت واحد ، وأن لا يكون بينكم أي انقسام ، وإنما كونوا جميعاً موحد في الفكر والرأي ، و قد بلغني عنكم .. أن بينكم خلافات "^(٧) .

(١) كيرلس سليم ، المدخل إلى اللاهوت الأدبي ، ط١ ، المكتبة البوليسية ، جونية ، لبنان ، ١٩٩٥ ، ص ١٠٥ .

(٢) نادر ميشل، مدعون إلى الحرية ، ط٨ ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨ م ، ص ١٦٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٤) محمد المغني ، النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية ، مرجع سابق ، ص ٧١ .

(٥) إنجيل متى ، إصحاح ١٦ ، فقرات ١٣ ، ١٤ .

(٦) أعمال الرسل ، إصحاح ١٨ ، فقرات ٩-١٧ .

(٧) الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس ، إصحاح ١ ، فقرات ١٢/١٠ .

وجاء أيضاً : " فإنما إلى الحرية قد دعيتم أيها الأخوة ، ولكن لا تتخذوا من الحرية ذريعة لإرضاء الجسد " (١) ، و " إن المسيح قد حررنا وأطلقنا في سبيل الحرية " (٢) .

في ضوء النصوص السابقة ، نجد أن المسيح يريد أن يحرر شعبه ، وأن يجعل فكرهم خالصاً من الشوائب ، وهذا المستوى من الحرية ليس عاديا لدى الإنسان ؛ لذا فإن أسمى ما يمكن صنعه لكائن ما هو أن يجعله حرا ، وهذا يعني أن الإنسان يستطيع أن يتحرر ؛ لأن وجوده أصبح حرية معطاء (٣) .

من خلال هذه الحرية يجب أن نحترم القرار الشخصي والفكر الذي يتخذه الفرد بناء على تجربته ، ويجب أن نحترم قراراتهم، وليس من قائل أن نلجأ إلى قوة السلطة ، بل نحترم حرية وعقول الأفراد (٤) .

(١) الرسالة إلى مؤمني غلاطية ، إصحاح ٥ ، فقرة ١٣ .

(٢) الرسالة إلى مؤمني غلاطية ، إصحاح ٥ ، فقرة ١ .

(٣) انطون حميد ، الإنسان مثل الروح ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ ، ص٦٢ ، دون طبعة .

(٤) الكردينال كونيغ ، رسائل في الحكمة ، دار المجد ، لبنان ، ١٩٨٥ م ، ص٦٢ ، دون طبعة .

الخلاصة :

في ضوء ما تقدم من الإشارة إلى بعض النصوص الواردة من العهد الجديد ، أستطع القول : إن العهد الجديد احتوى في ثنايا حديثه على الحرية الفكرية ، وأمر بها ، وأنا كما أشرت سابقاً لا أتكلم حول هذا الموضوع من خلال سلوكيات النصارى ، بل أتكلم حول كتاب عندهم يعتقدون قدسيته ، بمعنى أنني أتحاكم إلى نص كتابهم وليس إلى سلوكياتهم خارج العهد الجديد ، ولو تحاكت إلى سلوكياتهم خارج العهد الجديد لقلت : بأن النصارى في مختلف أحوالهم لا يملكون الحرية الفكرية ؛ بل عطلوا العقل منهم ، وكفاهم فخراً أن القرآن الكريم قال عنهم: الضالين ، ولو تتبعت سلوكهم وأحوالهم وأفكارهم فإنني من خلال تعاملي الكبير معهم يسلمون عقولهم وأفكارهم وقلوبهم إلى البابا ، ويعتبرونه مقدس ، ولا يستخدمون عقولهم ، بل وصلوا إلى مرحلة أنك إذا ناقشت أحداً منهم قال : هكذا يقول البابا ، والسؤال لماذا لا يناقش هذا البابا هل هو معصوم ؟ إن النصارى يعتقدون عصمته بدليل أنه لا يناقش بل هو الوحيد الذي يعطي الغفران....أي هراء هذا !!! .

ولكن عودة على ما بدأت به من خلال النص الوارد في العهد الجديد ، ورغم أننا كمسلمين لا نعتقد قدسيته ، ولكن مع أنه غير مقدس ، بل من باب الإنصاف والتحرر العلمي لا نملك إلا أن نقول: إن الحرية الفكرية متوافرة من خلال كتابهم ، وموجودة في ثنايا العهد الجديد .

المطلب الثالث : التسامح في الحوار .

تعريف الحوار : تضمن كلمة الحوار في اللغة عدة معاني أهمها :

- ١- الرجوع : حاور يحور حوراً ، والخور هو الرجوع .
- ٢- النقصان : يقال : حار بعد ما كار .

والحوار : حديث يجري بين اثنين أو أكثر وهو تبادل الكلام والرأي من أجل الوصول إلى معرفة الحقيقة والحوار هنا : بمعنى التراجع في الكلام ، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة^(١) .

وقد وردت مادة الحوار في القرآن الكريم في ثلاث آيات فيها معنى المحاورة وهو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين ، الآية الأولى في سورة الكهف في معرض الحوار بين رجلين ، أحدهما: صاحب الجنتين الذي يملك مالا وثروة وولداً ولكنه لا يؤمن بالله، والثاني صاحبه المؤمن الذي لا يملك الكثير من المال ، وقد وردت كلمة الحوار مرتين في سياق القصة أحدهما وردت على لسان الكافر بنعمة الله تعالى ، قال تعالى : " فَقَالَ لِسَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا " ^(٢) ، والثانية في القصة نفسها ، والسياق على لسان المؤمن، قال تعالى: " قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ... " ^(٣) ، والثالثة في سورة المجادلة قال تعالى: " قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا " ^(٤) ، فحديث المرأة عن زوجها كان خصومة ، لذلك كان التعبير عنه بالمجادلة ، ولكن حديثها مع النبي صلى الله عليه وسلم كان مراجعة في الكلام ، ولذلك عبر عنه بالمحاورة ، وهكذا يبدو أن الأصل في الحوار ، هو المراجعة في الكلام ، وهو التجاوب بما يقتضي ذلك من رحابة الصدر ، وسماحة النفس ، ورجاحة العقل ، وبما يتطلبه من ثقة ويقين وثبات ، وبما يرمز إليه من القدرة على التكييف والتجاوب والتفاعل والتعامل المتحضر الراقي مع الأفكار والآراء جميعاً^(٥) ، في ضوء النظرة القرآنية للحوار ، نجد أن كلمة الحوار لم ترد إلا في ثلاثة مواضع ، فإن القرآن الكريم استخدم أساليب متنوعة ، وطرق عدة ، تواصل من خلالها مع الناس ، وخاطب الله سبحانه وتعالى عن طريقها المجتمعات والأفراد والأمم ، وبما يدل على تلك الأساليب تردد الكلمات التي تستخدم في الحوار والتواصل ، وتدل على تبادل الآراء ، وتردد الكلام بين أطراف عدة ، ولذلك قدم القرآن نماذج عديدة ومتنوعة من الحوار .

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٧٢١ .

(٢) الكهف ٣٤

(٣) الكهف آية ٣٧

(٤) سورة المجادلة ، آية رقم ١

(٥) عبد العزيز التويجري ، الحوار والتعامل الحضاري من منظور إسلامي ، القاهرة ، ١٩٨٨ م ، ص ٨٤ ، دون طبعة ، دون ناشر .

وكان القرآن الكريم من خلال هذه النماذج متسامحاً ومتواضعاً في حواراته مع المقابل ، ومنها :

١. خاطب الله عز وجل من خلال الحوار الملائكة في موضوع خلق آدم ، وبداية أمر الخليقة ، قال تعالى : " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ " (١)

٢. خاطب الله عز وجل الشيطان الذي رفض الاستجابة لأمر الله تعالى ، والسجود لآدم ، فأبعده الله من رحمته ، وأخرجه من جنته ، قال تعالى : " ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ " (٢)

٣. خاطب الله رسله ، (أ):- كما في قصة إبراهيم عندما طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ، قال تعالى : " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي.. " (٣) ب:- ومن ذلك قصة موسى ، حين طلب من ربه أن يأذن له برؤيته ، فأنبأه باستحالة رؤيته في الدنيا ، واعتذر موسى عن طلبه ، قال تعالى : " قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ " (٤) ، ج:- وقصة عيسى عليه السلام إذ سأله ربه عما إذا كان طلب من الناس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله ، وتبرأ عيسى من ذلك ، قال تعالى : " وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ... " (٥)

٤. خطاب الله تعالى لعباده من عامة الخلق ، كما في قصة الرجل من بني إسرائيل الذي مرّ على قرية فقال كيف يحيي الله أهل هذه القرية بعد أن بليت عظامهم ؟ فبين الله تعالى ذلك بقوله : " أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ... " (٦)

٥. الحوار بين الأنبياء وبين من أرسلوا إليهم ، ويسوق القرآن الكريم ألوأناً من الحوارات بين الرسل وبين أقوامهم ، فيورد لنا (أ)- ما دار بين نوح وقومه الذين مكث فيه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، قال تعالى : " قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبِئْسًا وَنَهَارًا، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا " (٧) وفي آية يرد عليه قومه متبرمين منه قائلين : " قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا " (٨) ب:- وفي حوار إبراهيم مع النمرود الذي ادعى الألوهية فأفحمه إبراهيم بالحجة وأظهر بطلان دعوته ، ... وغيرها من الحوارات قال تعالى (الم تروى) (٩) ج:- مثل حوار إبراهيم مع أبيه، قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ) (١٠)

(١) سورة البقرة ، آية ٣٠ .

(٢) سورة الأعراف ، من الآية (١١ - ١٨) .

(٣) البقرة ، آية ٢٦٠ .

(٤) الأعراف ، آية ١٤٣ .

(٥) المائدة ، آية ١١٦ .

(٦) البقرة آية ٢٥٩ .

(٧) سورة نوح الآية ٥ - ٦ .

(٨) هود آية ٣٢ .

(٩) سورة البقرة آية ٢٥٨ .

(١٠) الأنعام آية ٧٤ .

د-: وحوار شعيب عليه السلام مع قومه قال تعالى: (إذ قال لهم شعيب)^(١) ، هـ: وآدم عليه السلام مع بنيه، قال تعالى: (واتلوا عليهم)^(٢) ز-: وموسى مع العبد الصالح ، قال تعالى : (وإذ قال موسى)^(٣) وغيرها .

٦. الحوار في الآخرة والتسامح فيه :

يتحاور أهل النار فيما بينهم ، ويتحاور بعضهم مع المؤمنين ، ويخاطبهم الله موبخاً لهم فيقول : " قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصَلُّونَا فَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ، وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ لَأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ"^(٤)

وقوله : " قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ، قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ"^(٥) ، وحوار الظالمين مع المؤمنين ، والحوار بين السادة والأتباع ، إلى غير ذلك .

الخلاصة : في ضوء النماذج السابقة نرى كيف تعددت أنواع الحوارات ، وتنوعت أساليبه وطرقه ، الذي يدل على كبر المساحة التي أعطاها القرآن الكريم للحوار كأسلوب ، من أساليب التواصل ومنهج من مناهج التخاطب ، بين الله تعالى وبين خلقه ، وبين الناس فيما بينهم ، وأيضاً فإن جانب التسامح في الحوار واضح من خلال الصورة الصادقة بين الأنبياء وأقوامهم ...

ومن نماذج الحوار حوار النبي عليه السلام مع وفد نجران في بعض معتقداتهم مثل التشليث ، وادعائهم إلهية عيسى عليه السلام ، وعبادتهم الصليب ، و أكلهم الخنزير ، وادعائهم أن لله ولداً^(٦) . وحوار الرسول مع الصحابة رضي الله عنهم ، وحوار الرسول مع جبريل في حديث بينما نحن جلوس^(٧) وحوار الرسول في قضية أسرى بدر^(٨) وغير ذلك .

أصناف الحوار في القرآن الكريم :

حاور القرآن الكريم أصنافاً متعددة وتعددت الأصناف نظراً لتعدد من خاطبهم القرآن ، واختلاف عقائدهم ومخالفتها ، لما جاء به القرآن الكريم من إيمان بالله وتوحيده ، ومن ثم نجد حوارات القرآن مع المشركين والملاحدة وأهل الكتابمنها: .

١- الحوار مع المشركين، صور القرآن الكريم، ما أصاب المشركين من هلع حينما طالبهم بالتوحيد ، ونبذ الشرك ، وترك عبادة الأوثان ، وتعجبهم من الدعوة والتوحيد ، قال تعالى : " أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ..... مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ " (١٠)

(١) الشعراء أية ١٧٧.

(٢) المائدة أية ٢٧.

(٣) الكهف أية ٦٠.

(٤) الأعراف ، ٣٨ ، ٣٩.

(٥) المؤمنون أية ١٠٨.

(٦) سيد طنطاوي ، أدب الحوار في الإسلام ،مخضة مصر للطباعة ، القاهرة ، ٢٠٠٢م، ص١٧٧.

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرک برقم ٢١٩٩ ص٦٤٩.

(٨) أخرجه البخاري ، كتاب العلم ، باب ما جاء في العلم برقم ٦٣.

(٩) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ، ج٥ ، ص٢١١ ، وأخرجه ابن هشام في السيرة ج٣ ص٣١.

(١٠) سورة ص ، أية ٥-٧ .

٢. الحوار مع منكري البعث ، قال تعالى : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) ^(١) .
 ٣. الحوار مع اليهود والنصارى : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه أهل الكتاب ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط لهم ، واشترط عليهم ، وقرر في ذلك الكتاب حرية العقيدة والرأي والحوار ، وأن من يتبع المسلمين فإن لهم النصره والأسوة غير مظلومين ، وأن أهل الكتاب ينفقون على المؤمنين ما داموا محاربين ^(٢) المبادئ التي تقوم عليها مشروعية التسامح في الحوار .

يمكن استخلاص المبادئ والأسس التي تستند إليها مشروعية التسامح في الحوار وضرورته للمسلم :

١. عالمية الإسلام : إن الإسلام في جوهره دعوة عالمية إلى البشر جميعاً، يخاطب الناس كافة على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، وقد تأكدت هذه الحقيقة في جملة المبادئ التي نص عليها القرآن وأكدتها السنة، والتزم بها المسلمون في مواضع حياتهم فالرسالة عالمية تجاوزت حدود القوم والعنصر والمكان والزمان، قال تعالى: "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا" ^(٣).

٢. وحدة الرسالات الإلهية: يلتقي الإسلام في أصوله العقائدية مع الرسالات السابقة جميعاً، إذ إن تلك الرسالات جميعاً قد خرجت من مشكاة واحدة ، وتعود إلى أصل واحد ، ومن ثم لا تختلف في جوهرها ، ولا تتعارض في قيمها وتعاليمها ، قال تعالى : " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ " ^(٤).

٣. وحدة الأصل الذي ينتمي إليه الناس جميعاً: إن وحدة الخلق الإنساني حقيقة مقررة في ابتداء الخلق ، سعت الأديان كلها ، وخاصة الإسلام ، إلى إحيائها في نفوس الناس ، وإزالة كل ما يؤدي إلى إضعافها من حقد وخصام، وإفساد بين الناس ، فالناس جميعاً في المنظور الإسلامي يعودون إلى أصل واحد، قال تعالى: " هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ " ^(٥) ^(٦).

٤. العدل والمساواة بين المسلمين وأهل الكتاب ، قرر الإسلام مبدأ العدل والمساواة بين أتباعه ، وبين غيرهم من أصحاب الشرائع السماوية الأخرى ، وحرص القرآن على تأكيد أن العداة بين الناس لا ينبغي أن يحملهم على الظلم وعدم إقامة العدل ^(٧).

(١) سورة يس ، آية ، ٧٨ .

(٢) محمد أحمد جلي ، الحوار في القرآن الكريم ، المحمدية ، مجلة علمية ، العدد ١٦ ، ١٤٤٥ ، ص ٢٣٨ - ص ٢٤٣

(٣) الأعراف ، آية ١٥٨ .

(٤) الشورى آية ١٣ .

(٥) الأعراف ، ١٨٩ .

(٦) عز الدين إبراهيم ، الحوار الإسلامي المسيحي ، ط ١ ، دار الخليج ، الشارقة ، ١٩٩٧ ، ص ٧ .

(٧) صوفي أبو طالب ، الحوار بين الأديان ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص ١٥٩ .

آداب التسامح في الحوار في القرآن الكريم : جاء القرآن الكريم متسامحاً في آدابه بالحوار ، ومن أهم آداب التسامح بالحوار في القرآن الكريم ما يلي :

- ١ . الرفق والكلام اللين^(١) .
- ٢ . طرح اللغو في الحوار^(٢) .
- ٣ . التأدب في الخطاب^(٣) .
- ٤ . عدم التلاعب بالعواطف .
- ٥ . الموضوعية في الحوار^(٤) .
- ٦ . البعد عن السباب والاستهزاء والسخرية من أي طرف محاور^(٥) .
- ٧ . الابتعاد عن الخصومة والتدرج في الحججة^(٦) .^(٨)

في ضوء ما سبق من التسامح في الحوار أقول :

١- لا بد من الإيمان بالقيم والأخلاق والتعاليم السماوية والابتعاد عن الخلافات العقديّة، وضرورة استعمال العقل في مواجهة القضايا والمشكلات .

٢- التزام الثقة والاحترام المتبادل بين المتحاورين ، وسيادة روح المحبة والمودة والأخوة الدينية .

٣- التركيز على الأفكار والمفاهيم المشتركة بين العقائد ، والتصدي للأفكار الخاطئة التي تأتي نتيجة الجهل بالدين .

٤- الدعوة إلى التسامح في الحوار ، والاعتدال الوسطية ، وعدم الغلو والتطرف أثناء الحوار :

أ- التسامح في الحوار ظاهر في القرآن الكريم في شتى مجالاته ، حيث كانت الرسل تتسامح وتسمع وترد على الأقوام بأسلوب فيه اللطف والمحبة والعفو^(٩) .

ب- كان القرآن الكريم متسامحاً حتى مع الملحدين و المشركين من خلال السماع لحجتهم والرد عليها مثل قصة النمرود وكفار قريش وغيرهم^(١٠) .

ج- القرآن الكريم حافل بالمعاني المتسامحة بعباراته الجذابة ، مما حدا بكثير من المشركين للدخول في دين الله ؛ بسبب ما وجد فيه من إنصاف ولطف وهذا ما كان يجري بين الأنبياء وغيرهم^(١١) .

التسامح بالحوار في العهد الجديد :

"الحوار في الكتاب المقدس (العهد الجديد) يعني : " حوار التعاون على البر ، ويمكن القول: إن حقيقة الحوار واضحة في العهد الجديد ، كما جاء في أقوال السيد المسيح " من كانت عنده وصايا ويعمل بما فذاك يحبني ، والذي يحبني يجبه أبي ،

(١) آل عمران آية ٥٩ .

(٢) العنكبوت آية ٤٦ .

(٣) النحل آية ١٢٥ .

(٤) الأنعام آية ٧٤-٧٩ .

(٥) الأنعام آية ٧٩ .

(٦) فصلت آية ٣٦ .

(٧) العنكبوت آية ٤٦ .

(٨) عبد العزيز الخياط ، آداب الحوار المكتبة الوطنية ، وزارة الشباب ، عمان ، ١٩٩٥ م ، ص ٣٧-٤٩ ، د-ط .

(٩) آل عمران آية ١٢٨ ، نوح ٤٣، ٣٣، ٣٢ .

(١٠) البقرة آية ٢٥٨ .

(١١) العنكبوت آية ٤٦ ، النحل آية ١٢٦ ، ١٢٧ .

وأنا أحبه " يوحنا ١٤ / ٢١-٢٣ ، إذاً الحوار بين الأديان لم يعد حوار دفاع ، ولا حوار إقناع ، بل أضحى حوار شهادة فيه يشهد كل من المتحاورين لعقائده وإيمانه، وأخلاق ديانته، ويظهر في الحوار القيم الأساسية التي يتميز بها كل دين"^(١) .
 "وقد جاءت الدعوة إلى الحوار بين الديانات على كل المستويات والأشكال ، لا من أجل الحوار بمجد ذاته ، بل من أجل خير كل إنسان ، ومن أجل الصلح بين البشر ، حيث يتلاقى أصحاب الديانات ، ويتحاورون في كل الفرص الممكنة ، وهذا ما أكدته العهد الجديد"^(٢) .

وقد جاءت النصوص الكثيرة الدالة على هذه المعاني في العهد الجديد منها :

١. جاء تحت عنوان : الحوار حول الصوم : " وكان تلاميذ يوحنا والفريسيون صائمين ، فجاء بعضهم إلى يسوع يسألونه لماذا يصوم تلاميذ يوحنا وتلاميذ الفريسيون وأما تلاميذك فلا يصومون ؟ فاجابهم : هل يقدر أهل العرس أن يصومون والعريس بينهم ، ؟! ، ولكن ستأتي أيام يكون العريس فيها قد رفع من بينهم ، فيومئذ يصومون"^(٣)
 ٢. وجاء تحت عنوان الحوار حول السبت : " فقال الفريسيون ليسوع : انظر لماذا يفعل تلاميذك ما لا يحل فعله يوم السبت ؟ فاجابهم : أما قرأتم ما فعله داوود ومرافقوه عندما احتاجوا وجاعوا ؟ .. ثم قال : إنما جعل السبت لفائدة الإنسان ، ولم يجعل الإنسان عبداً للسبت."^(٤)
- من خلال النصوص السابقة نجد أن المسيح متسامحاً في حوارهِ مع تلاميذه وأتباعه في الأخذ بالرأي ، والرد عليه ، وأظهر هذا التسامح نوعاً من المحبة بين التلاميذ والأتباع .

(١) كيرس سليم بترس ، أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك ، ط١ ، المكتبة البوليسية ، جونيه ، لبنان ، ١٩٩٩ ، ص٧٥.

(٢) هانس كينغ ، مشروع أخلاقي عالمي ، ط١ ، المكتبة البوليسية ، جونيه ، لبنان ، ١٩٩٨ م ، ص٢٦٥.

(٣) إنجيل مرقس ، إصحاح ٢ ، فقرات : ١٨ - ٢١ ، وانظر لوقا ، إصحاح ٥ ، فقرات ٣٣ - ٣٦ .

(٤) إنجيل مرقس ، إصحاح ٢ ، فقرات : ٢٣-٢٧ ، انظر لوقا ، إصحاح ٦ ، فقرات ٣-٥ .

٣. "ولما نزل عيسى من الجبل تبعه جموع كثيرة ، وإذا رجل مصاب بالبرص ، تقدم إليه قائلاً يا سيد : إن كنت تريد فأنت قادر أن تطهرني ، : إني أريد فأطهر ، وفي الحال طهر الرجل من برصه ، وقال له يسوع : انتبه لا تخبر أحداً " (١) .

٤. وجاء تحت عنوان الحوار مع التلاميذ :

"أمر يسوع التلاميذ أن يعبروا إلى الضفة المقابلة ، فتقدم إليه أحد الكتبة فقال : يا معلم سأتابعك حينما تذهب ، وقال له تلميذ آخر: يا سيدي اسمح لي أن أذهب .. فأجابه يسوع اتبعني الآن.. " (٢).

٥. أرسل بعض الفريسيين إلى يسوع ، وقالوا له : يا معلم نحن نعلم أنك صادق ولا تبلي بأحد أيحل أن تدفع الجزية للقيصر أم لا ؟ أندفعها أم لا ندفع؟ ، قال لهم : لماذا تجربوني فقال لهم : أعطوا ما للقيصر للقيصر ، وما لله لله ، فذهلوا منه " (٣) .

٦. جاء تحت عنوان سكب العطر على يسوع :

" سكبت امرأة العطر ودهنت به قدم يسوع ، فقال أحد التلاميذ : لماذا لم يبيع هذا العطر بثلاث مئة دينار ويوزع على الفقراء ؟ ، فأجابه يسوع دعها ، لأن الفقراء عندكم كل حين ، أما أنا فلن أكون عندكم كل حين. " (٤)

في ضوء هذا التسامح بالحوار بين المسيح وغيره نجد أن التسامح ظاهر من خلال الأسئلة والأجوبة الذي رد به المسيح ، وهذا يدل على أن هدف هذا الحوار هو العيش معاً ، وبناء صرح المجتمع ، من أجل حمايته ، وإظهار العدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية والسلام والتسامح ، والحرية ، وهذا يتطلب احترام الآراء في الحوار واحترام الخصوصيات سواء أكانت اجتماعية أم ثقافية أم دينية (٥) .

(١) إنجيل متى ، إصحاح ٨ ، فقرات : ٢-٤ .

(٢) إنجيل متى ، إصحاح ٨ ، فقرات : ١٨ .

(٣) إنجيل مرقس ، إصحاح ١٢ ، فقرات : ١٣-١٦ .

(٤) إنجيل يوحنا ، إصحاح ١٢ ، فقرات : ٣-٨ .

(٥) بترس ، أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

يقول صاحب كتاب (سر المصالحة) تعليقاً على هذه النصوص :

نجد أن الحوار بين المسيح والتلاميذ مبادرة وتجاوب من المسيح تجاه التلاميذ، فنجد الملائمة والتواضع ، وهذا له دلالة على تسامح المسيح مع الحواريين والأتباع في كل شيء ، وهذا له علاقة بمحبة المسيح للتلاميذ وتعاونهم معهم^(١) . إن أهم ما تميز به العهد الجديد على الانفتاح على سائر الأديان، والعمل والتحاوور مع جميع الناس، انطلاقاً من حرية الضمير التي هي الأساس للعلاقات بين الأفراد والجماعات، ولا بد للإنسان أن يطلب الحقيقة من خلال الحوار ، ويبحث عن حل عادل للقضايا الاجتماعية الكبيرة ، التي تعترض حياة الفرد والجماعة^(٢) . وهناك مساحات مشتركة بين القرآن الكريم والعهد الجديد ينبغي التوسع فيه على أبعده المختلفة من أهمها الحوار لأنه ضروري للحياة .

وغاية الحوار هو حمل الديانتين على تأمين الاحترام المتبادل وتعزيز التفاهم ، ثم طرح مشترك للأسئلة التي تؤدي إلى التعمق الروحي ، ويؤدي هذا الوصول إلى المسائل المشتركة من خلال الحوار البناء الهادف^(٣) .

أشكال الحوار في العهد الجديد : تنوعت أشكال الحوار على النحو التالي :

١. حوار الحياة : أن يعيش الناس بروح انفتاح وحسن حوار مقتسمين أفراحهم وأحزانهم ، ومشاكلهم الإنسانية ، ومثاله في متى ٣/٥-١١ (طوبى للمساكين، طوبى للودعاء، طوبى للجياع، طوبى للرحماء فيهم سرحمون، طوبى للمضطهدين من أجل البر).

٢. حوار الأعمال : من أجل التعاون في سبيل تنمية كاملة وتحرر كامل للإنسان ، ومثاله في متى ٢٤/١٣-٢٩ (يشبه ملكوت السموات بإنسان زرع زرعاً جيداً في حقله وبينما الناس نائمون ، جاء عدو وبذر زواناً في وسط القمح ومضى، فلما نما القمح بسنابله ظهر الزوان معه فذهب عبيد رب البيت وقالوا له يا سيد... فقال اجمعوا الزوان أولاً واربطوه حزمياً ليحرق، أما القمح فاجمعوه إلى مخزني) .

٣. حوار الخبرات الدينية : من أجل التقاسم في التقاليد الدينية الخاصة ، ومثاله في متى ٩/٤ (لماذا نصوم نحن والفريسيون ولا يصوم تلاميذك) .^(٤)

(١) فاضل اليسوعي ، سر المصالحة ، منشورات الآباء اليسوعيين ، مصر ، ١٩٨٢ ، ص ١٢٥ ، بتصرف ، د-ط .

(٢) سليم ، المدخل إلى اللاهوت الأدبي ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ .

(٣) جوليت حداد ، البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة ، ط ١ ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩٥ م ، ص ٣٧ .

(٤) المجمع البابوي للحوار ، حوار بشارة ، المكتبة البوليسية ، جونيه ، لبنان ، ١٩٩٣ م ، ص ٣١. دون طبعة.

المطلب الرابع : التسامح في الجدل :

تعريف الجدل : من جدل الغلام إذا قوي ، و جدل الحبل أحكم فتله ، ومن جدل بكسر الدال : أي قويت خصومته ، ومنه جادله مجادلة وجدالاً : أي ناقشه وخاصمه ، ومنه قوله تعالى : "وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"^(١) ، والجدل طريقة في المناقشة والاستدلال، قال تعالى: "وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا" ،^(٢) وقد يأتي الجدل بمعنى المراء ، قال تعالى : (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا)^(٣) ، والمراء : الجدل المذموم ، وأصل كلمة الجدل : الشدة والغلبة ، واستعملت في المناظرة والمخاصمة ، لأنهما يحتاجان إلى قوة في الكلام والحجج^(٤) ، وتشترك المجادلة مع الحوار ، في كونها مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين ، إلا أنها تأخذ طابع القوة والغلبة والخصومة ، وفي الحديث " ما ضل قوم بعد هدي الله كانوا عليه ، إلا أوتوا الجدل "^(٥) ، والمراء بالحديث : الجدل على الباطل^(٦) ، جاء في كتاب التعريفات : والغرض من الجدل : إلزام الخصم وإقحام ما هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان ، وهو عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها^(٧) . يقول صاحب كتاب تاريخ الجدل : والغرض منه إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال^(٨) .

وقد استعملت كلمة الجدل ومشتقاتها في القرآن الكريم ، تسعاً وعشرين مرة ، منها في السور المكية ١٨ مرة ، بسبب أن الجدل مع المشركين والوثنيين وقرع الحجج بالحجة كان ضرورياً ، فكانت المجادلة تحتاج إلى مناظرات^(٩) ، وفي السور المدنية ، وردت ١١ مرة .

وقد ورد الجدل في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعاً كلها مذموم إلا في مواضع ثلاثة ، هي :

١ . قوله تعالى : " اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " .١٠ .

٢ . قوله تعالى : " وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " العنكبوت ، آية ٤٦ .

٣ . قوله تعالى : " قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا " المجادلة ، آية رقم ١ .

وجاء التسامح في الآيتين الأوليين تمدحان وتحضان على الجدل بالتي هي أحسن، والآية في الموضع الثالث لا تشير إلى مدح أو ذم ، فيما يتعلق بالجدل، وفيما عدا هذه المواضع ، فإن بقية المواضع التي ورد فيها الجدل في القرآن الكريم قد ورد بعضها في سياق عدم الرضا عن الجدل وذمه ، وعدم جدواه، كما في قوله تعالى :

" وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ " ^(١١) ، لأن الجدل يفترق شروطاً أساسية لا بد منها لكي يحقق الغاية منه ، كأن يكون مفتقراً لطلب الحق ، وأن لا يكون جدلاً بغير علم ، كقوله تعالى : " وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ

(١) النحل آية ١٢٥ .

(٢) الكهف آية ٥٤ .

(٣) الزخرف ، آية ٥٨ .

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣٩٠ ، حرف الدال ، انظر القاموس المحيط ، ص ١٢٦١ .

(٥) أخرجه الترمذي ، كتاب التفسير ، باب : ومن تفسير سورة الزخرف ، ٣٢٥٣ ، ج ٥ ، ص ٣٥٣ ، قال الألباني : حسن ، وابن ماجه ، المقدمة ، باب اجتناب البدع

والجدل ، برقم : ٤٨ ، ص ٨ .

(٦) محمد أحمد الجملي ، "الحوار في القرآن الكريم" ، الأحمديّة ، العدد ١٦ ، ٥١٤٢٥ ، ص ٢٣٨ — ص ٢٤٣ .

(٧) الجرجاني ، التعريفات ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ .

(٨) محمد أبو زهرة ، تاريخ الجدل ط ٢ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٢ .

(٩) الخياط ، أدب الحوار ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

(١١) سورة غافر ، آية ٥ .

وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٌ مُنِيرٌ" (١)، وأنه ورد في سياق الرِّفْض من قبل الكفار للرسالات والرسول، الذين أرسل إليهم، كما في قوله تعالى: " قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا" (٢).

والجدال في الشرع نوعان :

١. جدل مأمور به محمود شرعاً ، وهذا النوع من الجدال أوجب الله تعالى وأمر به رسوله وألزم به المسلمين من باب أولى ، وهو الذي وقع به التسامح كما في قوله تعالى : "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (٣).

٢. جدل منهي عنه مذموم ، وهذا النوع من الجدال لا يستند إلى برهان، ولا تقوم به الحجة ، يجادل فيه صاحبه بالباطل ، ومن غير نية ، وهذا الجدال لا يقع به التسامح .

والجدل المذموم نوعان :

١. جدل بغير علم ، قال تعالى : " وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ" الحج آية ٣ .
٢. جدل لنصرة الباطل ، قال تعالى : " وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ " الكهف ٥٦. وقد جمع نوعاً من الجدال في قوله تعالى : "وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ" الحج ، الآية ٨ ، ٩ . (٤)
" فقد جمعت هذه الآيات بيان الجدال المذموم ، والجدال المحمود الواجب ، فالواجب هو الذي يجادل متوليه في إظهار الحق ، والمذموم وجهان بنص الآية ، أحدهما: من جادل بغير علم ، والثاني: من جادل ناصر الباطل بعد ظهور الحق إليه" (٥)
ويتلخص من إشارات القرآن للمجادلة ، أن الجدال مذموم في العموم ، اللهم إلا إذا قيد بأن يكون بالحسنى ، أو بالتي هي أحسن .

وهكذا فإن الحوار والجدال يلتقيان في أهمهما حديث ومناقشة ، بين طرفين، ولكنهما يفترقان بعد ذلك ، أما الجدال فهو على الأغلب : اللدد في الخصومة ، وما يتصل بذلك ، ولكن في إطار التخاصم بالكلام ، الجدال المجادلة ، كل ذلك ينحى منحى الخصومة ولو بمعنى العناد والتمسك بالرأي والتعصب له ، أما الحوار فهو مراجعة الكلام والحديث بين طرفين ينتقل من الأول إلى الثاني ، ثم يعود إلى الأول وهكذا دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل بالضرورة على وجود الخصومة (٦).

وقد استخدم القرآن الكريم كلمة الحوار والجدال في سياق واحد قال تعالى: "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا" (٧).

فتعبر الأولى عن مراجعة الكلام الذي يتضمن خصومة بين المرأة وزوجها، بينما تشير كلمة التحاوُر إلى مراجعة المرأة للرسول في أمر زوجها (٨) .

(١) الحج آية ٨.

(٢) هود، آية ٣٢.

(٣) النحل، آية ١٢٥.

(٤) محمد أحمد الجلي ، الحوار في القرآن الكريم ، لأهمية ، العدد ١٦ ، ١٤٢٥ هـ ، ص ٢٣٣ .

(٥) محمد بن حزم ، الأحكام في أصول الأحكام ، ج ١ ، تحقيق أحمد شاكر ، مطبعة العاصمة ، القاهرة ، ص ٣٣ .

(٦) محمد المسلمي ، في أصول الحوار ، ط ١ ، دار الندوة ، الرياض ، السعودية ، ص ١٢ .

(٧) المجادلة، آية ١.

(٨) الجلي ، الحوار في القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٢٣٤.

لهذا كله استخدم القرآن أسلوب الجدل القائم على المواجهة ، وعرض القرآن الكريم كثيراً من التساؤلات، والقضايا الخاصة والعامّة ، حتى يفسح المجال للإنسان ليواجه نفسه ، وذلك من خلال الجدل الذاتي مع النفس الإنسانية ، ثم من خلال الجدل مع المجتمع عامّة^(١) .

وهذا هو التسامح المقصود من الجدل ، حيث كان المأمور به هو الجدل بالحسنى ، القائم على سعة الآخريين وقبولهم ، حتى تظهر الفائدة المرجوة من الجدل .

ولهذا فإن الجدل في القرآن الكريم أخذ جوانب ثلاثة وأوجه متسامحة وهي :

١- ما رد الله به على الخصوم من الحجج والبراهين ، وما ساقه من الأدلة لتثبيت العقائد وتقرير قواعد الملة ، مما جاء على ألسنة الرسل والأنبياء ، وما ألهم الله عباده الصالحين من قول وقمع للباطل ، وهذا جدل بالحق ، وهو أمر ضروري لتبليغ رسالة الله ، إلى أهل الأرض ، ودفع ما يعتريها من شبهات ، وهذا النوع استولى على التوجيه والإرشاد ، إلى طريق الحق والصواب .

٢- ما ورد في القرآن الكريم بطريقة الحوار ، والقصد منه الاسترشاد ، وحب الاستطلاع ، والنظر للعظة والاعتبار ، والترجي والدعاء ، ومن هذا القبيل حوار إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع ربه في إحياء الموتى ، حيث ظهر تسامح القرآن الكريم في قبول حجة إبراهيم ، وهي اطمئنان قلبه ، وأيضاً جدال حوله بنت ثعلبة التي حاكى الله قصتها في سورة المجادلة ، حيث كانت تجادل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يغضب الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل كان قمةً في التسامح والقبول.

(١) محمد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن ، طه ، دار المعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص ١٦ .

٣- ما يأتي على ألسنة الكفار من الاعتراضات والشبه والدعاوي الباطلة ، التي حكاها القرآن وبين بطلانها ، وما تنطوي عليه من مفسد ، وهذا يدخل تحت عنوان الجدل بالباطل، قال تعالى: " وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ " الكهف ، آيه ٥٦. (١) .

المواضع التي حدث فيها تسامح في الجدل :

١. الجدل في إثبات وجود الله ، قال تعالى: (لو كان فيهما) الأنبياء ٢٢ .
٢. الجدل مع الملاحدة ، قال تعالى : " وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ " الجاثية ٢٤
٣. الجدل في إثبات وحدانية الله مع مشركي العرب النصارى، قال تعالى: " أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى... إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ " النجم ، ١٩ - ٢٥ ، وقوله : " وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ " النحل ، ٥٨ .
٤. الجدل في إثبات الرسالات ، ومنه جدال الأمم السابقة مع الأنبياء ، قال تعالى: "إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا نِوحي " سورة نوح، آيه ٣٠ .
- ، وجدل في إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى : " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا " الفرقان آية رقم ٤ .
٥. الجدل في البعث و الجزاء ، ومنه الجدل مع منكري البعث من الماديين ، قال تعالى: " أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ... " ق آية ١٥ و شبهات مع منكري البعث ، قال تعالى : " وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ " يس آية ٧٨ . وجه التسامح هنا قبول القرآن الكريم هذا الجدل من الطرف الآخر والرد عليه بالحسنى (٢) .

فوائد التسامح بالجدل :

١. تأثير القرآن الكريم في نفوس الناس ، وقد أثر القرآن الكريم في نفوس المشركين تأثيراً كثيراً بروعة بيانه ، ودهشة نظمه وأسلوبه ، كما جاء في قصة الوليد بن المغيرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه الرسول سورة فصلت.... فقال : إن لقوله حللوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه (٣) .
٢. تأثير كلام الرسول على الأشخاص ، كما جاء في قصة ابن اللتبية ، حيث قال صلى الله عليه وسلم : " أفلا جلس في بيت أبيه أو أمه ،.... وقال : هذا أهدي لي " (٤)
- إن هذه الكلمة من الرسول صلى الله عليه وسلم دلت على أن الهدية لما دارت مع العمل وجوداً وعدمياً ، كان العمل سببها وعلتها ، لأنه لو جلس في بيته أو أبيه أو أمه لانتفت الهدية ، وإنما وجد العمل فهو علته (٥)
- آداب لا بد منها في الجدل المتسامح فيه :

(١) زاهر الألمي، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، مطابع الفرزدق التجارية ، القاهرة ، مصر ١٩٧٠، ص ٢١- ٢٢ بتصرف، دط

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٥ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک، رقم ٣٨٧٢، ج ٢، ص ٥٥٠، وقال هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم ١٣٤ ج ١ ص ١٥٦ .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب الهبة ، باب من لم يقبل الهدية لعله ، برقم : ٢٤٥٧، ج ٢ ، ص ٩١٧ ، وأخرجه مسلم : برقم : ١٨٣٢ ، كتاب الإمارة ، باب: تحريم هدايا العمال ، ج ٣ ، ص ١٤٦٣ .

(٥) الألمي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، المرجع السابق ، ص ٤١٧ .

- ١- تخلي كل الفريقين عن التعصب ، وقد ارشد القرآن الكريم إلى هذه القاعدة ، إذ علم الرسول أن يقول للمشركين ، قال تعالى : " وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ " سبأ ، آية ٢٤ .
- ٢- التقيد التام بالقول المهذب ، البعيد عن الطعن والتجريح والسخرية ، والاحتقار ، وقد أرشد القرآن الكريم بقوله " وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " النحل ١٢٥ ، وقوله " وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " العنكبوت ، ٤٦ ، وقوله " وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ " الأنعام آية ١٠٨ .
- ٣- الالتزام بالطرق الصحيحة المقتنعة عند المجادلة، ومنها : تقديم الأدلة القوية الصحيحة ، وإثبات صحة النقل للأمور المنقولة ، وقد ارشد القرآن إلى هذه القاعدة بقوله: " أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ " النمل آية ٦٤ ، وقوله " قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ " آل عمران ، آية ٩٣ . وقوله : " قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ " الأنبياء ، ٢٤ .
- ٤- قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة .
٥. أن يكون الجدل بالحب وعدم التعصب والشغب ، وأن يتسامح عن بعض الهفوات ويضع الحجة في مكانها.^(١)

(١) المرجع السابق ، ص ٤٣٢ ، بتلخيص.

في ضوء ما سبق بيانه يظهر لنا :

أن التسامح بالجدال واضح من خلال أسلوب القرآن الكريم حيث نص على الجدال حتى مع الكافرين، وأن يكون بالحسنى ، حيث أمر الله رسوله أن يناقش أهل الكتاب والمشركين، وأن يكون بالكلمة الطيبة، والتي هي أحسن ، بمعنى الكلمة الطيبة الهادفة ، وهذا السلوك من الرسول عليه الصلاة والسلام جعل كثيراً من الأعداء يدخلون بسببه في دين الله تعالى ، وصدق الله الذي وصف الرسول عليه السلام بأنه على خلق عظيم . وجاء الخطاب القرآني آمراً المؤمنين أن يجادلوا أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ، والتي هي أحسن، أي باللين وليس بالشدّة، بالرحمة وليس الغضب، بالمحبة وليس الكره ، بالتسامح وليس التعصب ... ، يقول صاحب الظلال: " جاءت الآيات والتي هي أحسن لبيان حكمة مجيء الرسالة الجديدة، والكشف عما بينها وبين الرسالات قبلها من صلة ، والإقناع بضرورة الأخذ بالصورة الأخيرة من صور دعوة الله الموافقة لما قبلها من الدعوات المكتملة لها وفق حكمة الله وعلمه بحاجة البشر ، أما الذين ظلموا من أهل الكتاب ، فلا جدال معهم ، ولا محاسنه ، وهؤلاء هم الذي حارهم الإسلام عندما قامت له دولة في المدينة"^(١) .

ويقول أيضاً في فوائد الجدال بالحسنى في قوله تعالى : "وجادلهم بالتي هي أحسن" : ١٢٥ النحل ،

" أي بالموعظة التي تدخل إلى القلوب برفق وتعمق المشاعر بلطف لا بالزجر والتأنيب في غير وموجب ، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حُسن نية؛ فان الرفق في المواعظ كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة ، ويؤلف القلوب النافرة ، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ، وبالجدل والتي أحسن بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقييح، حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه الغلبة في الجدل ولكنه الإقناع والوصول إلى الحق"^(٢) .

(١) قطب ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٧٤٥ .

(٢) قطب ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٠٢ .

التسامح بالجدال في العهد الجديد :

احتوى الإنجيل من خلال نصوصه على جدال عنيف بين المسيح والأتباع ، وهذا الجدال احتدم بين أتباع المسيح ، ثم قام هذا الجدال بين أصحاب الكنائس، فتأثر بهذا الجدال جميع الكنائس الإنجيلية ، وتعود أسباب الجدال في العهد الجديد إلى أمور منها :

١- ظهور تيارات تقلل من إنسانية المسيح ، في حين شددت بعضها على طبيعة المسيح الجسدية .

٢- بسبب التصاوير البشرية التي لا تليق بأماكن العبادة كما أمر الإنجيل^(١).

والملاحظ أن المسيح من خلال عباراته مع تلاميذه كان لطيفاً متسامحاً ولم يكن هذا الجدال ليولد عند المسيح البغضاء ، بل ولد عنده المحبة لمن جادله ، وقد برهن العهد الجديد من خلال سيرة المسيح بأدب يعرض ولا يفرض ، يأتي بالتصريح من معرض التلميح ، فالأعمال والأحوال والأقوال ناطقة، من تلقاء ذاتها، فلا حاجة إلى أساليب الجدال العنيف، التي تولد البغضاء ، بل بالحجة والبرهان ، لأن الشخصية الفريدة للمسيح تأتي ناطقة ولا تحتاج إلى أساليب البرهان ، لإقامة دعائم الإيمان^(٢) ، ومن أهم النصوص الواردة بشأن تسامح المسيح بهذا الجدال ما يلي :

١. "ولما وصل التلاميذ إلى الشاطئ كانوا قد نسوا أن يتزودوا خبزاً، فقال لهم يسوع : انتبهوا خذوا حذركم من خمير الصدوقيين فبدنوا يحاجون بعضهم بعضاً ، فعلم يسوع فقال لهم : يا قليلي الإيمان : لماذا تحاجون بعضكم بعضاً ، ألا تفهمون بعد ، أم نسيتم الأرغفة الخمسة التي أشبعت الخمسة آلاف ، عندئذ أدرك التلاميذ ذلك."^(٣)

(١) توماس ميشال ، مدخل إلى العقيدة المسيحية ، ط ١ ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩٢ م ، ص ٩٠ .

(٢) يوسف درة الحداد ، الدفاع عن المسيحية ، ط ٢ ، منشورات المكتبة البوليسية ، جونية لبنان ، ١٩٨٨ م ، ص ٢٠٦ .

(٣) انجيل متى ، إصحاح ١٦ ، فقرات ٥ - ١٢ .

٢. سأل عيسى التلاميذ : "فيما كنتم تجادلون ، في الطريق ، فسكتوا ، إذ كانوا في الطريق يتجادلون من هو الأعظم بينهم ، فجلس التلاميذ الإثنا عشر تلميذاً ، وقال لهم : إن أراد أحدكم أن يكون الأول فليجعل نفسه آخر الجميع ، وخادماً للجميع" (١)

٣"قام بين التلاميذ جدال في أيهم الأعظم، فقال لهم يسوع : إن ملوك الأمم يسودونهم ، وأصحاب السلطة عندهم يدعون محسنين ، وأما أنتم فلا يكن ذلك بينكم، بل ليكن الأعظم بينكم كالأصغر والقائد الخادم" (٢).

٤. " وجاءت امرأة سامريه إلى البئر لتأخذ ماء ، فقال لها يسوع : اسقيني، فقالت السامريه : أنت يهودي ، وأنا سامريه ، فكيف تطلب مني أن أسقيك ، فإن اليهود لا يتعاملون مع أهل السامرة، فأجابها يسوع : لو كنت تعرفين عطية الله ، ومن هو الذي يقول لك أسقيني لطلبت أنت منه ، ثم قال يسوع : كل من يشرب من هذا الماء يعود فيعطش ، لكن الذي يشرب من الماء الذي أعطيته أنا لن يعطش بعد ذلك أبداً ... وعند ذلك وصل التلاميذ ، ودهشوا لما رأوه يحدث المرأة" (٣)

٥. " أما إذا كان أحد يعلم ما يخالف التعاليم ، فهو قد انتفخ كبراً ولا يعرف شيئاً ، إنما هو مهووس بالمجادلات والمنازعات الكلامية ، ومنها ينشأ الجدل والخصام والتجريح .. " (٤) .

٦. " بهذه الأمور ذكر شاهداً في حضرة الله أن لا تنشأ المجادلات الكلامية وهي لا تنفع شيئاً غير تخريب سامعها" (٥) .

٧. " أما المجادلات الغيبية الحمقاء ، فتجنبها عالماً أنها تولد المشاجرات، والعبد يجب أن لا يتشاجر بل أن يكون مترفقاً تجاه الجميع ، يتحمل المشقات بصبر" (٦) .

(١) إنجيل مرقس ، إصحاح : ٣ ، فقرات : ٣٣-٣٦ .

(٢) إنجيل لوقا ، إصحاح : ٢٢ ، فقرات : ٢٤-٣٠ .

(٣) إنجيل يوحنا ، إصحاح : ٤ ، فقرات : ٧-١٨ .

(٤) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ، إصحاح : ٦ ، فقرات : ٣-٥ .

(٥) الرسالة الثانية إلى تيموثاوس ، إصحاح : ٢ ، فقرات : ١٤ .

(٦) المصدر السابق: فقرات ٢٣-٢٥ .

جاء في كتاب (حقوق الإنسان) تعليقاً على ما سبق:"لقد جاءت الديانة المسيحية بالدعوة إلى التسامح ، في جدال الناس ، وإلى المساواة بين جميع البشر، وحثت على كرامة الإنسان ودعت إلى التسامح، وأوصى المسيح تلاميذه أن يعاملوا الناس بمثل ما يحبون أن يعاملوا به، كما أن الإنجيل قد وضع أساساً لتقييد السلطة، والذي وجدت أساساً لخدمة الإنسان، وجاء في الإنجيل ما يؤكد على حوار الكلمة، وعدم جدالها، ونصرة المحتاجين والمضطهدين من أجل الدعوة إلى السلام، والوفاء والتسامح وغيرها من أصول القيم الإنسانية، حيث تضمن الإنجيل عظة يسوع الكبرى الداعي إلى عدم العنف في الكلام وفي السلوك"^(١) .

في ضوء ما سبق من النصوص الواردة في العهد الجديد يظهر لنا أن الجدل العنيف كان عند الأتباع، وكذلك الحاجة القاسية للمسيح عليه السلام، والجدال العنيف بين الأتباع أنفسهم ، ومع ذلك كان المسيح لا يحب هذا ، وينهى عنه بقوله : "لماذا تحتاجون بعضكم بعضاً ؟ إذاً كان المسيح عليه السلام ينهى عن الجدل، ولما حصل جدال بين الأتباع كان المسيح يسألهم عن السبب حتى يعالجه كما مر بقوله: "فيما كنتم تتجادلون"؟، و أيضاً لما قام بين التلاميذ جدال من حيث من هو الأعظم؟ أجاهم المسيح بهدوء وعدم جدال وفتاهم عن ذلك، والجدال الذي حصل بين المرأة السامرية جعل المسيح من هذه أسلوباً لمحبتها وعدم جدالها ، واعتبر المسيح المجادل مهووس بالمنازعات والخصام وأمر بالتسامح، واعتبر هذا الجدل أموراً حمقاء يجب تجنبها ، لأنها تولد المشاجرات بين الأتباع، ويجب على الأتباع أن يكونوا مترفقين يتحملون المشقات بصبر .

(١) محمد سعيد أبو زعرور ، حقوق الإنسان في ميزان الإسلام ، ط ١ ، دار الوضاح ، عمان ، ٢٠٠٤م ، ص ٤٢ .

الخلاصة:

مما مر سابقاً ، وفي ضوء النظرة الثاقبة إلى نصوص القرآن الكريم والعهد الجديد ، نجد أن نقاط الاتفاق في التسامح في الجدل ظاهرة في القرآن الكريم والعهد الجديد ، وهذا يدل كما ذكرت سابقاً في الحوار : بأن الجدل بالحسنى صفة ملازمة للأنبياء، رغم تعرضهم إلى القساوة العنيفة من الأقوام ، حيث كان الأنبياء يتحملون كافة الصعاب في سبيل تبليغ دعوة الله تعالى .

وبناء عليه ، فإن القرآن الكريم والعهد الجديد كان بينهما لقاء حول التسامح من خلال المنهج، ومن خلال الرؤى الواضحة ، كيف لا والقرآن الكريم مهيمناً على الكتب السابقة ، قال تعالى: "وأنزّلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه"^(١)، فكانت الأخلاق عند جميع الأنبياء واحدة، وكان القرآن دستور حياة لكل الأمم، وكان القرآن متسامحاً في حديثه حول الإنجيل ، ولم يكن معنفاً ، بل ذكر الإنجيل بصفات طيبة، وجاء القرآن الكريم والعهد الجديد ليمنع الجدل ، ويأمر أن يكون إن حصل من الأتباع أن يكون بالحسنى .

(١) سورة المائدة ، آية ٤٨ .

المبحث الثالث

التسامح العملي في القرآن الكريم والعهد الجديد

ويحتوي على أربعة مطالب :

- . المطلب الأول : التسامح في الحرية المدنية .
- . المطلب الثاني : التسامح الاجتماعي .
- . المطلب الثالث : التسامح السياسي .
- . المطلب الرابع : التسامح الثقافي .

المطلب الأول : التسامح في الحرية المدنية .

تعريف الحرية المدنية : هناك تعاريف مختلفة للحرية المدنية منها :

- ١- الحالة التي تجعل الشخص أهلاً لإجراء العقود وتحمل الالتزامات ، وتملك العقار والمنقول ، والتصرف فيما يملك^(١) .
 - ٢- صفة الرشد التي تجعل الشخص أهلاً لأن يتحمل الالتزامات ، ويعقد باسمه مختلف العقود المشروعة من بيع وشراء وهبة ورهن، وما إلى ذلك ، ويقابل هذه الحرية الرق^(٢) .
- وتبحث الحرية المدنية في عناصر القانون المدني، وحقوق الإنسان، وتولي المناصب ، والوظائف ، والأمور الإدارية ، ونظام الأسرة، والنظام التعليمي، وحق العمل، والتعليم، والتنقل^(٣)، وأن يكون للإنسان حرية التصرف في أموره الشخصية والمالية، ويقابلها الرق والعبودية التي يفقد بها الإنسان هذه الحرية، ولا يكون له أهلية هذه التصرفات، بل قد يجعله مملوكاً لغيره^(٤) . وقد أرسى القرآن الكريم دعائم هذه الحرية ، وجعل لكل فرد سيادة ذاتية ، يملك ويبيع ، ويشترى ويهب ويقف^(٥) ، ويوصي ويتصدق ، ويتصرف بكل التصرفات التي تحقق المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية^(٦) .

(١) وافي ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ .

(٢) خضر ، الإسلام وحقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

(٣) إبراهيم ناصر ، المواطنة ، ط ١ ، مكتبة الرائد العلمية ، عمان ، ٢٠٠٢ م ، ص ٤٤ .

(٤) البدي ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

(٥) معنى الوقف: أن يجعل الإنسان ماله إلى جهة معينة مثل المسجد أو جمعية خيرية.

(٦) البدي ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .

"وتشمل الحرية المدنية : كل ما يخص حياة الإنسان، في شخصه ، أو في بيته ، أو في متجره ، أو في تعاملاته مع الآخرين ، إذ لا بد للإنسان أن يكون آمناً في حياته مع الآخرين ، مطمئناً لبقية أفراد مجتمعه ما دام يتعامل معهم في حدود القانون ، والأخلاق والأعراف بصرف النظر عن الاختلاف في الدين أو العرق ، وهذا ما حرص الإسلام على تحقيقه بكل دقة لأهل الذمة، ولغيرهم من رعايا الدولة الإسلامية ، وهذه الحرية مرتبطة مع الحرية الدينية ، بدليل أن عهود الأمان التي أعطها الفاتحون الأوائل من المسلمين لرعايا البلاد المفتوحة ، قد شملت حماية أموال وممتلكات أهل الذمة ، فضلاً عن أنفسهم وممتلكات كنائسهم ، وقد امتد عدل الإسلام في نظره إلى الحرية المدنية لأهل الذمة إلى أحكام القضاء التي سادت بين المسلم والذمي في قضايا القصاص والديات ، كما امتدت هذه العدالة بالسماح لأهل الذمة في العمل في الوظائف والجهاز الإداري الإسلامي ، إذ من الثابت تاريخياً أن العرب قد أبقوا على النظم الإدارية التي وجدت في البلاد المفتوحة ، كما كانت في كل إقليم قبل الإسلام ، وظلت هذه الدواوين تحرر بلغة الإدارة السابقة قبل الإسلام فيما يخص ديوان المال والجبابة ، حيث كان العمل في هذه الدواوين بالفارسية في إيران، واليونانية في الشام، وفي مصر بالقبطية " (١) . ويؤكد المؤرخون أن هذه السياسة التي اتخذت في حق أهل الذمة بالحفاظ على حريتهم المدنية، حيث استخدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صدر الإسلام الولاة من أهل الذمة، وكان لأبي موسى الأشعري والي البصرة كاتباً نصرانياً، واستمر هذا في عهد الأمويين، حيث استخدم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه النصارى في مصالح الدولة ، فعهد إلى سرجون بن منصور الرومي بخراج دمشق، ثم إلى ابنه منصور بن سرجون، وكان على خراج حمص كاتب نصراني هو ابن أثال (٢) .

إن نظرة الإسلام إلى الحرية المدنية لم تتوقف بالنسبة لأهل الذمة، بل احتفظت لهم بالوظائف الإدارية، وشملت باقي الوظائف، مثل الالتحاق بالجيش الإسلامي ، مما يؤكد أن القرآن الكريم أعطى هؤلاء الفرصة للوصول إلى أرقى المناصب ، مما يؤكد أيضاً تسامح الإسلام في كل الميادين (٣) .

(١) محلاوي ، ملامح التسامح والعنف والإرهاب ، مرجع سابق ، ص ٦٨ .

(٢) زاهر رياض ، المسيحيون والقومية المصرية ، دار الثقافة ، مصر ، ١٩٧٩م ، ص ٢٢ ، د. ط .

(٣) نزيهان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ص ٢٣١ بتصرف .

ويتمتع عطاء التسامح الإسلامي لأهل الذمة حيث يصل إلى مداه بالسماح لهؤلاء بالعمل باقتصاد الدولة الإسلامية، سواء من خلال اشتغالهم بالتجارة الخاصة بهم، أو تولي تجارة الدولة الإسلامية نفسها ، فقد أتاحت الدولة الإسلامية لأهل الذمة المشاركة في الحياة الاقتصادية ، بما كفلته لهم من حقوق وواجبات ، وشمل هذا التسامح التعاون مع أهل الذمة ، والاستفادة من خبراتهم في العديد من المجالات الاقتصادية ، ولعب أهل الذمة دوراً ملموساً في العمل بالصفيرفة، كما ازداد احتكارهم لهذه الوظيفة خلال القرن الرابع الهجري ، بسبب ما شهدته العالم الإسلامي من انتعاشه على الصعيد التجاري ، حيث شارك النصرى بهذا العمل ، وفتح المجال لهم بالعمل في الطب والعطارة حيث كان منهم أطباء الخليفة والوزراء ، وكان منهم الخياطون والصبغون والأساكفة والخرازون^(١) .

وفي ضوء ما سبق لا بد من الإجابة على السؤال المطروح، وهو هل يجوز لأهل الذمة العمل في كل وظائف الدولة من خلال هذا التسامح في الحرية المدنية؟ والإجابة على هذا السؤال لا بد من معرفة آراء العلماء فقهاء: إن القرآن الكريم أحاز تولي غير المسلمين الوظائف القيادية في الدولة الإسلامية ، إلا ما غلب عليه الصبغة الدينية ، كالإمامة والقضاء الشرعي وغيرها، أما القضاء المدني والجنائي فلا حرج في ذلك^(٢) .

وأيضاً فإن الإسلام لا يعامل أهل الذمة إلا المعاملة الحسنة ، فلا خشية على حقوقهم وأوضاعهم ؛ لأن لهم الحق في التمتع بممارسة معظم الحقوق السياسية والمدنية التي للمسلمين، كالمشاركة في الوظائف ، كما حدث في عهد معاوية رضي الله عنه ، الذي استخدم النصرى في أعمال الحكومة ، إذ لا تفرقة في منهج الإسلام بين مواطني دار الإسلام بسبب الدين والعنصر واللغة ما دام المواطن مسلماً مأمون الجانب، أما الوظائف الأخرى كالشورى والإمامة الكبرى وقيادة الجيش فلا يحق لهم ذلك^(٣) .

يقول صاحب كتاب (الإسلام) : "إنه لا حق لأهل الذمة في وظيفة من وظائف الدولة الدينية، ولا حق لهم في الشورى، ولا حق لهم في السيادة، ولا حق لهم في انتخاب قيادات الدولة ، أما الوظائف الأخرى فلا حرج على أن لا يكون لهم السيادة، قال تعالى: "وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا" النساء، ١٤١ ، أما الحقوق العامة ، فهي لازمة للإنسان باعتباره فرداً في المجتمع ، ولا يمكن الاستغناء عنها كحماية نفسه وحرية ماله ، وحقه في التنقل وفي الاعتقاد ، وحق المسكن وحق الرعاية إذا عجز عند الكبير، قال صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع ومسئول عن رعيته)^(٤) . وللذمي الحق في بيت مال المسلمين على اعتبار أن موارد بيت المال ليست مقصورة على الزكاة^(٥) .

ونحن نتكلم عن التسامح في الحرية المدنية ، فهل هذه الحقوق في الوظائف وغيرها حق على الدولة الإسلامية؟ وللإجابة على هذا السؤال يتبين أن تولي الوظائف في الدولة الإسلامية ليست حقاً للفرد على الدولة ، لحديث أبي موسى الأشعري قال: (دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من بني عمي فقال أحدهما يا رسول الله أمرني على بعض ما ولاك الله تعالى، وقال الآخر مثل ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنا لا نولي هذا من سأله وحرص عليه)^(٦) ، مما

(١) الأساكفة: هم الذين يهتمون بصناعة وإصلاح الأحذية ، والخرازون : هم الذين يهتمون بصناعة الخرز .

(٢) محلاوي ، ملامح التسامح والعنف والإرهاب ، مرجع سابق ، ص ٧١ .

(٣) أدوار غالي الذهبي ، معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، ط١ ، مكتبة غريب ، مصر ، ١٩٩٣م ، ص ١٠٤ .

(٤) وهبه الزحيلي ، نظام الإسلام ، ط١ ، منشورات جامعة بنغازي ، ليبيا ، ١٩٧٤م ، ص ٤٠٣ ، بتصرف يسير .

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب العتق ، باب : العبد راع في مال سيده ، برقم ٢٤١٩ .

(٦) سعيد حوى ، الإسلام ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ص ١٢٥ .

(٧) أخرجه البخاري ، كتاب الحكام ، باب ما يكره من الحرص على الإمارة ، برقم : ٦٧٣٠ ، ج١٦ ، ص : ٢٦١٤ .

يجعل الكفاءة والأمانة هما المقياس الرئيسي لتولي الوظائف ، قال تعالى : "إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ" (١) ودعوى التقوى والقرب من الله ليس طريقاً إلى الوظائف ولذلك لم تكن التقوى قال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر : " إنك ضعيف" (٢) وتولي غير المسلمين الوظائف لمصلحة المسلمين بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم سمى سفيراً له في الحبشة هو عمرو بن أمية الضمري ، وهو غير مسلم، كما كلف بعض المشركين بمهام التجسس (٣) .

وقد منح القرآن الكريم الحرية المدنية لجميع الأفراد ، ما عدا الصبي والمجنون والسفيه (٤) وسوى في الحرية المدنية بين الرجل والمرأة ، ولم يفرق بين الناس في هذا الحق تبعاً لاختلاف شعوبهم أو طبقاتهم ، أو تفاوتهم في الأحساب والأنساب.

(١) سورة القصص ، آية ٢٦ .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب : كراهية الإمارة ، برقم : ١٨٢٥ ، ج ٣ ، ص ١٤٥٧ .

(٣) راشد الغنوشي ، حقوق المواطنة ، ط ٢ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا ، أمريكا ، ١٩٩٣م ، ص ٧٧ ، وينظر كتاب نبي الإسلام ، محمد حميد الله ، ص

١٤٨ ، انظر تفريغ الحديث الوارد في الموطأ برواية محمد بن الحسن برقم ٣١٦ ، ج ٢ ، ص ١٠٨ والبيهقي في الكبرى برقم ١٧٩٧٩ ج ٩ ص ١٠٠ ، والطبراني في الأوسط

برقم ٤٨٩ ص ١٥٦ .

(٤) السفيه : هو الميذر الذي يتلف أمواله وينفقها في غير مصلحة .

ومن الحرية المدنية :

- ١- حرية التعليم ، أعطى القرآن الكريم الحق في التعليم لكل أحد بل جعله فرضاً عليهم في الحدود اللازمة ، قال تعالى : (**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**) الزمر آية ٩ ، وقال تعالى : (**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**) فاطر آية ٢٨ ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (طلب العلم فريضة على كل مسلم)^(١) .
- وجاءت الآية الأولى في نزول القرآن منطوية على تعظيم العلم ، ووضعها في المكانة الأولى من نعم الله تعالى ، ومن دلائل عظمتها وقدرته ، قال تعالى : " **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** " العلق ١- ٤ .
- ٢- حرية العمل : حث القرآن الكريم على العمل ، أيًا كان نوعه ، ما دام داخل نظام العمل المشروع ، وأمر به ، وأعلى من شأنه ، قال تعالى : (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**) الملك ، ١٥ . ويأمر القرآن الناس يوم الجمعة أن ينصرفوا إلى أعمالهم قال تعالى : (**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) الجمعة ، ١٠ ، بل أجاز القرآن الكريم التجارة ومباشرة الأعمال في مناسك الحج ، قال تعالى : (**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ**) البقرة ، ٩٨ ، وهذه الآية تحت على الأخذ بأسباب الرزق ، ومزاولة أعمال التجارة^(٢) .
- ٣- حق التعاقد والتملك : ورد في القرآن الكريم آيات تتحدث حول العقود والتملك منها : قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**) المائدة آية ١ ، وقوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ**) النساء آية ١٣٥ ، وقوله (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ**) المائدة ، ٨ ، وقوله تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**) النساء ، ٥٨ ، وهذه الآيات تتحدث عن الإيفاء بالعقود والقوامة بالقسط ، وعن أداء الحقوق والأموال إلى أهلها .

(١) أخرجه ابن ماجه ، كتاب الإيمان ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، برقم ٢٢٤ ، قال المزي : حسن ، وقال الألباني ، صحيح .

(٢) وافي ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

في ضوء ما سبق من الحديث حول الحرية المدنية ، يتبين ما يلي :

- ١- اهتمام القرآن الكريم بالحرية المدنية بأنواعها المختلفة .
- ٢- عدم تفرقة القرآن الكريم في الحرية المدنية بين المسلمين وأهل الذمة .
- ٣- شملت الحرية المدنية : الحق في الوظائف والتعليم والإدارة والحفاظ على الممتلكات وحق العمل وحق التملك والعقود وغيرها .
- ٤- جواز تولي أهل الذمة الوظائف الخاصة بهم ، دون الوصول إلى السيادة والشورى والأمر الدينية الخاصة بالمسلمين .
- ٥- جواز التعاون مع أهل الذمة في كافة المستويات ، وهذا ما أكدته السلف الصالح من خلال الاستعانة بأهل الذمة في تولي الوظائف وغيرها .
- ٦- ظهر التسامح في الحرية المدنية ، من خلال تعامل المسلمين مع غيرهم في كافة المجالات التي مر ذكرها .
- ٧- ظهر التسامح في عدل القرآن الكريم من خلال تطبيق الحدود وعدم الاعتداء على أهل الذمة مثل قصة ولد عمرو بن العاص مع القبطي .
- ٨- شهادة أهل الذمة المنصفة تجاه الفاتحين ومدى تطبيقهم قواعد العدل ، والمساواة في كافة حياتهم ، حيث وصل التسامح مداه في كافة المجالات .

الحرية المدنية في العهد الجديد :

- وإذا قارنا الحرية المدنية في القرآن الكريم مع الحرية المدنية في العهد الجديد نجد ما يلي :
- هناك نصوص كثيرة في العهد الجديد تدعو إلى الحرية المدنية بأنواعها (الشهادة ، والبيع والتملك ، والأجرة ، والحكم والمحكمة ، وحقوق الإنسان ، وحق العمل والتعليم وغيرها) ومن أهم النصوص ما يلي :
- ١- في الشهادة والحكم : جاء في الإنجيل: "خاطب يسوع فقال: أنا نور العالم من يتبعني فلا يتخبط في الظلام، بل يكون له نور الحياة ، فاعترضه الفريسيون قائلين: أنت الآن تشهد لنفسك ، فشهادتك لا تصح ، فأجابه مع أي أشهد لنفسي ، فإن شهادتي صحيحة لأنني أعرف من أين أتيت وإلى أين أذهب ، أما أنتم فلا تعرفون ، لا من أين أتيت ولا إلى أين أذهب ، ولذلك تحكمون عليّ بحسب البشر ، أما أنا فلا احكم على أحد ، مع أي لو حكمت لجاء حكمي عادلاً ... مكتوب في شريعتكم أن شهادة شاهدين صحيحة " (١) .
- ٢- في البيع والأجرة : جاء في الإنجيل " قال يسوع مخاطباً تلاميذه : إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع كل ما تملك ، ووزع على الفقراء ، فيكون لك كنز في السماوات ... " (٢) ، " قال رب الكرم لوكيله : ادع العمال وادفع الأجرة مبتدئاً بالآخرين ومنتهاً إلى الأوليين " وفي هذا المثل الترحيب الإلهي للإنسان حيث أمرهم بدفع الأجرة حتى لا يبقوا بدون طعام ، لأنهم يعيشون من خلال هذا العمل (٣) .
- ٣- في الشهادة : جاء في الإنجيل : " وأخذ رؤساء الكهنة والمجلس الأعلى يبحثون عن شهادته على يسوع فلم يجدوه ، فقد شهد عليه كثيرون زوراً ، ولكن شهادتهم كانت متناقضة " (٤) ، جاء التسامح هنا ليدل على أن الشهادة جاءت أمام المحكمة ولم يتفق الشهود، ومع ذلك دخل مجموعة كبيرة من الشهود ليقدموا شهاداتهم حيث شهد أحدهما أنه كان أعمى ، وقد شفاه يسوع (٥)

(١) إنجيل يوحنا ، إصحاح ٨ ، فقرات : ١٢ - ١٧ .

(٢) إنجيل متى ، إصحاح ١٩ ، فقرة ٢١ .

(٣) إنجيل متى ، إصحاح ٢٠ ، فقرة ٨ ، وينظر تفسير العهد الجديد ص ٣٦٢ .

(٤) إنجيل مرقس ، إصحاح ١٤ ، فقرة ٥٥ .

(٥) ولیم باركلي ، تفسير العهد الجديد ، ط ١ ، ج ١ ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٦٥٢ .

٤- في الحكم : جاء في الإنجيل : " جاء رجل إلى يسوع قائلاً أتسمح شريعتنا بأن يحكم على أحد دون سماع دفاعه أولاً لمعرفة ذنبه ، فأجابه لعلك أنت أيضاً من الخليل ادرس الكتاب تعلم أنه لم يطلع نبي قط من الخليل " (١) ، وأيضاً : " فلما ربط الجنود بولس ليجلدوه ، قال لقائد المائة الذي كان واقفاً بقربه : أيسمح لكم القانون بجلد مواطن رومي قبل محاكمته فكفوا عن ذلك ... فكفوا قيوده " (٢) ، جاء في تفسير هذا النص : جاء التسامح هنا لاعتقاد بولس بكرامته ، لكن لا لأجل نفسه ، بل من أجل غيره (٣) .

٥- الإقامة : جاء في أعمال الرسل : " ولما دخلنا روما سمح الضابط لبولس أن يقيم في منزل خاص مع الجندي الذي يجرسه " (٤) جاء في تفسير هذا النص : إن الإقامة في المنزل دلالة على المحبة ، لأن بولس ظل حتى آخر أيام حياته لم يتغير ، وأقام سنتين كاملتين في بيت استأجره لنفسه ، والمعنى أن بولس كان ينفق على نفسه وأنه كان يعمل بيده ليسد كل احتياجاته (٥) .

جاء في (تفسير العهد الجديد) في معنى الحرية المدنية : أن يسوع أوصى بأن يبيع كل أملاك الشاب ويعطي الفقراء ، ولا شك أن يسوع يعالج بهذه الوصايا اتجاهها خاطئاً لهذا الشاب ، حيث أمره ببيع كل أملاكه ، فبدأ الشاب يفكر ، ولم يعجبه هذا الرأي ، لهذا واجه يسوع بهذا التحدي أن يبيع كل أمواله ويعطي الفقراء ، واعتبر الشاب هذه الوسيلة لمعاونة الآخرين ، حيث تصير أمواله تاجاً له ، وهذا يدل على التسامح الإلهي لهذا الإنسان حيث تصدق بكل أمواله إلى الفقراء (٦) .

يقول صاحب كتاب الكنيسة والدولة : فالعهد الجديد يطالب بممارسة الحقوق المدنية بالاشتراك في النقابات والاستفتاءات والمنظمات الجماهيرية والقنوات الشرعية ، والأحزاب السياسية والخدمة العسكرية ، وأن يقوم بذلك من منطلق دعوة الله التي هي دعوة رسالة ، ودعوة مكان ، فالموطنة مثلاً دعوة إلهية ، والمسيح يعتبر أن كل هذه الخدمات تؤدي له شخصياً (٧) ،

ومن النصوص التي تبين وجه التسامح في العهد الجديد لغير المسيحيين ، قصة المرأة الكنعانية كما جاء (أيها المرأة عظيم إيمانك فليكن لك ما تطلبين) (٨) ، وأيضاً تسامح المسيح مع المرأة السامرية (٩) ، كما (واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر عن المذنبين) (١٠) ، (فان غفرت للناس زلاتهم يغفر لكم) (١١) ، و (تقدم إليه بطرس وسأله كم مرة يخطئ إلى أخي فأغفر له هل إلى سبع مرات فاجبه يسوع لا إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة) (١٢) ، وأيضاً (لا تحكموا على أحد... اغفروا يغفر لكم أعطوا تعطوا) (١٣) ، و (واغفر لنا خطايانا لأننا نغفر لكل من يذنب إلينا) (١٤) ، و (إن أخطأ إليك أخوك فعاتبه فإذا تاب فاغفر له) (١٥) ، وفي (وان أخطأ إليك سبع مرات وعاد إليك سبع مرات قائلاً: إن تائب فعليك أن تغفر له) (١٦) ، وفي (فمن تسامح به بشيء أسامحه أيضاً وإذا كنت أنت أيضاً قد سامحت ذلك الرجل بشيء فقد سامحته من أجلكم) (١٧) ، وفي (من غفرت خطاياهم غُفرت لهم ،.....) (١٨)

(١) إنجيل يوحنا ، إصحاح ٧ ، فقرة ٥٠ .

(٢) أعمال الرسل ، إصحاح ٢٢ ، فقرة ٢٥ .

(٣) باركلي ، تفسير العهد الجديد ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١١٨ .

(٤) أعمال الرسل ، إصحاح ٢٨ ، فقرة ١٦ .

(٥) باركلي ، تفسير العهد الجديد ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٣٤ .

(٦) باركلي ، تفسير العهد الجديد ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٦٢ .

(٧) صموئيل حبيب ، الكنيسة والدولة ، ط ١ ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ٦٦ ، ينظر إنجيل متى إصحاح ٢٥ ، فقرة ٤٥ .

(٨) متى ٢٨/١٥ .

(٩) يوحنا ٤/٢٤-٤٢ .

(١٠) متى ١٢/٦ .

(١١) متى ٢١/٨ ، ومتى ١٤/٦ .

(١٢) متى ٢١/٨ .

(١٣) لوقا ١٣/٦ .

(١٤) لوقا ١١/٤ .

(١٥) لوقا ١٧/٣ .

(١٦) لوقا ١٧/٤ .

(١٧) الرسالة الثانية الى مؤمني كورنثوس ١٠/٢ .

(١٨) يوحنا ٢٠/٢١ .

المطلب الثاني : التسامح الاجتماعي

تعريف التسامح الاجتماعي : الممارسات التي تلتزمها الحياة الاجتماعية ، وتشمل العادات والزيارات والتحية والسلام وكافة الشعائر في كل مكان^(١) ، ويشمل حق العمل وحق الأسرة وحق الزواج وحق الجيران ، وحق الوالدين والأرحام وحق المرأة وحق اليتيم وحق الأمومة والطفولة^(٢) .

فقد اهتم القرآن الكريم بمعالجة الأمور الاجتماعية التي تحصل عند الأفراد ، مثل حماية الشخص من المرض والشيخوخة ، وحماية اليتيم الذي فقد أباه ، وليس له ما يساعده على التربية السليمة ، وحماية المرأة التي فقدت زوجها ، ولم يترك لها ما يكفيها وعيالها ، ولا يتفق مع كرامة الإنسان أن يتركوا هملاً وبلا رعاية ، لذلك شرع القرآن الكريم الحماية الاجتماعية ؛ من هنا جاء التسامح الاجتماعي من أجل أن يعيش الناس حياة طيبة كريمة ، وتتجلى هذه السماحة في معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الذمة ، فقد كان يزورهم ويكرمهم ويحسن إليهم ، ويعود مرضاهم ، ويأخذ منهم ويعطيهم ، جاء في الصحيح: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد يهوديا وعرض عليه الإسلام ... فخرج الرسول وهو يقول : " الحمد لله الذي أنقذه من النار" ^(٣) ، ويتجلى أيضا في معاملة الصحابة والتابعين لغير المسلمين ، فعمر رضي الله عنه يصرف معاشاً ليهودي وعياله من بيت مال المسلمين ، ثم يقول : قال الله تعالى : " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ... " وهذا من المساكين^(٤) ، وأساس هذه النظرة المتسامحة التي تسود المسلمين في معاملة مخالفيهم في الدين ، يرجع إلى الأفكار التي غرسها الإسلام في عقول المسلمين وقلوبهم وأهمها :

١- اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان ، مهما كان دينه أو جنسه أو لونه ، قال تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)^(٥) ، وهذه الكرامة المقررة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية ، ومثاله ما جاء في الصحيح عن جابر بن عبد الله ، أن جنازة مرت على النبي صلى الله عليه وسلم فقام إليها واقفاً، فقيل له : يا رسول الله إنما جنازة يهودي، فقال صلى الله عليه وسلم: " أليست نفساً"^(٦)، بل لكل نفس في الإسلام حرمة ومكان ، فما أروع الموقف ، وما أروع التفسير والتعليل .

٢- إيمان المسلم أن الله يأمر العدل ، ويجب القسط ويدعو إلى مكارم الأخلاق ، ولو مع المشركين ، ويكره الظلم ويعاقب الظالمين ولو كان الظلم من مسلم لكافر، قال تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا غَدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) ^(٧) المائدة آية ٨ .
" والشيء الذي يثلج صدر كل المتابعين لنا في الحديث عن تسامح الإسلام اجتماعيا مع أهل الذمة ، أنهم لم يكونوا يعيشون في مجتمعات خاصة بهم داخل المجتمع المسلم ، فلم يوجد في المدن الإسلامية أحياء خاصة بالنصارى ، بل سكنوا مع المسلمين جنباً إلى جنب ، وهذا نابع من الأساس في رغبة المسلمين أنفسهم ، ليس هذا فحسب ، بل لقد امتد اهتمام حكام الدولة الإسلامية بأحوال أهل الذمة إلى الرعاية الاجتماعية ، شأنهم في ذلك شأن كل رعاياهم من المسلمين ، وفي ظل هذا التسامح وهذه الرعاية فقد تمتعوا بالمظلة الاجتماعية وتطبيق التكافل الاجتماعي عليهم وعلى طوائفهم دون تفرقة ، وهناك العديد من الآيات التي حضت على هذا التسامح بين المسلمين وأهل الذمة ، من ذلك قوله تعالى : (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ

(١) ناصر ، المواطنة ، مرجع سابق ، ص ١٣٢

(٢) فالج البدارين ، قراءة لحقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية ، ط ١ ، دار مجدي ، عمان ، ٢٠٠٣ ، ص ٦٩ .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض عليه الإسلام ؟ ، رقم ١٢٩٠ ، ج ١ ، ص ٤٥٥

(٤) يوسف القرضاوي ، " حقوق الأقليات غير المسلمة " ، مجلة التوحيد ، العدد ٨٤ ، السنة الحادي عشر ، ١٩٩٦ ، ص ١٨

(٥) الإسراء آية ٧٠ .

(٦) أخرجه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب من قام لجنازة يهودي ، رقم ١٢٤٩ ، ج ١ ، ص ٤٤١

(٧) يوسف القرضاوي ، " حقوق الأقليات غير المسلمة " ، مجلة التوحيد ، العدد ٨٤ ، السنة الحادي عشر ، ١٩٩٦ م ، ص ١٨ .

عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ) الممتحنة آية ٨ ، وقوله تعالى : (الْيَوْمَ أَحْلَلْ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّلَكُمْ وَطَعَامَكُمْ حَلَّلَهُمْ) المائدة آية ٥ ، وجاء في الحديث أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يحضر ولائمتهم ويعود مرضاهم ويتبع جنازتهم ويزورهم ويكرمهم ، ولما زار رسول الله وفد بخران ، فرش لهم عباءته وأجلسهم عليها " (١) .

وأوصى الرسول عليه السلام أن يحسن إلى الجار ولو كان نصرانياً أو يهودياً ، وأجاز التعامل معهم في البيع والشراء ؛ وقد ذكر ابن حجر رحمه الله تعالى : أن النبي عليه الصلاة والسلام لما ذبح شاة أمر أن يهدي منها لجاره الكافر ، وكذلك فعل الصحابة ومنهم عبد الله بن عمر رضي الله عنه (٢) ، بل وصل الاحترام والتوقير من الرسول لغيره من أهل الذمة والمشركون أن يستعين بأموالهم في الغزوات ، وزاد على ذلك أنه اقترض منهم المال ، يقول صاحب كتاب سماحة الإسلام : " فقد كان الرسول عليه السلام يقترض منهم نقوداً ، ويرهنهم متاعاً ، ولم يكن ذلك عجزاً من أصحابه عن إقراضه ، فإن بعضهم كان ثرياً ، وكلهم يتلهف من أجل أن يقرض الرسول ، وإنما كان يفعل ذلك تعليماً للأمة وتثبيتاً لعملها لما يدعو إليه من سلام ووثام ، وتديلاً على أن الإسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيهم وأعدائهم " (٣) .

ولم يقف هذا العفو والتسامح عند هذا الحد بل تجاوز ذلك ، حيث عفا الرسول عليه الصلاة والسلام عن زعيم المنافقين ابن سلول ، وهو من أسباب هزيمة المسلمين يوم أحد حيث رجع بثلاث الجيش ، وقاد حملة ضد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وطعن في عرض الرسول ، فتزل قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ... وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) النور آية ١١، ولما حضرت ابن سلول الوفاة ، طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم قميصه فأعطاه ، بل زاد على ذلك أن ابنه طلب من الرسول الصلاة على أبيه ، وأن يقف عند قبره ، فقام صلى الله عليه وسلم وصلى عليه ، وعاتبه عمر رضي الله عنه وأراد من ذلك منعه ، فلم يسمع صلى الله عليه وسلم منه وقال : إن الله خيرني استغفر لهم أو لا تستغفر لهم (٤) .

(١) محلاوي ، ملامح التسامح والعنف والإرهاب ، مرجع سابق ، ص ٢٥ ، ينظر زاد المعاد لابن القيم / أحكام أهل الذمة ج ٤ ، ص ٥١ .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٤٢ ، وانظر تحفة الأحوذى بشرح الترمذي للباركفوري ، ج ٦ ، ص ٦٢ .

(٣) أحمد الحوفي ، سماحة الإسلام ، ط ١ ، مكتبة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٨٧ .

(٤) إبراهيم الوقي ، السماحة في الإسلام والمسيحية ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٥٨ .

ومن تسامح الرسول صلى الله عليه وسلم مع النصارى تحريم قتل المعاهدين منهم ، قال صلى الله عليه وسلم : (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً)^(١) .

يقول صاحب كتاب رحلة دينية إلى الشرق : " ومن المؤسف أن لا تقتبس الشعوب النصرانية من المسلمين التسامح الذي هو آية الإحسان بين الأمم ، واحترام عقائد الآخرين ، وعدم فرض أي معتقد عليهم بالقوة ؛ ليس هذا فحسب ، بل إن محمداً نهي عن إيذاء النصارى ، حيث جاءت آيات تحذر من ظلم غير المسلمين من أهل العهد والذمة ، منها : من ظلم معاهداً أو انتقص حقه ، أو كلفه فوق طاقته أو اخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حججه يوم القيامة ، ومن آذى ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه قصمته يوم القيامة ، ومن آذى ذمياً فقد آذني "^(٢) .

يقول صاحب كتاب مواطنون لا ذميون : لم يتردد الرسول عليه الصلاة والسلام في أن يزور غلاماً كافراً مريضاً في بيته ، وأكرم وفادة نصارى نجران ، حتى أنزلهم مسجده ، وأذن لهم بالصلاة إلى جوار المسلمين ، وهو الذي زارع اليهود ، وساقاهم ، وأكل من طعام أهل الكتاب ، وعقد اتفاقاً معهم بعد الهجرة من مكة نص فيه على أنهم أمة واحدة مع المسلمين^(٣) .

إن التسامح الاجتماعي مع أهل الذمة يوجب لهم حقوقاً علينا ؛ لأنهم في جوارنا ودمتنا ، وذمة الله ، وذمة رسوله وذمة دين الإسلام^(٤) .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الخمس ، باب إثم من قتل معاهداً ، برقم : ٢٩٩٥ ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .

(٢) الراهب ميمشو ، رحلة دينية إلى الشرق ، ط ١ ، المكتبة البوليسية ، جونبة ، لبنان ، ١٩٩١ م ، ص ٦٢ ، والحديث الوارد أخرجه أبو داود في كتاب الخراج ، باب : تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا في التجارات ، برقم ٣٥٢ ، قال الإمام أحمد : لا أصل له ، قال الألباني : صحيح ، قال شعيب الأرنؤوط : أخرجه أحمد برقم ١٦٨٤٩ ، وإسناده ضعيف ، قلت : الحديث حسن كما ذكر العيني في عمدة القارئ ، ج ١٥ ، ص ٨٩ ، لكثرة طرقه .

(٣) فهمي هويدي ، مواطنون لا ذميون ، ط ١ ، دار الشروق ، مصر ، ١٩٨٥ ، ص ٨١ ، بتصرف .

(٤) شهاب الفدين القرافي ، الفروق ، ط ١ ، ج ٣ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ٢٥ .

ولهذا اهتم القرآن الكريم بالتسامح الاجتماعي ، والنواحي الاجتماعية ، ومنها حق الجار ، حيث وضع القرآن الكريم حق الجار مع حق الوالدين والأرحام، قال تعالى: (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) النساء آية ٣٦^(١) ، ومن التسامح الاجتماعي دعوة القرآن الكريم إلى مكارم الخلاق ، وجعل الخوف من الله في السر والعلانية كما جعل المسلمين سواسية ، أكرمهم عند الله أتقاهم ، قال تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الحجرات ١٣ ، فلا فرق بين عربي مسلم، وأعجمي مسلم ، ورفع شأن المرأة فنظم أمر زواجها وميراثها وحقوقها ، وحسن معاملته الرقيق ، وفتح الطريق في تحريره بأبواب عدة ، ووضع أصول المعاملات ، وبين علاقات الأفراد بعضهم بعض^(٢) .

ولقد حقق هذا الأمل الكبير سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في مدة لم تتجاوز ثلاثين شهراً - هي كل المدة التي حكم فيها الدولة الإسلامية الواسعة - من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب وفي عهده لم يجد فقيراً لإعطائه المال ، فاضطر إلى شراء العبيد وتحريرهم ، وشرع الإسلام التفريغ عن الناس في كل أحوالهم ، قال صلى الله عليه وسلم : (من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربة يوم القيامة)^(٣) . وقال صلى الله عليه وسلم : (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)^(٤) ، وحث القرآن الكريم على كفالة اليتيم ، قال تعالى : (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) الضحى آية ٩ ، وقال صلى الله عليه وسلم : (أنا وكافل اليتيم في الجنة)^(٥) ، وأوصى بالجار ، فقال صلى الله عليه وسلم : (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)^(٦) ، وحث على خلق التعاون الاجتماعي بين المجتمعات ، قال صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من بات شبعاناً وجاره جائعاً)^(٧) .

(١) حسن أيوب ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ، ط١ ، دار التوزيع والنشر ، مصر ، ١٩٩٦م ، ص٢٥٤ .

(٢) أنور الرفاعي ، النظم الإسلامية ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٢م ، ص ١٩٨ .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلم برقم : ٢٣١٠ .

(٤) أخرجه مسلم كتاب العلم باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، برقم : ٢٦٩٩ .

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب الطلاق ، باب اللعان ، برقم ٤٩٨٨ .

(٦) أخرجه البخاري ، كتاب الأدب ، باب الوصاة بالجار ، رقم ٥٦٦٩ .

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرک ، برقم : ٢١١٦٦ ، ج ٢ ، ص ١٥ ، والطبراني الكبير ، برقم ٧٥١ ، ج ١ ، ص ٢٥٩ ، وقال الحاكم : صحيح .

ولا فرق في تعاطف القرآن بين المسلم وغير المسلم ، قال ابن عباس لغلامه وهو يذبح شاة : يا غلام لا تنس جارنا اليهودي ثلاث مرات ، فقال الرجل لم تقول ذلك يا ابن عباس ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " (١) ، ورأى عمر شيخاً من أهل الكتاب يتسول ، فقرر له نفقة من بيت المال وقال : ما أنصفناك إذ أخذنا منك الجزية وأنت شاب وتركنك تتسول وأنت شيخ ، وكتب خالد بن الوليد في معاهدة الصلح مع أهل الحيرة النصارى : وجعلت لهم أي شيخ ضعف عن العمل ، وأصابته آفة من الآفات ، أو كان غنياً فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله ما داموا بدار الإسلام. (٢) في ضوء ما سبق بيانه حول التسامح الاجتماعي أقول :

إن القرآن الكريم ومن خلال الناحية الاجتماعية تعامل مع أصناف كثيرة من التسامح في المجالات المختلفة ، في زيارات أهل الذمة ، وعبادة مرضاهم ، واتباع جنازتهم ومواساتهم ، واحترامهم وتوقيرهم ، مما كان له الأثر الطيب على سلوك أهل الذمة تجاه المسلمين ، وأيضاً فإن الإسلام جعل مظلة التكافل الاجتماعي لكل أحد من احترام وصرف معونة ، وصون جوار ، وحضور جنازة ، وطيب كلام وسلام ، وقدس القرآن الكريم الناحية الاجتماعية بجميع مضامينها الإنسانية ، وترجم هذا على سلوك المسلمين مما كان له كبير فائدة في حسن العلاقات الأسرية ، وصلة الأرحام وحسن الجوار ، والتعاون بأشكال المختلفة ، وقد وردت نماذج في القرآن الكريم تحت على التسامح الاجتماعي منها:

- ١- التسامح بين الأزواج : ورد هذا في قوله تعالى في أكثر من آية منها : (فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ) (٣) ، وقوله (وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُسَعِّفِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ) (٤) ، جاء في تفسير هذه الآية (فأمسك بمعروف أو تسريح بإحسان) : أي إمساك بعد الرجعة بمعروف أي بما هو معروف عند الناس من حسن العشرة ، ومتعوهن : أي أعطوهن شيئاً يكون متاعاً لهن (٥) في ضوء هذا النص أجد أن القرآن الكريم متسامحاً في العلاقات الزوجية ، وبذلك أرى أن هذا التسامح هو حبل الود والعشرة بين الزوجين ، ومن التسامح أيضاً أذن الإسلام بالزواج من الكتابية (وهم اليهود والنصارى) ، وقد وصل الإسلام إلى هذا التسامح حيث سمح للمسلم الزواج من الكتابية في جميع الأوقات بضوابط معينة ، وهذا يدل على رحمة الإسلام وتسامحه مع غيره من أصحاب الديانات المختلفة .
- ٢- التسامح مع اليتامى : جاء التسامح واضحاً في قوله تعالى (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) (٦) وقوله تعالى " أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) (٧) ، حيث أمر القرآن الكريم بالإحسان إلى اليتامى ، وجعل لهم مأوى ، وجاء النهي أيضاً عن قهر اليتيم ، وأمر القرآن بالإحسان والعطف على اليتيم ولو بكلمة طيبة جاء في الحديث (من مسح على رأس يتييم لم يمسه إلا الله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة) (٨) ، وجاء في تفسير هذه الآيات : ألم يجدك واحداً فأواك الله بأصحاب يحفظونك حيث كان رسول الله من أشد الناس عناية باليتامى محبة وعطفاً وتكرماً (٩)

(١) أخرجه البخاري ، برقم ٥٦٦٩ .

(٢) حضر ، الإسلام وحقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٢٩ .

(٤) سورة البقرة ، آية ٢٣٦ .

(٥) الشوكاني ، ت ١٢٥٠ هـ ، فتح القدير ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٨٢ .

(٦) سورة الضحى ، آية ٩ .

(٧) سورة الضحى ، آية ٦ .

(٨) أخرجه الإمام أحمد ، مسند الأنصار ، ج ٥ ، ص ٢٥٠ ، قال شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره .

(٩) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٦٤٦ .

٣- التسامح مع المتسولين : حث القرآن الكريم على التسامح مع المتسولين ، وجعل القرآن الكريم لهؤلاء الطبقة مظلة يعتمدون عليها باحترام وتوقير من خلال توفير سبل العيش ، والحياة الكريمة لهم ، وحرمة القرآن الكريم زجر السائل وأمر بإعطائه المال اللازم لحاجته ، قال تعالى : " وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ"^(١) جاء في تفسير هذه الآية : من سألك يا محمد من ذوي الحاجات فلا تنهره ، ولكن أطعمه واقضي له حاجت "^(٢) وجاء أيضا فلا تنهر السائل في العلم والرشد ، ولا تكن جباراً ولا متكبراً ولا فاحشاً ولا فضاً على الضعفاء من عباد الله ، ورد المساكين برحمة ولين"^(٣) ، في ضوء ما سبق أقول : إن القرآن الكريم أمر باحترام السائلين ، وعدم ردهم ، بل أرشد القرآن إلى توقيرهم وهدايتهم إلى سبيل الحق ، وعدم استعمال الشدة معهم ، وحض على التسامح من خلال الرحمة والشفقة عليهم

٤- التسامح مع الأجير : اهتم القرآن الكريم بالأجير والعامل ، وأمر أن نؤدي إليه أجره عند نهاية العمل ، قال تعالى مخبراً جاء في تفسير هذه الآية (وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) سورة الأحقاف : ١٩ : لا يظلمهم مثقال ذرة فما دونها ولا ينقص من محسن أجره ولا يزداد على مسيء^(٤) .

وقد حث الإسلام على العناية بالأجير وإعطائه أجره عند نهاية العمل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه)^(٥)

(١) سورة الضحى ، آية ١٠ .

(٢) الطبري ، جامع البيان ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٥١٧ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٥٠ .

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، ص ١٧٠ ، ولنظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ك ٤ ،

ص ٢٠٢

(٥) أخرجه البيهقي ، السنن الكبرى ، ج ٦ ، ص ١٢٠ ، برقم ١١٤٣٤ ، قال حسن أسد : إسناده ضعيف ، وأخرجه أبو يعلى في المسند ، ج ١٢ ، ص ٣٤ ، قال : إسناده ضعيف .

التسامح الاجتماعي في العهد الجديد :

- وردت نصوص كثيرة في العهد الجديد تدل على التسامح الاجتماعي بأشكاله المختلفة ، ومن هذه النصوص ما يلي :
- ١- جاء في إنجيل متى : " ولما مات هيرودس إذا ملاك من الرب قد ظهر في حلم ليويسف في مصر ، وقال له : قم ارجع بالصبي وأمه إلى أرض إسرائيل ، فقد مات الذين كانوا يسعون إلى قتله ، فقام ورجع بالصبي وأمه إلى أرض إسرائيل ^(١) ، أي أمر أن يرجع بالصبي إلى الناصرة ، وهذه المدينة جعلت يسوع يتطلع اجتماعياً من حياة إلى آفاق أبعد وأوسع ، وهكذا كانت أحوال يسوع تتفتح لترى عالم الله الفسيح ، حيث أمر بالمحافظة على هذا الصبي خوفاً عليه ، واحتراماً لأمه وأهله ^(٢) .
- ٢- جاء في إنجيل متى " فلما سمع التلاميذ الصوت وقعوا على وجوههم فاقترب منهم يسوع ، وقال الهضوا ولا ترتعبوا ^(٣) ، وهذا الخوف ناجماً عن هذه الظاهرة الخارقة للطبيعة ، والذي أخرجه منها قول يسوع لا تخافوا ^(٤) .
- ٣- جاء في إنجيل مرقس : " أكرم أباك وأمك ، ومن أهان أباه أو أمه فليكن الموت عقاباً له ^(٥) ، هاجم يسوع ذلك الشخص الذي أهان أمه وأباه وجعل له عقاباً شديداً لأن محبة هؤلاء قبل كل شيء ^(٦) .
- ٤- جاء في إنجيل يوحنا : " ولست أصلي من أجل هؤلاء فقط ، بل أيضاً من أجل الذين سوف يؤمنون بي بسبب كلمة هؤلاء ... أي أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ^(٧) ، جاء التسامح الاجتماعي في هذه النصوص ليبدل على احترام الأطفال كما في النص الأول ، والخوف عليهم من كل سوء ، حيث أمر عيسى عليه السلام أن لا يخافوا ليكون المجتمع آمناً مستقراً ، وأيضاً الوصايا بالآباء والأمهات ، والنهي عن أهانتهم واحتقارهم .

(١) إنجيل متى ، إصحاح ٢ ، فقرات ١٩-٢٢ .

(٢) وليام باركلي ، تفسير العهد الجديد ، ط ١ ، ج ١ ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٣ م ، ص ٢٦ .

(٣) إنجيل متى ، إصحاح ١٧ ، فقرة ٦-٧ .

(٤) افرانس ، إنجيل متى ، ط ١ ، دار نوبار ، القاهرة ، ١٩٩٠ م ، ص ٢٩٢ .

(٥) إنجيل مرقس ، إصحاح ٧ ، فقرة ١٠ .

(٦) وليام باركلي ، تفسير العهد الجديد ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٥٦٢ .

(٧) إنجيل يوحنا ، إصحاح ١٧ ، فقرة ٢٢ .

٥- جاء في الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس: " فإنه يجسن بالرجل أن لا يمس امرأة ولكن تجنباً للزنا ليكن لكل رجل زوجته ، ولكل امرأة زوجها ، وليوفي الزوج زوجته حقها الواجب ، وكذلك الزوجة حق زوجها" (١) ، حيث ذكرهم بولس بخلق اجتماعي وهم يعيشون ويتخبطون ، وذكركم بتكوينهم الجسدي ، وبالغرائز الطبيعية الكاملة فيهم ، وهكذا أوضح لهم أن الزواج هو أفضل بكثير من السقوط في الخطيئة وكان ينصحهم بالزواج لتجنب المصير الأسود حيث كان بولس يواجه الحقائق بأمانة صريحة ، فلا ينبغي للإنسان أن يختط لنفسه أسلوباً أو منهجاً في الحياة ، لا يتناسب طبيعته ولا ينبغي أن يشرع في طريق الغوايات والسقوط في الرذائل الاجتماعية (٢).

٦- جاء في لوقا: " لا تزني ، لا تسرق ، لا تقتل ، لا تشهد الزور ، " (٣) ، يستفاد من هذا النص أن المسيح يأمر بالصلاح الجماعي ؛ لأنه درة في تاج الله وحده ، وهذه الوصايا تنم عن تلك الحقيقة الخالدة ، وهي أن الناموس وحده لا يكفي ، لأنه يمنح الإنسان ، بالضمير ، وسلامة القلب والرجاء بنوال الحياة الاجتماعية (٤) .

٧- جاء في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس: " لا توبخ شيخاً توبيخاً قاسياً بل عظه كأنه أب لك ، وعامل الناس كأنهم أخوة لك ، والعجائز كأنهن أمهات ، والشابات كأنهن أخوات ، بكل طهارة أكرم الأرامل اللواتي لا معين لهن " (٥) ، أوصى المسيح بهذه الأخلاق الاجتماعية العملية ، وجعل هذا خلقاً اجتماعياً يجب التقيد به لسلامة الروابط الاجتماعية ، حيث نهى عن التوبيخ ، وأمر باللين ، والعظة وأمر باحترام كافة الطبقات من الأخوة والأخوات وغيرهما (٦) .

(١) الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس ، إصحاح ٧ ، فقرة ٢-٣ .

(٢) ولیم باركلي ، تفسير العهد الجديد ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣١٧ .

(٣) إنجيل لوقا ، إصحاح ١٨ ، فقرة ٢٠ .

(٤) إبراهيم سعيد ، شرح بشارة لوقا ، ط ٤ ، دار الثقافة المسيحية ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص ٤٤٥ .

(٥) الرسالة الأولى إلى مؤمني تيموثاوس ، إصحاح ٥ ، فقرة ١ .

(٦) ولیم باركلي ، تفسير العهد الجديد ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٥ .

يقول صاحب كتاب إخواني جميع البشر : إن الوصايا التي تكلم عنها العهد الجديد " لا تزن .. لا تسرق " تعتبر من الأمور العظيمة في المجتمع ، ولا بديل عن هذه الوصايا ، لأنها تولد الصداقة والمحبة ، ولا يتصور إنسان من دون هذه الأخلاق الاجتماعية ، حتى يكون كاملاً ، وعلى أي حال ، فالعهد الجديد يأمر كذلك بتوقير الأخوة واحترام الكبار ، حتى يكون الإنسان اجتماعياً ، وهو نوع تسامح حيث يأمر الفرد بالتعاون في المجالات الاجتماعية^(١) .

في ضوء ما سبق بيانه من التسامح الاجتماعي في العهد الجديد أقول :
إن ما كتب في العهد الجديد حول التسامح الاجتماعي ، من خلال النصوص الواردة لدلالة على تلك الحقيقية التي أمر بها سيدنا عيسى عليه السلام وكافة الأنبياء قبله من المحافظة على هذا الخلق الاجتماعي الكبير، الذي أرسى دعائم الأخلاق ، وكان التسامح ظاهراً من خلال أوامر الله للأنبياء، وقد وردت في العهد الجديد نصوص تحت على هذه الأخلاق ، ومع ذلك، فكم كنت أتمنى على أولئك النفر الذين ينسبون أنفسهم إلى السيد المسيح عليه السلام ، أن يلتزموا بأخلاق هذا النبي كما وردت عنده في كتابهم ، ومع أننا كمسلمين لا نسلم بكل ما ورد في العهد الجديد ولكن نظرنا إلى الكتاب الموجود عندهم والمتداول ، حيث ينص على الأخلاق الاجتماعية من احترام الآباء والأمهات ، ومن تقديس الروابط الاجتماعية ، مما كان له كبير الأثر على السلوك الاجتماعي .

وقد وردت نماذج من التسامح الاجتماعي في العهد الجديد أهمها:

١- **التسامح بين الأزواج :** جاء في رسالة بطرس : " أيها الزوجات اخضعن لأزواجكن حتى وإن كان الزوج غير مؤمن تجذبه زوجته إلى الإيمان بتصرفها اللائق ... أيها الأزواج أكرموا زوجاتكم باعتبارهن شريكات لكم في وراثة نعمة الحياة"^(٢) .

جاء في تفسير هذا النص والمعنى ليكرم الرجل زوجته و يحترمها ويتحمل ضعفها ويراعيها المراعاة اللائقة بها ، وكذلك النساء أن يكرمن الأزواج لتكون البركة لجميع الناس كما تكون البركة لنفس الأزواج^(٣) .

٢- **التسامح مع اليتامى :** جاء في رسالة يعقوب : "فالديانة الطاهرة النقية في نظر الله تظهر في زيارة الأيتام ، والأرامل لإعانتهم في ضيقهم ، وفي صيانة النفس من التلوث "^(٤) .

جاء في تفسير هذا النص: لا بد من افتقاد اليتامى والأرامل وحفظ الإنسان بلا دنس ، وافتقاد الأيتام من ناحية العناية والإعانة^(٥) .

٣- **التسامح مع المتسولين :** جاء في رسالة يعقوب : " لنفرض أن أحملاً أو أحملاً كان بحاجة جديدة إلى الثياب والطعام اليومي وقال لهما أحدكم : أتمنى لكم كل خير البساً ثياباً دافئة ، وكلا طعاماً جيداً دون أن يقدم لهما ما يحتاجان إليه من ثياب وطعام فأبي نفع في ذلك "^(٦) ، جاء في تفسيرها هكذا الإيمان إن لم تكن له أعمال ميت في ذاته ، لذلك لا بد من مساعدة الأخوة وإعطائهم اللباس والقوت اليومي ، حتى يشبعوا^(٧) .

(١) رينه قوايوم ، إخواني جميع البشر ، ط ٢ ، المكتبة الشرقية ، لبنان ، ١٩٩٦ م ، ص ١٤٣ .

(٢) رسالة بطرس الأولى ، إصحاح ٣ ، فقرة ١-٧ .

(٣) جمعية الكتاب المقدس ، تفسير العهد الجديد ، مرجع سابق ، ص ٦٠٣ .

(٤) رسالة يعقوب ، إصحاح ١ ، فقرة ٢٧ .

(٥) جمعية الكتاب المقدس ، تفسير العهد الجديد ، مرجع سابق ، ص ٥٨٩ .

(٦) رسالة يعقوب ، إصحاح ٢ ، فقرة ١٦ .

(٧) جمعية الكتاب المقدس ، تفسير العهد الجديد ، مرجع سابق ، ص ٥٩٠ .

- ٤- **التسامح مع الأجير** : جاء في رسالة يعقوب : " وهذه أجرة العمال الذين حصدوا حقولكم " (١) ، أمر العهد الجديد باحترام العامل وإعطائه أجره بعد نهاية العمل وعدم اخذ مال الأجير بغير حق (٢)
- ٥- **التسامح مع الفقراء** : جاء في رسالة يعقوب " لا تعاملوا الناس بالانحياز والتميز إذا رحبتم بالغني وتركتهم الفقير يؤكد ذلك أنكم تميزون بين الناس بحسب طبقاتهم ، عاملو الفقراء كالأغنياء ، ما أحسن عملكم حين تطبقون تلك القاعدة الملوكية تحب قريبك كما تحب نفسك) وورد أيضاً : " بع كل مالك ووزع على الفقراء فيكون لك كنز في السماوات " (٣) . جاء في تفسير هذا النص تحت عنوان : توبيخ الأغنياء الظالمين : لا تتركوا أيها الأنبياء احترام الفقراء ، وانذر بالويل العظيم على الذين يظلمون الفقراء (٤) .
- في ضوء ما سبق بيانه أقول : إن هذا التسامح الوارد في العهد الجديد لا ضوابط له ، حيث أمر ببيع كل المال وإعطائه للفقراء ، وهذا شطط وحمور ومبالغة ، لأن مساعدة الفقير وتسامحه منضبط بالإسلام بضوابط معينة ، وقوانين تتلاءم مع العقل والفطرة ، فكيف يعطى كل المال في شريعة النصارى ، هذا لا يعقل أبداً ؛ لذلك لا بد من دراسة العهد الجديد من قبل النصارى ، وتغيير كل ما لا يتلاءم مع العقل والفطرة حتى يخرج العهد الجديد بثوب آخر غير الذي هو فيه .

(١) رسالة يعقوب ، إصحاح ٥ ، فقرة ٤

(٢) جمعية الكتاب المقدس ، تفسير العهد الجديد ، مرجع سابق ، ص ٥٩٢ .

(٣) رسالة يعقوب ، إصحاح ٢ ، فقرة ٢ ، وانظر لوقا ، إصحاح ١٨ ، فقرة ٢٢ ، وإصحاح ١٩ ، فقرة ٨-٩ .

(٤) جمعية الكتاب المقدس ، تفسير العهد الجديد ، مرجع سابق ، ص ٥٩١ .

المطلب الثالث : التسامح السياسي .

يقصد بالتسامح السياسي : ويراد به أن يكون لكل إنسان ذي أهلية الحق في الاشتراك في توجيه سياسة الدولة في الداخل والخارج ، وفي إدارتها ، ومراقبة السلطة التنفيذية ، وجاء التسامح هنا بمرص من القرآن الكريم على هذه الحرية ، حيث يرسم دعائم الحكم على أساس من الشورى ، والحرية السياسية ، فيأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله : " وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأُنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ " آل عمران ، ١٥٩^(١) .

والتسامح السياسي هنا أن تكون الأمة نفسها مصدر السلطات ، وأن يكون للأفراد الحق في اختيار الحاكم ، والحق في مراقبته ومحاسبته على أعماله ، ومن التسامح في الحكم أن يكون تعيين الخليفة بمبايعة أهل الحل والعقد ؛ لأن الإمام وكيل الأمة ، والأفراد هم الذين يبايعون السلطة ، فمصدر قوة الخليفة هو الأمة ، وهو إنما يستمد سلطانه من الأمة ، والمسلمون هم أول أمة قالت بأن الأمة هي مصدر السلطات ، والخلافة تنعقد بمبايعة أغلبية أهل الحل والعقد^(٢) .

ويقرر القرآن الكريم أن تكون إرادة الشعب مصدر سلطة الحكومة ، والسلطة المشرعة في القرآن الكريم هي سلطة الله تعالى ، قال تعالى : " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " النساء ٦٥ ، وقوله تعالى : " وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، ... وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ " المائدة ٤٨ - ٤٩ ،^(٣) .

(١) البدي ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .

(٢) محمد نجيت ، حقوق الإسلام وأصول الحكم ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ص ٥١ .

(٣) أبو ليل ، تاريخ حقوق الإنسان في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٨٢ .

وجاء التسامح في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث شاور أصحابه - وهو المؤيد بالوحي - تطبيقاً لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلون ، كما شاورهم يوم بدر للذهاب إلى العير ، وشاورهم في المنزل يوم بدر ، وشاورهم يوم أحد في القتال داخل المدينة أو خارجها ، وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلاث ثمار المدينة ، فأبا السعدان (سعد بن عباد ، وسعد بن معاذ) وشاورهم في الحديبية في أن يميل إلى ذراري المشركين ، وأنا لم نجيء لقتال أحد ، وإنما جئنا معتمرين ، وشاور أصحابه في قصة الإفك ، حيث شاور علياً وأسامة وغيرهما في شأن عائشة ^(١) .

في ضوء ما سبق يتبين لنا : أن القرآن الكريم فرض الشورى في الحكم وعلى الخليفة أن يستشير المرؤوس في مهمات الأمور ، قال تعالى مخاطباً نبيه المعصوم : (**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**) ^(٢) ، وقوله تعالى : (**وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ**) ^(٣) .

ومن التسامح السياسي السماح للإنسان في إبداء رأيه في الوظائف الإدارية في الدولة إذا كان كفوفاً لها ، وحقه في إبداء رأيه في سير الأمور العامة وهي تقضي أن الحكم وسيلة لخدمة المجتمع لا وسيلة للسيطرة عليها ^(٤) .

(١) أبو ليل ، تاريخ حقوق الإنسان في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٨٢ .

(٢) سورة آل عمران ، آية رقم ١٥٩ .

(٣) سورة الشورى ، آية ٣٨ .

(٤) خضر ، الإسلام وحقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .

ومن التسامح السياسي : تسامح الرسول صلى الله عليه وسلم مع الأعراب ، ومنها : يأتي أحد الأعراب ويقول : يا محمد أعطني من مال الله الذي عندك ، فالتفت رسول الله إليه ، فتبسّم وقال : مروا له ... ثم قال : إنا لنعطي من أجل تأليف القلوب ^(١)، ومنها ما حصل مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، حيث قال رجل من حفاة الأعراب والله إن هذه القسمة ما عدل فيها ، والله ما أريد بها وجه الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحك فمن يعدل إذ لم يعدل محمد ، ثم قال : رحم الله موسى لقد أودى بأكثر من ذلك فصبر ^(٢) .

من خلال ما سبق من الأحاديث يتبين أن سياسة الرسول وتسامحه مع الأعراب وصلت مراحلها من التحمل لذلك الأعرابي الذي وصلت به الجرأة على النبي صلى الله عليه وسلم أن يخاطبه بلسان قاس جاف لا خير فيه ! ومرة تصل الجرأة بالأعرابي أن يمسك بثوب النبي ويتهمه بعدم العدل ، ويخلف ، أن هذه القسمة لم يرد بها وجه الله ! ومع ذلك كله يصفح عنه ويسامحه ويأمر له بعطاء ، من أجل تأليف قلبه وتأليف قلب أهله وعشيرته ، وبلغ التسامح ذروته يوم حنين يوم أن خاطب الأعرابي الرسول عليه السلام بقولٍ فضٍ غليظٍ ، ويتحمل الرسول كل هذا بصبر من أجل نشر هذا الدين وإبلاغه للناس ومن أجل تأليف القلوب وهذا ما حصل .

إنما سياسة من الحبيب صلى الله عليه وسلم تجاه الأعرابي ، وتجاه الناس كلهم ، ولا ننسى تسامحه عليه السلام مع أهل مكة في يوم الفتح العظيم بقوله: اذهبوا فأنتم الطلقاء ^(٣) .

هذه السياسة الحكيمة هي التي سار عليها الرسول منهجاً وسلوكاً حتى أنتجت أمة قوية سادت الدنيا بأسرها . وقد وردت نماذج في القرآن الكريم تحت على التسامح السياسي ومنها :

١- التسامح في الحرب : أمر الله تعالى بقتال الأعداء كافة عند مقاتلتهم المؤمنين ، وطلب الله من المؤمنين التقوى عند القتال ، كيف لا والقرآن الكريم يأمر بالتقوى في الوقت الحاسم ، وهذا يدل على تسامح القرآن الكريم وبلوغه المرتبة العليا في التسامح ، قال تعالى: " وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ " ^(٤)، وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ " ^(٥)، جاء في تفسير هذه الآية : وأيقنوا عند قتالكم إياهم أن الله معكم وهو ناصركم عليهم ، والله مع المتقين ، ومن كان الله معه لم يظلمه شيء لأن الله مع من اتقاه فخافه وأطاعه ^(٦)، فالله يأمر بالتقوى في أحلك الظروف وهو قتال الأعداء وهذا جانب فيه الدلالة على التسامح في حالة القتال مع الأعداء ، وهذا فيه رحمة للكافرين .

٢- التسامح مع الأسرى : حث القرآن الكريم على التسامح مع الأسرى في الإطعام وغيره، قال تعالى: " وَطُغْمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا " ^(٧) اهتم القرآن الكريم بالأسرى من حيث إكرامهم وإطعامهم ، وقد قام الصحابة بالعناية بالأسرى بإطعامهم الطعام مع حبهم له ، وشهوتهم له، وأثنى الله على هؤلاء بإطعامهم الأسرى تقرباً إلى الله وطلباً لرضاه ، جاء في تفسير هذه الآية : أمر الله بإكرام الأسرى وكان الصحابة رضي الله عنهم يقدمونهم رجاء ثواب الله ^(٨)، وجاء أيضاً إن الله أمر بالإحسان إلى الأسرى الذين كانوا في أيدي المؤمنين ، من خلال الغزوات التي شارك فيها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والمثال على ذلك ما حصل من العناية بالأسرى في يوم بدر ... وهذا التسامح بلغ غايته في الإسلام .

(١) أخرجه أحمد ، مسند أنس بن مالك ، برقم ١٢٥٧٠ ، ج٣ ، ص١٥٣ قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الخمس ، باب ما كان النبي يعطي المولفة قلوبهم ، برقم ٢٩٨١ ج٣ ، ص١١٤٨ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ج٤ ص ٣٠١ ، وذكره البيهقي ج٩ ، ص١١٨ ، برقم ١٨٠٥٥ .

(٤) سورة التوبة ، آية ٣٦ .

(٥) سورة التوبة ، آية ١٢٣ .

(٦) الطبري ، جامع البيان ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص٣٦٤ .

(٧) سورة الإنسان ، آية ٨ .

(٨) ابن كثير ، ت٧٧٤هـ ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٣٤٨ .

التسامح السياسي في العهد الجديد .

كلمة التسامح السياسي في العهد الجديد معناها: إدارة المدنية، ورغم اختلاف مفهوم السياسة لدى الكثيرين من المفكرين ، فإن هذا المصطلح استخدم ليعني الأسلوب الذي يضم به مجتمع ما ، ويعني الإطار الذي يعيش به الناس داخل المجتمع لصالح الجموع ، وهذا الجانب يهتم بالعلاقات الإنسانية في المجتمع ، ويرتبط بالدساتير والقوانين التي تحكم الجماعة ، ويتضمن الاهتمام بالجموع والأفراد في مجالاته العديدة، كالصحة والتعليم والإسكان، ويتضمن إطار العمل الداخلي في أجهزته التشريعية والتنفيذية والقضائية، فالسلطات الثلاث تدبر شؤون المواطن وتحفظ الأمن وتحكم بينهم^(١).

إن بعض العبارات الواردة في العهد الجديد تثير حواراً ضخماً مما جاء في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية عندما تحدث عن الخضوع للسلطين جاء في الرسالة "على كل نفس أن تخضع للسلطات الحاكمة ، فلا سلطة إلا من عند الله ، والسلطات قائمة ومرتبطة من قبل الله ، حتى إن من يقاوم السلطة يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيحبسون العقاب على أنفسهم ، فإن الحكام لا يخافون من يفعل الصلاح ، بل من يفعل الشر"^(٢).

يقول صاحب كتاب (الكنيسة والدولة) تعليقاً على هذا النص: "وقد أثار حديث بولس هذا تساؤلات عديدة عن أناس في السلطة يسيئون التصرف أو يعادون الله، أو يستخدمون مقاعدهم لمصالحهم الشخصية ، دون صالح الجموع ، واتسعت هذه الدراسة لتحتوي علاقة الله بالمؤمنين وغير المؤمنين من البشر ، أو علاقته بالكنيسة مقابل علاقته بالخلقية من خلال هذا طرح أسئلة لمن تكون الطاعة أولاً ؟ لله أو الوطن ، وما هو مجال المشاركة السياسية دون إلحاق الضرر بالعمل الروحي ، وما هو دور المشاركة السياسية مع الاحتفاظ بالتزاهة والأمانة والحق والعدالة ، كقيم مسيحية"^(٣).

(١) كليفورد ، السياسة والرؤية المسيحية ، ط ١ ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٨٠، ص٢.

(٢) الرسالة إلى مؤمني روما ، إصحاح ١٣ ، فقرة ١-٧ .

(٣) صموئيل حبيب ، الكنيسة والدولة ، ط ١ ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص٤ .

يقول صاحب كتاب (الكنيسة والدولة) معلقاً على ما سبق : " جاء التسامح هنا ليشرح الفكر المسيحي في مواجهة القضايا السياسية المطروحة ، وهي محاولة ترسم الطريق لمن يريد أن يدرس أو يبحث في هذا المجال... ، ويقول : إن العهد الجديد بخلاف العهد القديم ، لم يعالج القضايا السياسية بشكل مباشر وذلك بسبب بطش الرومان ومحاربتهم للمسيحية ، وهذا هو السبب وراء عدم طرح قضايا سياسية مباشرة في العهد الجديد ، ومع هذا كله اشتمل العهد الجديد على تسامح كبير في السياسة من حيث النظم والقضايا" ^(١) ، ويرى بعض المؤرخين أن بعض تلاميذ المسيح كانوا مسلحين ، فعندما قُبِلَ يهوذا السيد المسيح قال التلاميذ للسيد المسيح : " أتضرب بالسيف ... " وفعالاً ضرب بطرس عبد رئيس الكهنة بالسيف فقطع أذنه ^(٢) ، ومع ذلك لم يقبل المسيح استخدام السيف و لا القتال ، وحاول رد إذن عبد رئيس الكهنة إلى مكانها ، وفي هذا قال المسيح : " إنه كان يقدر أن يطلب جيشاً من الملائكة للدفاع عنه ، لكنه لم يقبل ذلك " ^(٣) .

ومن التسامح السياسي أن كنيسة يسوع مدعوة للعبادة لتكون العلاقة بين الشعب والله علاقة قوية مثمرة ، ويقصد هنا أن علاقة الله بالشعب علاقة جماعية في الكنيسة التي هي الصورة المنظورة للملكوت الله على الأرض ، ولا بد للكنيسة أن تمارس الفرائض وتدرس الكلمة المقدسة ، كما أن الكنائس مدعوة للعمل معاً للمشاركة معاً لتحقيق العدالة حيث تأخذ الكنيسة دورها ، والكنيسة تصلي لأجل الوطن كما تصلي لأجل الدولة والحكام ومن هم في منصب مسئول ، حيث وردت عبارات الصلاة والخضوع لأجل الحكام في أكثر من مكان في العهد الجديد ^(٤) .

(١) حبيب ، الكنيسة والدولة ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

(٢) إنجيل متى ، إصحاح ٢٦ ، فقرة ٥١ .

(٣) إنجيل متى ، إصحاح ٢٦ ، فقرات ٥٢ ، ٧٢ .

(٤) حبيب ، الكنيسة والدولة ، مرجع سابق ، ص ٦٨ .

جاء في رسالة روما " لتخضع كل نفس للسلطين ؛ لأنه ليس سلطان إلا من الله ، والسلطين الكائنة هي مرتبة من الله " (١) ، وجاء في رسالة بولس : " فاطلب أول كل شيء أن تقام طلبات وصلوات وابتهاالات وتشكرات لأجل جميع الناس ، ولأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب لكي تقضي حياة هادئة مطمئنة في كل تقوى ووقار ، لأن هذا حسن ومقبول لأجل المسيح " (٢) ، ومن هذه النصوص نلاحظ أنه رغم أن الكنيسة كانت مضطهدة إلا أن الرسول طلب الصلاة لأجل المسئولين في الحكم ، هذه هي الأخلاق المسيحية ، يساء إلى المسيحيين فيصلون لمن يسيء إليهم ، يرجون لهم الخير ، إلا إن الرسول بطرس يوضح هذا كله حيث افترض الرسول بولس أن الحكام يعملون الصلاح فإن عملوا الشر وطلبوا من المؤمنين ما هو خطأ فإن أمانة المؤمنين الأولى هي لله ، فالكنيسة داعية سلام فلا تحمل السيف ، إنما داعية حب لأن الله محبة ونور العالم ، فلا يجوز لها أن تكون سلبية أو تنتحى عن دورها المسئول (٣) ، ومن النصوص الواردة ما جاء في أعمال الرسل " يا بني إسرائيل اسمعوا هذا الكلام إن يسوع الناصري رجل أيده الله بالمعجزات وعجائب وعلامات أجراها على يديه ، ومع ذلك فقد سمح الله وفق المشيئة المحتومة وعلمه السابق أن تقبضوا عليه ، وتصلبوه وتقتلوه بأيديكم الآثمة " (٤) ، قال صاحب كتاب (أعمال الرسل) شارحاً هذا النص : " فإنهم لا بد أن يقرروا بأن يسوع هو رجل الله ، فإنهم اتخذوا الخطوات اللازمة لقتله بأيدي الآثمة وهي أيدي الرومان الذين نفذوا حكم الموت بيسوع ، ومع ذلك تسامح يسوع معهم ولم يعاقبهم ، وعفا عن الأتباع ، وسامحهم رحمة برعاياهم " (٥) .

(١) الرسالة إلى أهل رومه ، إصحاح ١٣ ، فقرة ١ - ٤ .

(٢) الرسالة إلى مؤمني تيموثاوس ، إصحاح ٢ ، فقرة ١ - ٣ .

(٣) حبيب ، الكنيسة والدولة ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .

(٤) أعمال الرسل ، إصحاح ٢ ، فقرة ٢٣ - ٢٤ .

(٥) اهوراد مارشال ، أعمال الرسل ، ط ١ ، دار نوبار ، القاهرة ، ١٩٩٢ م ، ص ٧٤ .

لا نسلم بما تكلم به العهد الجديد حول قتل عيسى ، أو صلبه ، وهذا من الهراء الذي ابتليت به النصارى حتى نسوا عقولهم وراء ظهورهم ، فوصل بهم إلى هذه الهاوية ، قال تعالى : " وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبههم " سورة النساء آية ١٥٧ .

ومن النصوص الواردة: أيضاً " وكان أهل المدينة يبغضونه ، فأرسلوا وراءه سفارة قائلين لا نريد أن هذا يملك علينا ، ولما رجع بعدما أخذوا الملك قال: أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي" و "أعطوا ما للقيصر للقيصر وما لله لله " (١) .

يقول صاحب كتاب (أخلاق الإنجيل) تعليقاً وشرحاً : هذه الأقوال الشهيرة مهما قيل في شأنها تنطوي على برنامج سياسي كامل ، ذلك أن ما لقيصر ليس بالبداية لدينا بل إن ما لدينا ليس لقيصر إلا من حيث أن قيصر سكه على صورته ، إنه ليس ملكه بالمعنى المألوف للكلمة ، وإنما هو رمز سيادته ، وعلى هذا فإن تصريح يسوع يدل بجلاء أن للحكام حقاً وسيادة ، وإن من الواجب احترام هذه الحقوق ، وإن قيصر في نظر يسوع ذاته يحتل سلطة فرضت نفسها بالقوة وحدها على أبناء إسرائيل ولكنها بهذا الاعتبار سلطه قائمة ومن الواجب إطاعة هذه السلطة القائمة ، وينبغي إطاعة الملوك في شؤون هذا العالم، ونخلص من هذا أن السلطة السياسية سلطة شرعية، ويسوع يصف بلاط الملوك الذين يلبسون الثياب الناعمة في بيت الملوك بأنه ترف وميوعة " (٢) (٣) .

في ضوء ما سبق أقول : إن التسامح السياسي موجود في العهد الجديد من خلال النصوص الواردة وهو دليل على اشتغال هذا العهد على الأمور السياسية وهذا يؤدي بدوره على فهم هذه النصوص الواردة حتى تتلاءم والتسامح السياسي ، ومع ذلك فإن العهد الجديد احتوى على التسامح السياسي بأشكاله المختلفة ، وكم كنت أتمنى من خلال مطالعاتي على كتب النصارى أن يستمسكوا بخلق التسامح السياسي ، مع أنفسهم ، ومع حكامهم ! .

(١) إنجيل لوقا ، إصحاح ١٩ ، فقرة ١٢ ، وإصحاح ٢٠ ، فقرة ٢٥ .

(٢) إنجيل متى ، إصحاح ١١ ، فقرة ٨ ، إنجيل لوقا ، إصحاح ٧ ، فقرة ٢٥

(٣) ألبير باية ، أخلاق الإنجيل ، ط ١ ، ترجمة عادل لعواء، دار كنعان، دمشق ، ١٩٩٧ م ، ص ١٠٠

المطلب الرابع : التسامح الثقافي .

التسامح الثقافي يعني : التسامح في مجموعة الأفكار والقيم والمعتقدات والتقاليد والعادات والأخلاق والنظم ، والمهارات ، وطرق التفكير وأسلوب الحياة ، وكل ما صنعه الإنسان وأنتجه عقله، أو هو مجموعة الأدوات الفكرية والمادية التي يستطيع الشعب إشباع حاجات حياته^(١) .

لما كان دين الإسلام قد بني على العلم والمعرفة ، مصداقاً لقوله تعالى : " وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " البقرة آية ٣١ ، وقوله " اقرأ باسم ربك الذي خلق " ^(٢)؛ فقد كان لا بد أن يمتد هذا التسامح إلى نواحي الفكر والمعرفة والعلوم والفنون والآداب؛ والسبب في ذلك ما أحدثه الإسلام من امتزاج عظيم بينه وبين غيره، لما رأوا في عقيدته البساطة والبسر ، وفي شريعته من إحاء ومساواة ، مع محور جميع الفروق الطبقي والاجتماعية بين الأفراد في الأمة الواحدة ، وهذا الامتزاج حصل بفضل التسامح الإسلامي ، وقد بث القرآن الكريم في نفوس أتباعه من شغفٍ بالعلم والمعرفة ، حيث أخذ المسلمون على عاتقهم من نجاحهم في فتح البلدان ، في التعرف على هذه الثقافات ، والأخذ بما ثم التفاعل معهم والمزج بينها وبين الثقافة والدين ، وقد بدأت هذه الخطوة بتشجيع المسلمين للترجمة من كل اللغات المعترف بها آن ذاك ، ولم تتوقف هذه الترجمة عند فرع بعينه من فروع المعرفة ، بل شملت كل أنواع المعارف ، ثم بدأت خطوة أخرى تمثلت في العكوف على دراسة هذه العلوم ، ثم الأخذ بأعظم ما فيها في مجالات الطب والعلوم والرياضيات ، وقد نبغ علماء عرب كثيرون ونالوا شهرة عالية^(٣) .

(١) ناصر ، المواطنة ، ص ٥٧ .

(٢) العلق ، آية ١

(٣) شوقي ضيف ، علمية الإسلام ، ط ١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٦ م ، ص ٣٠ ، بتصرف يسير .

ويرى المؤرخون أن أكثر سنوات ذلك التسامح في الثقافة بين المسلمين وغيرهم من أهل الذمة قد بدأ بوضوح في عهد هارون الرشيد ووزرائه من البرامكة ، إذ أنشأ لترجمة العلوم الأجنبية مؤسسة اسمها دار الحكمة ، وتعاون معه كبار السريان المنتصرين الذين كانوا يجسنون اللغة العربية ، واختار لرئاستها نصراني يدعى يوحنا بن مأسوية ، وكان طبيباً ، استطاع عن طريق الاستعانة بغيره من النصارى من العلماء والأطباء، نقل آلاف الكتب العلمية إلى اللغة العربية، وفي عهد المأمون حوّل دار الحكمة لأهل بغداد إلى ما يشبه معهداً علمياً كبيراً ، وألحق به مرصداً فلكياً مشهوراً ، كما اخذ في إرسال البعثات العلمية إلى نواحي وبلاد كثيرة، وكان من بين أعضائها فريق كبير من أهل الذمة^(١)

وهناك مئات الأسماء من أبناء النصارى الذين لمعوا في ميادين العلم والطب بالتعاون مع العرب المسلمين ، كما كان له أكبر الأثر في ظهور علماء مسلمين نابغين في مختلف هذه العلوم ، مثل ابن سينا ، والفارابي ، وجابر بن حيان وآخرين من علماء المسلمين الذين وضعوا أسساً كثيرة من العلوم ، ثم امتد هذا إلى علوم الكلام ، مثل الفلسفة ، وعلوم اللغة التي قامت في الأساس على المناظرات والمحاورات والمجادلات التي كانت تصور فعلاً تسامحاً وتعايشاً فكرياً إلى أبعد الحدود^(٢).

(١) شوقي ضيف ، عالمية الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

(٢) محلاوي ، ملامح التسامح والعنف والإرهاب ، مرجع سابق ، ص ٧٩ ، وينظر كتاب عالمية الإسلام لشوقي ضيف ، ص ٤٠ .

ومن هذا التسامح دعوة القرآن الكريم إلى تعلم كل ثقافة فيها خير وصلاح للمجتمع ، ذلك أنه يتخذ من العلم وسيلة للكشف عن أسرار الكون ونواميسه ومجاهله ، ولا أدل على ذلك من إشارة القرآن الكريم إلى تحصيل علم النبات والحيوان وطبقات الأرض ، ثم يعقب على هذه الإشارة بأن العلماء هم الذين يخشون الله ، قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ، وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) ^(١) ، ومن التسامح الثقافي تعلم كل مهنة ، حيث عرض القرآن الكريم روائع الفن والصناعة الدقيقة ، فداود وعليه السلام كان صانعاً لأدوات الدفاع، قال تعالى: "وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ" ^(٢)، وسليمان عليه السلام كان يصهر المعادن، قال تعالى: "وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ" ^(٣) سبأ ١٢ ، والجن حوله يعملون بمشيئته ويأذن ربه في صناعة المحاريب والقدور ، قال تعالى: "يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَكَمَائِيلَ وَجِفَانَ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ" ^(٤) ، والقرآن الكريم مليء بهذه المظاهر الحضارية التي تدعو إلى الإبداع والإتقان في مختلف الحرف والفنون ^(٤).

(١) فاطر آية ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) سبأ ١٠ ، ١١ .

(٣) سبأ ١٣ .

(٤) حضر ، الإسلام وحقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .

في ضوء ما سبق الإشارة إليه من التسامح الثقافي أقول : إن التسامح الثقافي جاء لينير الحياة الفكرية من خلال الثقافات المختلفة ، هذه الثقافة التي شملت ميادين العلم ، وبدأت في الإسلام إبان حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، عندما بعث بعض الصحابة ، ومنهم زيد رضي الله عنه إلى جرش ليتعلم صناعة السيوف ، وفي حثه صلى الله عليه وسلم على تعلم لغات أخرى ليأمن الإنسان على حياته الفكرية والعلمية ، حيث ورد في الأثر من تعلم لغة قوم أمن شرهم ، واستمر هذا التعليم في حياته عليه الصلاة والسلام ثم في حياة الصحابة والتابعين رضي الله عنهم حيث حض عليه الصلاة والسلام على طلب العلم ، وتعلم لغات الآخرين ، كيف لا وأول آية في القرآن الكريم نزولاً تحت على ثقافة الإنسان حتى يكون صاحب فكر وموسوعية ، محاورة الآخرين وإيصال دعوة الله إلى كافة البشر ، مع العلم أن الناس أصحاب لغات مختلفة كما هم أصحاب ألوان مختلفة ، وقد أشار القرآن لكريم إلى مثل هذا واعتبره آية من آيات خلق الله تعالى، قال تعالى : "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ" ^(١) ، يقول صاحب تفسير القرآن العظيم : واختلاف ألسنتكم يعني : اللغات فهؤلاء بلغة وهؤلاء لهم لغة أخرى إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى من اختلاف لغات بني آدم واختلاف ألوانهم ^(٢) ، وجاءت الإشارة إلى الثقافة والعلم إلى قوله تعالى : "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" ^(٣) ، وهي أول آية نزلت من القرآن الكريم حاثّة على أهم الثقافات وهي العلم كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى ^(٤) .

(١) سورة الروم ، آية رقم ٢٢ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٢٩ .

(٣) سورة العلق ، آية ١ .

(٤) ينظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٥٢٧ .

التسامح الثقافي في العهد الجديد :

عندما تكلم العهد الجديد حول التسامح الثقافي بأشكاله العلمية والفكرية أوضح سبل العلم والمعرفة المختلفة ، حيث

وردت نصوص في العهد الجديد تدل على ذلك ، منها على سبيل المثال :

١- جاء في إنجيل يوحنا : (صعد يسوع إلى الهيكل وبدأ يعلم الناس فدهش اليهود وتساءلوا كيف يعرف هذا الكتب ولم يتعلم ؟ فأجابه يسوع ، ليس تعليمي من عندي ، بل من عند الذي أرسلني ، ومن أراد أن يعلم مشيئة الله يعرف ما إذا كان تعليمي من عند الله)^(١) .

٢- جاء في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس تحت عنوان خطر التعاليم الباطلة : " أطلب إليك أن تبقى في مدينة أفسوس لكي تمنع بعض المعلمين من نشر التعاليم المخالفة للتعليم الصحيح وتوصي المؤمنين أن لا يشتغلوا بالأساطير ... فتلك الأمور تثير المجادلات"^(٢) .

يقول صاحب كتاب (الاهتمام بالشأن الثقافي والاجتماعي) تعليقاً على ما سبق : " إن العهد الجديد يضيف عنصراً هاماً من عناصر الثقافة ، وهو الحض على التعليم وترك الأساطير ، وهذا بدوره يؤدي إلى النمو الذاتي ؛ ولذا فإن التعليم والعلم يؤدي بشكل عام إلى إنارة الفكر وتوسيع مجال الإدراك ، وهو لون جديد من الصياغة الدقيقة للتعبير عن نتاج الفكر وغايته إعطاء تفسير معيناً للإنجيل ، ويوجه السلوك والفكر المسيحي للخير ، وهذا العلم جزء من رسالة الكنيسة في مشارها بالإنجيل ، وهذا التسامح يفتح نظرة مستقبلية ، ويظهر نقاطاً معينة منها الإقبال على نوعية الفكر ، وهذه النوعية تتعلق بحياة كل مسيحي من حيث إقتدائه بحياة المسيح"^(٣) .

في ضوء ما سبق الإشارة إليه من التسامح الثقافي في العهد الجديد يتبين أن العهد الجديد حث على التعليم والعلم والثقافة ، وكان متسامحاً في تعليمه العلم و الحث عليه ، وفي نهيه عن الخرافات والأساطير والخزعبلات ، وهذا نوع من الرقي بالفكر والعلم والثقافة إلى درجة الوصول إلى العلا ، حيث أشار المسيح عليه السلام إلى أن هذا العلم من عند الله وليس من عنده ، ولم يمنع المسيح من نشر العلم والفكر بين الناس وهذا تسامح .

(١) إنجيل يوحنا ، إصحاح ٧ ، فقرات ١٤- ١٧ ، وانظر لوقا ، إصحاح ١٣ ، فقرة ٢٢ ، يسوع يعلم في القرى متجهاً نحو أورشليم واجتاز في المدن والقرى يعلم فيها وهو مسافر إلى أورشليم .

(٢) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ، إصحاح ١ ، فقرة ٣- ٥ .

(٣) البابا يوحنا ، الاهتمام بالشأن الثقافي ، منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام ، لبنان ، ١٩٨٠ م ، ص ١٥ ، بدون طبعة ، بتصرف يسير .

نتائج الفصل الثالث :

- ١- إن الإكراه في الدين لا وجود له في القرآن الكريم من حيث الفكرة العقيدة ، وإن التاريخ لم يحدثنا عن واقعة تدل على نوع إكراه سواء كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو في عهد الخلفاء الراشدين ، وهذا دليل على تسامح القرآن الكريم في مجال الحرية الدينية ، حيث يعتنق الإنسان ما شاء دون ضغط أو إكراه ، أما في العهد الجديد فبخلاف ذلك حيث هناك نصوص دالة على خلاف الحرية الدينية .
- ٢- اشتمال القرآن الكريم والعهد الجديد على الحرية الفكرية بأنواعها المختلفة .
- ٣- ظهر التسامح في القرآن الكريم والعهد الجديد في الحوار والجدال .
- ٤- ظهر التسامح في الحرية المدنية في القرآن الكريم من خلال تعامل المسلمين مع غيرهم في كافة المجالات ، وظهر التسامح الاجتماعي في القرآن الكريم ، في زيارات أهل الذمة وعبادة مرضاهم وإتباع جنائزهم واحترامهم وصورهم في حالة الجوار ، وظهر التسامح الاجتماعي في العهد الجديد بالنهاي عن التوبيخ للآخرين ، واحترام الكبار وعدم السرقة والزنا وشهادة الزور .
- ٥- شهادة أهل الذمة المنصفة تجاه الفاتحين ومدى تطبيقهم قواعد العدل والمساواة في كافة حياتهم .
- ٦- هناك نقاط الاتفاق بين القرآن الكريم والعهد الجديد في التسامح الثقافي والسياسي .

خاتمة والنتائج

توصل الباحث من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية :

- ١- إن التسامح يغدو نوعاً من الكرم والتفضل والجلود وليس حقاً يستحقه الآخر .
- ٣- العهد الجديد يعني ذلك الكتاب المقدس عند النصارى والذي يضم الإنجيل الذي ينسب إلى عيسى عليه السلام ، كما يضم العهد القديم التوراة التي تنسب إلى موسى عليه السلام.
- ٤- إن الألفاظ المقاربة للتسامح تكاد تنحصر في ألفاظ معينة أهمها : الصفح ، المغفرة ، الإحسان ، البر ، العفو ، الصبر .
- ٥- الألفاظ المغايرة للتسامح تنحصر في ألفاظ أهمها : الغلو ، والتطرف ، والإرهاب ، والتعصب ، والتعنت .
- ٦- من مظاهر المعايير المغايرة : التكفير ، والتشديد ، والعنف ، والتفريط .
- ٧- المتأمل في الآيات القرآنية يجد أنه لا إشكال في الآيات التي ظاهرها التشابه خاصة إذا عرف سياقها ، وليس هناك تعارض بين الآيات القرآنية الواردة بالقتال ، والآيات الواردة بالنهي عن اتخاذ الأعداء أولياء ، وبين التسامح ؛ لأن القرآن يرحب بالتسامح ويدعو إليه ، من خلال المعاملة الحسنى مع النصارى ، ولا يتناقض هذا مع النصوص الشرعية التي نعت عن موالاة غير المسلمين .
- ٨- هناك ألفاظ مغايرة وألفاظ مقاربة وألفاظ مشابهة للتسامح في القرآن الكريم وهناك ألفاظ مقاربة ومغايرة للتسامح في العهد الجديد.
- ١٠- إن التسامح الديني تعود أصوله إلى العقيدة الصحيحة من خلال القرآن الكريم ، أما التسامح في العهد الجديد فإنه لا يعود إلى عقيدة صحيحة ؛ لأن العهد الجديد كتاب بشري وليس نص الهي .
- ١١- هناك قضايا مشتركة بين القرآن الكريم وبين العهد الجديد من حيث البواعث الأخلاقية والاجتماعية والسياسية ، أما البواعث الدينية فإنها تختلف بين القرآن الكريم والعهد الجديد.
- ١٢- إن الإكراه في الدين لا وجود له في القرآن الكريم من حيث الفكر والعقيدة ، وإن التاريخ لم يحدثنا عن واقعة واحدة تدل على الإكراه سواء كان في عهد الرسول عليه السلام أو في عهد الخلفاء الراشدين ؛ وهذا يدل على تسامح القرآن الكريم في مجال الحرية الدينية حيث يعتنق هذا الدين من شاء دون ضغط أو إكراه ، أما في العهد الجديد فهناك نصوص واضحة تدل على الإكراه في الدين ، وهذا ما يطبقه النصارى عندما يدخل واحد منهم في الإسلام فيبادرون إلى قتله .
- ١٣- ظهر التسامح الاجتماعي في القرآن الكريم والعهد الجديد ، من خلال زيارات المرضى واتباع الجنائز واحترام الجيران واحترام الكبار والبعد عن السرقة والزنا وشهادة الزور وغيرها .
- ١٤- إن الاعتزاز بهذا الدين والتمسك بالعقيدة الصحيحة والأخلاق الإسلامية والقيم المتوازنة ولاسيما في هذا العصر هو مطلب ضروري ومسؤولية كبرى في صد الدعوى المشوهة والتيارات الوافدة ضد هذا الدين .
- ١٥- إن الدين الذي نزل على الأنبياء دعوته واحدة ؛ لأن مصدره واحد ، وهو برئ من كل الشبهات الوافدة والتي ألصقت به مثل التطرف والتعصب والإرهاب ، وهذا الدين الحق هو الذي أمر بالتسامح والرحمة والمحبة .
- ١٦- هناك بعض السياسيين في العالم من ينادي بالتسامح على اعتبار أنه ضروري في هذا الوقت بالذات ، ويدعو إلى تبادل العلاقات بين المسلمين والنصارى في إطار التسامح والرحمة.
- ١٧- العهد الجديد وأسفاره يدعو إلى التسامح والعفو والمحبة ، وهناك من رجال الدين المسيحي من يبدي رغبة جادة في تحسين العلاقات بين المسلمين من خلال التسامح ، ومجلس الكنائس العالمي في روما يصرح بذلك؛ والهدف من ذلك تغيير الصورة التي رسخت بأذهان المسلمين من خلال حملات القتل والتشريد والأذى الذي لحق بالمسلمين عبر الماضي والحاضر

ابتداءً من محاكم التفتيش في الأندلس ومروراً بالبوسنة والمهرسك وانتهاءً بفلسطين والعراق وأفغانستان، وما عمله بابا روما من إساءات للمسلمين في الأيام الأخيرة.

التوصيات

يقترح الباحث بعد الانتهاء من هذا البحث بعض التوصيات يستحسن الأخذ بها وهذه أهمها:

- ١- إظهار صورة الإسلام الحقيقية المشرقة أمام العالم، وأنه يدعو إلى التسامح والسلام والمحبة من خلال بيان منهج القرآن الكريم .
- ٢- رد الطعون الموجهة إلى هذا الدين ومنها: الإرهاب والعنف والتعصب والغلو والتطرف وغيرها ، وأن القرآن الكريم برئ من هذا كله .
- ٣- تزويد الدعاة في أماكن عملهم في العالم بنشرات توضيحية تبين وتبرز جانب التسامح الحقيقي الوارد في القرآن الكريم .
- ٤- يقترح الباحث تخصيص محاضرات حول تسامح القرآن الكريم، في جامعات الغرب وفي المساجد ، وبيوت العبادة، والكنائس لتوضيح حقيقة هذا الدين، الذي نزل على الأنبياء، وأنه جاء بالمحبة الرحمة حيث إن دعوة الأنبياء واحدة .
- ٤- إرسال علماء متخصصين إلى بلاد الغرب والشرق لتوضيح حقيقة الدين الذي نزل على الأنبياء، وإبعاد ما نسب إلى الدين الحق من الطعون والسخرية والتعصب والإرهاب وغيرها.
- ٥- ترجمة هذه الرسالة إلى لغات مختلفة وإرفاد جامعات الغرب منها، و ترجمة أجزاء منها لتزود المدارس والمؤسسات ودور العبادة والكنائس والبيع في بلاد الغرب.
- ٦- السماح لوسائل الإعلام المختلفة بتخصيص وقت كاف لإبراز الصورة المشرقة لدين الله تعالى ، ورد الافتراءات المتكررة على هذا الدين من خلال الاستعانة بهذه الرسالة.
- ٧- طبع هذه الرسالة وعلى نفقة الجامعة وتوزيعها على طلبة العلم والمساجد والكنائس والوزارات داخل الأردن.

المصادر والمراجع

أ- القرآن الكريم.

أولاً: قائمة المصادر

١. إسماعيل بن كثير، ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م، د ط .
٢. الحسين بن محمد الأصفهاني، ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٨م، د ط .
٣. عبد الرحمن السيوطي، ت ٩١١هـ، الدرر المنثور، ج ٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، د ط .
٤. عبد الرحمن بن الجوزي، ت ٥٩٧هـ/١١٦١م، زاد المسير في علم التفسير، ط ج ٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م.
٥. عبد الحق بن عطية الأندلسي، ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط ١، ج ٤، تحقيق عبد الله الأنصاري وعبد العال إبراهيم، الدوحة، قطر، ١٩٩٢م.
٦. عبد الله محمود النسفي، ت ٧١٠هـ/١٣١٠م، تفسير النسفي، ج ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٨م، د ط .
٧. محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ/٩٢٣م، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ط ٣، ج ١٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.
٨. محمود بن عمر الزمخشري، ت ٥٣٨هـ/١١٤٤م، تفسير الكشاف، ط ١، ج ١، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٧م.
٩. محمد علي الشوكاني، ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، زاد المسير في علم التفسير، ط ١، ج ٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م.
١٠. محمد الرازي، ت ٦٠٦هـ/١٢١٠م، تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، ج ١٦، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٤م، د ط .
١١. محمد القرطبي، ت ٦٧١هـ/١٢٢٤م، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م، د ط .
١٢. محمد أبو السعود، ت ٩٨٢هـ/١٥٧٤م، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، د سنة.
١٣. أحمد النحاس أبو جعفر، ت ٣٣٨هـ/٩٤٩م معاني القرآن، ط ١، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٨م.
١٤. الحارث المحاسبي، ت ٢٤٣هـ/٨٥٧م، فهم القرآن ومعانيه، ط ٢، تحقيق حسين القوتلي، دار الكندي، بيروت، ١٩٧٨م.
١٥. محمد الزركشي، ت ٧٩٤هـ/١٣٩١م، البرهان في علوم القرآن، ج ١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩١م، د ط .
١٦. محمد عبد العظيم الزرقاني، ت ١٩٤٩م، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط ١، ج ١، مكتب البحوث والدراسات، مصر، ١٩٩٦م.
١٧. أحمد البيهقي، ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، سنن البيهقي الكبرى، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م، د ط .
١٨. أحمد البيهقي، ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي تلحي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٨م، د ط .
١٩. أحمد بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج ٤، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
٢٠. أحمد بن حنبل، ت ٢٤١هـ/٨٥٥م، مسند أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، د ط .
٢١. أحمد بن علي أبو يعلى، ت ٣٠٧هـ/٩١٩م، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون، دمشق، ١٩٩٤م، د ط .
٢٢. أحمد بن شعيب النسائي، ت ٣٠٣هـ/٩١٧م، سنن النسائي، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.
٢٣. سليمان السجستاني، ت ٢٧٥هـ/٨٨٩م، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، د ط .
٢٤. سليمان الطبراني، ت ٣٦٠هـ/٩٧١م، المعجم الكبير، ط ٢، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، العراق، ١٩٨٣م.
٢٥. سليمان الطبراني، ت ٣٦٠هـ/٩٧١م، المعجم الصغير، تحقيق كمال الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٦م، د ط .
٢٦. سليمان الطبراني، ت ٣٦٠هـ/٩٧١م، المعجم الأوسط، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٧م، د ط .
٢٧. عبد الله بن أبي شيبة، ت ٢٣٥هـ، مصنف ابن أبي شيبة، ط ١، تحقيق كمال يوسف، مكتبة الرشد، بيروت، ١٤٠٩هـ.
٢٨. عبد العظيم المنذري، ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، الترغيب والترهيب، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، د ط .

٢٩. محمد الدارمي، ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م، سنن الدارمي، ط ١، دارا إحياء التراث، بيروت، ١٩٨٥م.
٣٠. محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م، صحيح البخاري، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٠م، د ط .
٣١. محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م، الأدب المفرد، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٦م، د ط
٣٢. محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت ٣١١هـ/٩٢٤م، صحيح بن خزيمة، تحقيق محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧م، د ط .
٣٣. محمد بن حبان البستي، ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م، صحيح ابن حبان، ط ٢، تحقيق شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م .
٣٤. محمد القضاعي، ت ٤٥٤هـ، مسند الشهاب، ط ٢، ج ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م .
٣٥. مالك بن أنس، ت ١٧٩هـ/٧٩٥م، الموطأ للإمام مالك، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٥م، د ط . مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت ٢٦١هـ/٨٧٥م، صحيح الإمام مسلم، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٠م
٣٦. محمد بن عيسى الترمذي، ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م، سنن الترمذي، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م .
٣٧. محمد بن يزيد القزويني، ت ٢٧٣هـ/٨٨٧م، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٥م، د ط .
٣٨. محمد بن عبد الله النيسابوري، ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م، المستدرک علی الصحيحین، ط ١، تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، دار الفك، بيروت، ١٩٩٠م .
٣٩. محي الدين النووي، ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط ٤، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م .
٤٠. أحمد بن تيمية، ت ٧٢٨هـ/١٣٢٨م، اقتضاء الصراط المستقيم، ط ٢، تحقيق محمد حامد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٦٤هـ.
٤١. أحمد ابن تيمية، ت ٧٢٨هـ/١٣٢٨م، مجموع الفتاوى، ط ٢، ج ١٠، دار ابن حزم، الرياض، ١٩٩٨م .
٤٢. علي بن حزم الظاهري، ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، النبذة الكافية في أحكام أصول الدين، ط ١، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ
٤٣. محمد بن حزم، ت ٤٦٥هـ، الأحكام في أصول الأحكام، ج ١، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة العاصمة، القاهرة، ١٩٩٥م، د ط .
٤٤. محمد بن رشد، ت ٧٢١هـ/١٣٢١م، تهاافت التهاافت، ط ٣، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م .
٤٥. إسماعيل بن كثير، ت ٧٧٤هـ/١٣٧٤م، البداية والنهاية، ط ٤، ج ٤، مكتبة المعارف، بيروت، د سنة .
٤٦. عبد الرحمن بن خلدون، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م، مقدمة ابن خلدون، ط ٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م
٤٧. محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦هـ/٣٤٢م، التاريخ الكبير، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م، د ط
٤٨. محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ/٩١٠م، تاريخ الأمم والملوك، ط ١، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م .
٤٩. محمد الذهبي، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، ط ٥، تحقيق عمر عبد السلام التويجري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٨م .
٥٠. محمد بن القيم الجوزية، ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط ١٤، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ .
٥١. أحمد بن فارس، ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، معجم مقاييس اللغة، ط ١، تحقيق عبد السلام محمد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م .
٥٢. أحمد الفيومي، ت ٧٧٠هـ/١٣٧٥م، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط ٢، المكتبة العلمية بيروت، ١٩٩٠م
٥٣. الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت ١٧٠هـ/٧٨٦م، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٠م .

٥٤. علي الجرجاني، ت ٨٢٦هـ/١٤١٣م، التعمير—ففات، ط ١، تحقيق إبراهيم الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ
٥٥. المبارك ابن الأثير الجزري، ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، النهاية في غريب الحديث، والأثر، تحقيق طاهر الزواوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
٥٦. محمد بن أبي بكر الرازي، ت ٦٦٦هـ/١٢٦٨م، مختار الصحاح، ط ١، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م.
٥٧. محمد الزبيدي، ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م، تاج العروس من جواهر القاموس، ط ١، مكتبة الحياة، لبنان، ١٣٠٦هـ
٥٨. محمد المناوي، ت ١٣٠١هـ/١٦٢١م، التعاريف (التوقيف على مهمات التعاريف)، ط ١، تحقيق محمد رضوان الدايه، دار الفكر، بيروت، د سنة .
٥٩. محمد بن منظور، ت ٧١١هـ/١٣١١م، لسان العرب، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م.
٦٠. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت ٨١٦هـ/١٤١٣م، القاموس المحيط، ط ١، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٠م.
٦١. سيد قطب، ت ٩٦٦م، في ظلال القرآن، ط ١٣، ج ٦، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٧م.
٦٢. سعيد حوى، الأساس في التفسير، ط ٤، ج ٧، دار السلام، دمشق، ١٩٩٣م.
٦٣. عبد الرحمن السعدي، ت ١٩٥٦م، تفسير الكرمي الرحمن في تفسير كلام المنان، ط ١، تحقيق عبد الرحمن اللويحي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.
٦٤. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط ١، ج ٧، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١م.
٦٥. محمد المراغي، ت ١٩٥٢م، تفسير المراغي، ج ٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م، د ط.
٦٦. محمد الطباطبائي، ت ١٩٠٨م، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، د ط، دسنة.
٦٧. محمد القاسمي، ت ١٩١٤م، تفسير القاسمي، (محاسن التأويل)، ط ٢، ج ١٦، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م.
٦٨. وهبة الزحيلي، النفس المنير، ج ٣، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩١م، د ط.
٦٩. إسماعيل الطحان، دراسات حول القرآن لكريم، ط ٢، مكتبة الفلاح، بيروت، ١٩٨٨م.
٧٠. عدنان زر زور، صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ط ١٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م. عبد الرحمن السيوطي، ت ٩١١هـ/١٥٠٥م.
٧١. مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، ط ١، دار القلم، بيروت، ١٩٩٥م.
٧٢. ٤- محمد الزفزاف، التعريف بالقرآن والحديث، ط ٣، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٤م.
٧٣. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط ٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
٧٤. نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، ط ٦، مطبعة الصباح، دمشق، ١٩٩٦م.
٧٥. محمد فؤاد عبد الباقي، ت ١٩٦٨م، اللؤلؤ والمرجان فيم اتفق عليه الشيخان، دار الريان الحديثة، القاهرة، ١٩٨٧م، د ط .
٧٦. محمد ناصر الدين الألباني، ت ١٩٩٩م، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ط ١، المكتب الإسلام، بيروت، د سنة .
٧٧. محمد الألباني، ت ١٩٩٩م، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٠م، د ط .
٧٨. محمد الألباني، ت ١٩٩٩م، السلسلة الضعيفة، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٠م، د ط .
٧٩. إبراهيم الجهماني، معالم الهدم والتدمير في النصرانية، ط ٤، عالم الكتاب، الرياض، ١٩٨١م .
٨٠. إبراهيم العريس، التسامح بين شرق وغرب، ط ١، دار الساقى، بيروت، لبنان، د سنة .
٨١. إبراهيم الوقفي، السماحة في الإسلام والمسيحية، ط ١، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٩م .
٨٢. إبراهيم سعيد، شرح بشارة لوقا، ط ٤، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ١٩٨٦م .

٨٣. جمعية الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، ط ١ ، دار الساقى ، بيروت ، ١٩٨٥م .
٨٤. أحمد الحوفي ، سماحة الإسلام ، ط ١ ، مكتبة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٥٨م .
٨٥. أدوار غالي الذهبي ، معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، ط ١ ، مكتبة غريب ، مصر ، ١٩٩٣ .
٨٦. البابا يوحنا ، الاهتمام بالشأن المسيحي ، منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام ، لبنان ، ٩٨٠م ، د ط .
٨٧. بنيامين نيكرتن ، تفسير إنجيل متى ، ط ٣ ، مكتبة البعثة البابوية ، عمان ، الأردن ، ١٩٩١م .
٨٨. توماس ميشال ، مدخل إلى العقيدة المسيحية ، ط ١ ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩٢م .
٨٩. جيرائل البوليسي ، ماذا وراء حفنة تراب ، ط ١ ، المكتبة البوليسية ، لبنان ، ١٩٨٠م .
٩٠. جمعية الكتاب المقدس ، كتاب الحياة (الكتاب المقدس) ، ط ٦ ، جمعية الكتاب المقدس ، بيروت ، ١٩٨٨م .
٩١. جوليت حداد ، البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة ، ط ١ ، دار المشرق لبنان ، بيروت ، ١٩٩٥م .
٩٢. المجمع البابوي ، حوار وبشارة ، المكتبة البوليسية ، جونبة لبنان ، ١٩٩٣م .
٩٣. رحمة الله الهندي ، إظهار الحق ، ط ٣ ، دار إحياء التراث ، بيروت ، د ط .
٩٤. رؤوف شليبي ، يا أهل الكتاب تعالوا ، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ، المنصورة ، مصر ، ١٩٨٥م ، د ط .
٩٥. روفائيل خزام ، هل أنا حر ، ط ١ ، دار العالم العربي ، القاهرة ، ١٩٧٦م .
٩٦. ١٨- زاهر رياض ، المسيحيون والقومية المصرية ، ط ١ ، دار الثقافة ، مصر ، ١٩٧٩م .
٩٧. زاهر الألمي ، مناهج الجدل في القرآن ، مطابع الفرزدق ، مصر ، ١٩٧٠ ، د ط .
٩٨. سعيد حوى ، الإسلام / ط ١ ، منشورات جامعة بنغازي ، ليبيا ، ١٩٧٤م .
٩٩. سمير خليل وآخرون ، التسامح بين شرق وغرب ، ترجمة إبراهيم العريس ، دار الساقى ، بيروت ، ١٩٨٠م .
١٠٠. شوقي ضيف ، عالمية الإسلام ، ط ١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٦م .
١٠١. صموئيل حبيب ، الكنيسة والدولة ، ط ١ ، دار الثقافة ، مصر ، ١٩٩٩م .
١٠٢. صوفي أبو طالب ، الحوار بين الأديان ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٦م .
١٠٣. علي عبد الواحد وافي ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة ، ط ١ ، نهضة مصر للطباعة ، مصر ، د سنة .
١٠٤. عبد الحميد أبو سليمان ، أزمة العقل المسلم ، ط ٢ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فريجنا ، أمريكا ، ١٩٩٢م .
١٠٥. عز الدين إبراهيم ، الحوار الإسلامي المسيحي ، دار الخليج العربي ، الشارقة ، ١٩٩٧م ، د ط . عبد العزيز الحياط ، أدب الحوار ، المكتبة الوطنية ، وزارة الشباب ، عمان ، ١٩٩٥م ، د ط .
١٠٦. فرانس ، إنجيل متى ، ط ١ ، دار نوبار ، القاهرة ، ١٩٩٠م .
١٠٧. فرانز روزنتال ، مفهوم الحرية ، ط ١ ، ترجمة معين زيادنه ، معهد الاتحاد العربي ، لبنان ، ١٩٧٨م .
١٠٨. فتحي يكن ، ماذا يعني انتمائي للإسلام ، ط ١٠ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣م .
١٠٩. القوات المسلحة الأردنية ، التطرف حقيقته وبواعثه ، ط ١ ، المطابع العسكرية ، عمان ، ٢٠٠٦م .
١١٠. كليفور د ، السياسة والرؤية المسيحية ، ط ١ ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٨٨م .
١١١. كيرلس سليم ، بترس ، أفكار وأراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك ، ط ١ ، المكتبة البوليسية ، جونبة ، لبنان ، ١٩٩٩م .
١١٢. كيرلس سليم بترس ، المدخل إلى اللاهوت الأدبي ، ط ١ ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨م .
١١٣. محمد بخيت ، حقوق الإسلام وأصول الحكم ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٩٩م .
١١٤. محمد أبو زهرة ، ت ١٩٧٤م ، تاريخ الجدل ، ط ٢ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

١١٥. محمد حامد الناصر ، بدع الاعتقاد ، ط ١ ، مكة المكرمة ، ٥١٤١٥ . د. دار نشر .
١١٦. محمد الغزالي، التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية، ط ٣، نخضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ٢٠٠٣ م.
١١٧. محمد عبد الجواد ، والله الأسماء الحسنى ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨ م .
١١٨. محمد قطب ، شبهات حول الإسلام ، ط ١٦ ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٣ م .
١١٩. محمد علي الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧ م .
١٢٠. محمد المسلمي ، في أصول الحوار ، ط ١ ، دار الندوة ، الرياض ، د ت ن .
١٢١. محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن ، ط ٥ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
١٢٢. موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ط ٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧ م
١٢٣. مصطفى شاهين ، النصرانية تاريخاً وعقيدة ومذهباً ، ط ١ ، دار الاعتصام ، بيروت ، د سنة .
١٢٤. نظام عساف ، سؤال التسامح ، ط ١ ، مطبعة الشعب ، اربد ، الأردن ، ٢٠٠٢ م .
١٢٥. ناجي البكوشي ، دراسات في التسامح ، المعهد العربي لحقوق الإنسان ، تونس ، ١٩٩٥ م .
١٢٦. هوارد مارشال ، أعمال الرسل ، ط ١ ، دار نوبار ، القاهرة ، ١٩٩٢ م .
١٢٧. الراهب ميشو ، رحلة دينية إلى الشرق ، ط ١ ، المكتبة البوليسية ، جونبة ، لبنان ، ١٩٩١ م .
١٢٨. وهبة الزحيلي ، نظام الإسلام ، ط ١ ، منشورات جامعة بنغازي ، ليبيا ، ١٩٧٤ م .
١٢٩. وليم باركلي، تفسير العهد الجديد ، ط ١ ، ج ١ ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٣ م .
١٣٠. يوسف درة حداد، الدفاع عن المسيحية، ط ٢ ، المكتبة البوليسية ، جونبة ، لبنان ، ١٩٨٨ م .
١٣١. نزيهان عبد الكريم، معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، ط ١، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥ م .
١٣٢. محمد الخضري ، ت ١٩٢٧ م ، نور اليقين، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠ م ، د ط .
١٣٣. أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ط ١، ج ٣، دار، الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٢ م.
١٣٤. أنور الرفاعي ، النظم الإسلامية ، ط ١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٢ م .
١٣٥. أنطون حميد ، الإنسان مثل الروح ، دار المشرق ، بيروت لبنان ، ١٩٨١ م ، د ط .
١٣٦. بيتر قدروس ، أحبوا أعدائكم ، ط ١ ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧ م .
١٣٧. البريانية ، أخلاق الإنجيل ، ط ١ ، ترجمة عادل العواء ، دار كنعان ، دمشق ، ١٩٩٧ م .
١٣٨. جون كلود ساني ، بؤس ورحمة ، ط ١ ، مطبعة الأباء ، القدس ، ١٩٩٤ م .
١٣٩. جون لوك ، رسالة في التسامح ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨ م .
١٤٠. جرمياس ، أقوال المسيح ، ط ١ ، تعريب يوحنا عيسى ، بغداد ، ١٩٨٦ م
١٤١. حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام ، ط ١ ، دار التوزيع والنشر ، مصر ، ١٩٨٦ م .

- ١٤٢ . داريو ، الوجيز في التعليم المسيحي الكاثوليكي ، ط١ ، مكتبة البعثة البابوية، عمان، ١٩٩٧ م .
- ١٤٣ . رينةقوايوم ، إخواني جميع البشر ، ط٢ ، المكتبة الشرقية ، لبنان ، ١٩٨٦ م .
- ١٤٤ . سعيد حوى ، تربيتنا الروحية ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٩ م .
- ١٤٥ . صموئيل حبيب، السلوك المسيحي وتحديات العصر ط٣، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ١٩٧٧ م .
- ١٤٦ . عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د سنة .
- ١٤٧ . غسطينوس الكرمللي ، ملخص التعليم المسيحي ، دار سيدة الكرمل ، بيروت ، ١٩٩٧ م ، د ط .
- ١٤٨ . فايز فارس ، الأخلاق المسيحية ، ط١ ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .
- ١٤٩ . فاضل اليسوعي ، سر المصالحة ، ط١ ، منشورات الإباء اليسوعيين ، مصر ، ١٩٨٢ م .
- ١٥٠ . الكردينال كونينغ ، رسائل في الحكمة ، دار المجد ، لبنان ، ١٩٨٥ م ، د ط .
- ١٥١ . مصطفى السباعي ، ت ١٩٦٧ م ، أخلاقنا الاجتماعية ، ط٤ ، المكتب الإسلامي، بيروت ، ١٣٩٧ م .
- ١٥٢ . منير الغيضان ، من معين التربية الإسلامية ، ط٢ ، مكتبة المنار ، الأردن ، ١٩٨٢ م .
- ١٥٣ . ميشال حكيم ، اصفح واطلب الصفح ، ط٢ ، منشورات طريق الحبة ، جونيه ، لبنان ، ٢٠٠١ م .
- ١٥٤ . هافس كينغ ، مشروع أخلاقي عالمي ، ط١ ، المكتبة البوليسية ، جونيه ، لبنان ، ١٩٩٨ م .
- ١٥٥ . إبراهيم مدكور ، حقوق الإنسان في الإسلام ، ط١ دار طلاس للنشر ، دمشق، ١٩٩٢ م .
- ١٥٦ . إبراهيم ناصر ، المواطننة ، ط١ ، مكتبة الرائد العلمية ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠١ م .
- ١٥٧ . أحمد يسري، حقوق الإنسان وأسباب العنف في المجتمع الإسلامي، دار المعارف ، الإسكندرية، ١٩٩٣ م ، د ط .
- ١٥٨ . إسماعيل الغزالي، الإرهاب الدولي ، ط١ ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، ١٩٩٠ م .
- ١٥٩ . أمير عبد العزيز ، حقوق الإنسان في الإسلام ، ط١ ، دار السلام ، مصر ، ١٩٩٧ م .
- ١٦٠ . راشد الغنوشي ، حقوق المواطنة ، ط٢ ، مكتبة الرائد العلمية ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠١ م .
- ١٦١ . رامز عمار ، محاضرات في حقوق الإنسان والحريات العامة ، دار الراتب الجامعية ، مصر ، ١٩٩٠ م ، د ط .
- ١٦٢ . زكريا البدي ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مطبعة مصر الجديدة ، مصر ، ١٩٨١ م ، د ط .
- ١٦٣ . سيد طنطاوي ، أدب الحوار في الإسلام ، هضة مصر للطباعة ، القاهرة ، ٢٠٠٢ م ، د ط .
- ١٦٤ . عبد العزيز التويجري ، الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي، ط١ ، هضة مصر للطباعة، القاهرة ، ١٩٨٨ م .
- ١٦٥ . عبد المجيد النجار ، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين ، ط١ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا ، أمريكا ، ١٩٩٢ م .
- ١٦٦ . علي عبد الواحد وافي ، حقوق الإنسان في الإسلام، ط٥ ، دار هضة مصر، القاهرة، ١٩٧٩ م .
- ١٦٧ . فالخ البدارين ، قراءة لحقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية، ط١ ، دار مجدي، عمان ، ٢٠٠٣ م .
- ١٦٨ . القاضي أبو يوسف ، كتاب الخراج ، ط٣ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٩ م .
- ١٦٩ . القوات المسلحة الأردنية ، مضامين رسالة عمان ، ط١ ، المطابع العسكرية ، عمان ، ٢٠٠٦ م .

١٧٠. محمد أبو زعرور، حقوق الإنسان في ميزان الإسلام، ط ١، دار الوضاح، عمان، ٢٠٠٤ م.
١٧١. محمد حمد خضر، الإسلام وحقوق الإنسان، ط ١، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٠ م.
١٧٢. محمد الزحيلي، حقوق الإنسان في الإسلام، ط ٢، دار الكلم الطيب، دمشق، ١٩٩٧ م.
١٧٣. محمد سيد طنطاوي، موقف الإسلام من العنف والعدوان وانتهاك حقوق الإنسان، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧ م.
١٧٤. محمد الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٩٣ م.
١٧٥. محمود فرج، أبو ليل، تاريخ حقوق الإنسان في التصور الإسلامي، ط ١، دار الثقافة، الدوحة، قطر، ١٩٩٤ م.
١٧٦. محمد سليم غزوي، الحرية العامة في الإسلام، ط ٢، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٠ م.
١٧٧. محمد يوسف مصطفى، حرية الرأي في الإسلام، ط ٢، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٩ م.
١٧٨. نظام عساف، مدخل إلى حقوق الإنسان، ط ١، دار طلاس للنشر، دمشق، ١٩٩٢ م.
١٧٩. شهاب الدين القرافي، الفروق، ط ١، ج ٣، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٨٥ م.
١٨٠. جمعية الكتاب المقدس، فهارس الكتاب المقدس، ط ١، دار الشروق، جونيه، لبنان، ١٩٩٧ م.
١٨١. خير الدين الزركلي، الإعراب، ط ١٠، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢ م.
١٨٢. عمر كحالة، معجم المؤلفين، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٧ م.
١٨٣. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط ٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١ م.
١٨٤. ناصر الدين بن السيد، المغرب في ترتيب المغرب، ط ١، تحقيق محمود فاحوري، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ١٩٧٩ م.
١٨٥. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ط ٢، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٢ م.
١٨٦. حميدة النيفر، التسامح ومنايع ألا تسامح، قضايا إسلامية معاصرة، المجلد الثاني، العدد ٢٨-٢٩، ٢٠٠٤ م.
١٨٧. طه جابر العلواني، "نحو منهجية معرفية قرآنية"، إسلامية المعرفة، العدد ٣٥، السنة ٩، بيروت، ٢٠٠٤ م.
١٨٨. عبد الله زبوت، "الإحسان في القرآن الكريم"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الفقهيّة والقانونية، جامعة آل البيت، المفرق، ٢٠٠٢ م.
١٨٩. محمد أحمد الجلي، "الحوار في القرآن الكريم"، مجلة الأهدية، العدد ١٦، ٥١٤٢٥.
١٩٠. محمد الأعلمي، "الحرية الدنية حق من حقوق الإنسان"، مجلة العربية لحقوق الإنسان، العدد ١، ١٩٦٤ م.
١٩١. محمد سعيد البوطي، "الغلو والتطرف والإرهاب"، هدي الإسلام، مجلد ٥٠، العدد الأول، ٢٠٠٦ م.

١٩٢ . محمد دوجان ، "موقف الإسلام من الإرهاب والدفاع المشروع"، مقال في **هدى الإسلام** ، العدد ٢ ،
مجلد ٤٨ ، ٢٠٠٥ م .

١٩٣ . يوسف القرضاوي ، "حقوق الأقليات غير المسلمة" ، مجلة التوحيد، العدد ٨، السنة ١١، ١٩٩٦ م .

ب- الشبكة الإسلامية (انترنت)

١- موقع إسلام أون لاين ، جعفر شيخ إدريس ، سماحة الإسلام ، ٢٠٠٦ م .

٢- موقع صيد الفوائد ، عصام الجعفري ، الإسلام دين التسامح ، ٢٠٠٦ م .

ك- المصادر الأجنبية

- ١- By ; the catholic university of A merica ; **new catholic encyclopedia**;
library of congres ; ١٤ / page ١٩٢ ; ١٩٧١ .
- ٢- Karl Rahner Sj; munster and others : **sacramentum mundi an
encyclopedia of the ology** ;herder and new york-oates London
volumesix ;page ٢٩٢ .
- ٣- neophytos edelby , **Religious freedom** , ١٨ / page, ٤٨ .

Abstract

This work deals with the tolerance between the Holy Qur'an and the New Testament as a comparative study .It consists of introduction , three chapters and a conclusion .

The first chapter deals with the terms which are comparable or contrary with the meaning of the term ' tolerance ' in the Holy Qur'an and the New Testament .

The second chapter deals with the motives of the tolerance in the Holy Qur'an and the New Testament .

The third chapter deals with the intellectual and practical tolerance in the Holy Qur'an and the New Testament .

Finally , I concluded that Muslims and Christians scholars must cooperate to spread peace and security among people through the meaning of tolerance in the Holy Qur'an and the New Testament .

www_dr_alrbabaha@yahoo.com

هاتف ٠٧٨٥٩٦٣٥١٨ هاتف آخر ٠٧٧٧٣٤٦٨٤٩ الأردن اربد عبدالله محمد أحمد رابعة